الإهـــداء

إلى روح والدي المرحوم – الشيخ كراموغو غوث– الذي جعل سعادة أبنائه وراحتهم هدفا وغاية غفر الله له وأسكنه فسيح جناته بجوار الحبيب صلى الله عليه وسلم.

إلى التي ضحت برحيق عمرها لنترعرع في رحاب عطرها إلى ينبوع الحب الذي لا يفتر والحنان الذي لا ينقص.

أمي الحبيبة – حفظها الله تعالى ورعاها–

إلى من جمعني معهم سقف الود والوئام والصفاء الأخوي والذي بهم يكتمل وجودي

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر وتقدير

امتثالا لوصية الرسول المعلم المعظم صلى الله عليه وسلم إذ قال: **(ومن لا يشكر الناس لم يشكر الله)**[1].

لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان والتقدير لفضيلة الدكتور: الوالد الحنون الشيخ يونس لوليدي –حفظه الله ورعاه– الذي فتح لي صدره الواسع، وأفاضني رحمة الأبوة وغزارة المعرفة من خلال توجيهاته القيمة الرشيدة، ونصائحه الخالصة المشجعة، واعتباره لي ابنا من أبنائه المحبين إلى قلبه، والذين يحثهم ويشجعهم على المضي قدما في طريق العلم والمعرفة خدمة للإسلام والمسلمين وللسلام العالمي بين بني البشر، فالله أسأل أن يجازيه عني خير الجزاء، وأن يمنحه طول العمر مع دوام الصحة والسداد.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى سفارة كوت ديفوار بالمملكة المغربية والوكالة المغربية للتعاون الدولي، وكذلك كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز فاس– أساتذة وطلبة وإداريين على وفائهم وإخلاصهم وحسن تعاونهم معي في سبيل إعداد هذا البحثفجزاه الله خيرا.

وكذلك أتوجه بشكري الجزيل إلى كل من أسدى إلي معروفا في إنجاز هذا البحث، أو أشار عليّ بمصدر، أو أفادني بمعلومة صغيرة كانت أو كبيرة، والله أسأل أن يجازي الجميع على حسن نواياهم في خدمة البحث العلمي خير الجزاء.

[1]– رواه الإمام الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1998، ج/2، ص: 339.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، ثمّ الصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الإسلام هو الدين الذي ختم الله به سائر رسالاته إلى البشر، ولم يترك هذا الدين معاملة من المعاملات إلا نظمها، ووضع لها التشريعات اللازمة للحفاظ عليها وللرجوع عند الاختلاف إليها، فنظم علاقة المرء بأخيه وجاره وسائر من حوله، كما نظم سائر التعاملات التي تحتاج إلى اتصال الناس بعضهم ببعض، حتى يتحقق العدل والمساواة بين البشر كافة.

وكما نظم الإسلام هذه التعاملات بين المسلمين بعضهم ببعض، نظم كذلك التعاملات بين المسلمين وغيرهم، فحدد طبيعة هذه التعاملات، ورسم طريقة الخير فيها لكل صورة من الصور التي يتعامل فيها المسلم مع غير المسلم.

فبين الإسلام بنصوصه وقواعده التي أرساها كيفية التعامل مع غير المسلمين في كل مرحلة من مراحل الدعوة المختلفة التي تتراوح بين القوة والضعف أو السلم والحرب أو داخل الحدود الإسلامية أو خارجها، وبيّن كذلك كيفية التعامل مع غير المسلم في أي صورة يكون عليها غير المسلم، كأن يكون ذميا أو حربيا أو أسيرا.

وسنرى كيف رصد الإسلام مع غير المسلمين، ونظم التشريع الإسلامي علاقة المسلم مع غيره من بني جنسه أفرادا ومجتمعات، وكيف وضع الضوابط الكاملة في داخل المجتمع الإسلامي وخارجه، وقد حدد الإسلام جميع هذه التعاملات بالضوابط الشرعية المنبثقة من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة.

ولئن ظهر ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم وفطنته فيما كان ينتهجه من شتى أنواع السلوك الإنساني، فإن فطنته صلى الله عليه وسلم قد ظهرت بارزة في تعاملاته صلى الله عليه

وسلم، وليس فقط إزاء معارفه وجيرانه، بل كذلك إزاء المخالفين في الدين، فقد أثبت صلى الله عليه وسلم –بتعاملاته– أنه كان على جانب كبير من معرفة نفسية من يتعامل معهم ومزاجهم وما إليه يميلون وعنه ينصرفون ولعل هذا مما عناه الحق سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[1]

ورغم اعتبار الإسلام والمسيحية ديانتين وافدتين على كوت ديفوار، فإنهما يمثلان الديانتين السماويتين اللتين يعتنقهما الأغلبية المطلقة من سكان البلاد، وذلك بفضل نشاط دعاتهما وحرصهم على العمل في كثرة سواد معتنقهما.

وقد عاش المسلمون مع غير المسلمين في كوت ديفوار جنبا إلى جنب أكثر من قرن ينظر بعضهم إلى بعض بنظرة المنافسة والحذر، وأحيانا بالكراهية والعداوة، ولما كان الانتماء الديني والحزبي في كوت ديفوار خاضعة في أغلب الأحيان للقبلية، بحيث يدل اسم القبيلة أو الإقليم على دين معظم أبنائه إن لم يكن جميعهم، وكذلك الحزب السياسي الذي ينتمون إليه، كانت التقلبات السياسية تتحول بسرعة إلى صراعات قبلية أو نزاعات إقليمه، ثمّ لا تلبث أن تصطبغ بصبغة دينية لتتحول في آخر المطاف إلى حروب دينية، بل إلى حرب إسلامية مسيحية وغيرها، وهذا أمر غير مخفي على كل من عنده أدنى دراية أو إلمام بما جرى في كوت ديفوار، واليوم في جمهورية كوت ديفوار تزداد الحذر والتوتر بين الأقاليم الشمالية والجنوبية، وبين المسلمين والمسيحيين والوثنيين بفعل الصراعات السياسية التي نتج عنها تدهور النظام العام واضمحلال الروابط والعلاقات الطيبة بين مختلف الفئات المكونة للمجتمع إلى أن أصبح المسلمون وغير المسلمين لا يرون في الآخر إلا العدو المتربص.

ولا شك أن الحياة مليئة بالاضطرابات، والنزاعات المؤسفة، والحروب الدامية تقود إلى تساؤلات منها.

– لماذا هذا النوع من الصراع بين أتباع الديانات؟

[1]- سورة القلم، الآية: 4.

– كيف هو نظام الحياة الدينية لدى المسلمين وغيرهم وكيف يمكن استثناء الدين من النزاعات السياسية والإقليمية فيها؟

– كيف يستغل الدين ورجاله بهذه السهولة لتحقيق مصالح وأغراض شخصية سياسية أو اقتصادية أو عسكرية؟

– لماذا يعجز رجال الأديان عن تحقيق السلام والتعامل السلمي كما تنظمها قواعد التعامل والتسامح عند الكل؟

– ما هي المعوقات؟ وما هي الحلول المناسبة لقيادة رجال الدين إلى تفادي هذه الاضطرابات وضمان تفاهم وتعايش سلمي بين مختلف المجتمعات في العالم؟

أعتقد أن الإجابة عن هذه التساؤلات ومحاولة إعطاء حلول مناسبة لما تطرحها من إشكالات، تعتبر خطوة مباركة في خدمة مشروع السلام والتنمية المستدامة في العالم، وإسهامه مهما في تشييد بناء التعامل السلمي وتطوره ودعم استمراريته وصعوده إلى أفق أعلى.

1– أهمية هاته الدراسة:

إذا كانت أهمية الشيء تقدر بما يترتب عليه من مردودية، وأن سلامة التعامل بين المسلمين وغيرهم يمثل أساس الاستقرار وحسن التفاهم بين الشعوب، فإنّ أهمية هذا الموضوع تكمن في أنه:

1– يحاول أن يسهم في خدمة السلام والتعامل السلمي بين المسلمين وغيرهم في المرحلة التي تمر بها العالم الآن بمراحل صعبة يفعل ما يعج به من صراعات.

2– مدى حاجتنا إلى تحديد علاقتنا بالآخر.

3– مدى حاجتنا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في هذا الموضوع، وحاجة الأمة إلى حل مشكلاتها وفقا لسنة نبيها صلى الله عليه وسلم.

4- مدى حاجة الأمة المحمدية في هذه الآونة الأخيرة إلى الدفاع عن الإسلام عن طريق نشر التعاليم الصحيحة وحجب المزيف والمغلوط.

6- مدى حاجة الأمة إلى دعوة غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام بإبراز أخلاقيات الإسلام من خلال تحديد علاقة المسلم بغير المسلم.

7- محاولة تشخيص أهم المعوقات أمام التعامل السلمي بين المسلمين وغيرهم ويحاول إعطاء حلول مناسبة لها.

8- يحاول رسم صورة واضحة عن تاريخ الإسلام والمسيحية في كوت ديفوار، وعن أحوال المسلمين وغير المسلمين، وتنظيماتهم الداخلية، ومؤسساتهم الثقافية والاجتماعية.

9- يحاول بيان موقف الأنظمة السياسية المتعاقبة من الأديان ابتداء من عهد الاستعمار إلى اليوم، كذلك مسار المعاملة بينهما في ظل تعامل بعضهم مع بعض.

2- أسباب اختيار الموضوع:

إنّ مما لا شك فيه، هو أن كل موضوع من الموضوعات، لا بد من أسباب تحفز الباحث على الخوض في غمارها، وبالنسبة إلي شخصيا، قد كان من وراء اختياري مجموعة من الأسباب، من بينها:

1- ما لمسته من تعصب أعمى وصراع مرير وتنافس مذموم بين المسلمين وغيرهم من أجل اكتساب أكبر عدد ممكن من المعتنقين، الأمر الذي مزق وحدة المجتمعات وأعمى الأبصار عن قواعد المعاملة والتسامح التي يتخذها كل دين شعارا لعلاقاته مع الآخرين.

2- الرغبة الصادقة التي أحملها تجاه حوار الثقافات، وخاصة إذا علمنا أنه أصبح من الضروريات الملحة اليوم معرفة عقائد الآخرين ومبادئهم الدينية على جميع المستويات العلمية والعملية من أجل أن يفهم الإنسان حقيقة البشر الذين يعيشون حوله فيحسن التعامل معهم بالطريقة المثلى في ظل الإقرار بالحق في الاختلاف الفكري والتنوع الثقافي.

3- لا يخفى على كل مسلم – في هذه الفترة العصبية من حياة الإسلام- تكالب الأعداء والمغرضين ضد سلوكيات الإسلام حيث يصمونها وأهلها بالإرهاب والترويع والعنف والتطرف والفكر الانتحاري، من أجل ذلك تقوم هذه الدراسة بتوضيح المشكل الملتبس في الأذهان على أسس شرعية وأدلة ونصوص تكشف عن سماحة الإسلام ووسطيته وعدله واتزانه وتأكيد حواره الحضاري مع الآخرين.

4- أهمية إظهار النصوص الشرعية المتصلة بهذا الموضوع –لاسيما في هذه الآونة- التي اختلط فيها الأمر على بعض العوام من المسلمين فنظروا إلى غير المسلمين على أنه لا يجوز التعامل معهم بتاتا، فحتم الواجب الديني علينا إبراز تعاملات الإسلام مع غير المسلمين لتكون نموذجا يحتذى في هذا الموضوع الجلل.

5- كثرة الاتهامات التي يفتريها غير المسلمين بين الحين والآخر، ومحاولتهم صد الشعوب عن التعرف على الإسلام الصحيح عن طريق محاربة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ومحاولة تقديمه لمن لا يعرفه في صورة سيئة تنافي تماما ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من طيب عشرة وحسن خلق وسماحة طبع ما سجله التاريخ وشهد له به كل من حوله، من أجل ذلك أردنا تجلية أخلاقيات النبي صلى الله عليه وسلم في تعاملاته مع غير المسلمين ليعرف عليها من لا يعرفه.

6- كون الباحث ينتمي إلى دولة تجمع بين المسلمين وغير المسلمين، فكان لزاما على أحد أبناء الدولة بيان أحكام الإسلام في التعامل مع الآخر.

3- منهج البحث:

لم يتقيد البحث بمنهج معين فقد زاوج بين المنهج التاريخي والاستقرائي والتحليلي وذلك بغية الاستفادة من مميزات كل هذه المناهج كما لعبت طبيعة الموضوع دورا مهما في ضرورة المزاوجة بين تلك المناهج.

4- الدراسات السابقة:

حسب قراءتي المتواضعة التي قمت بها في مختلف المصادر والمراجع تبين خلالها أن هذا الموضوع يدخل ضمن الموضوعات التي لم تلق العناية المطلوبة من الباحثين، مع العلم أن هناك بعض الدراسات العامة حول الحوار بين الأديان تناولت أجزاء الموضوع إلا أنها تختلف اختلافا جوهريا عن هذا الموضوع ، ومن بين هذه الدراسات:

1- كتاب "التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة" للسيد سور حمن هدايات.

وهي دراسة قيمة في مجال التعايش من وجهة نظر إسلامي، حيث نجح فيها الكاتب إلى حد كبير في إبراز الهدي الإسلامي في معاملة المسلمين لغيرهم في كل مجالات الحياة، إلا أن دراسته اقتصرت على بيان هدي الإسلام في التعامل مع غيرهم المسلمين عامة دون الجانب المسيحي، ودون أن يكون خاصة بمنطقة معينة، كما لم يتطرق إلى الإشكاليات المطروحة أمام قضية التعامل بشكل واضح.

2- كتاب "الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين" للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، وهي دراسة مفيدة ركز فيها الدكتور التويجري على بيان التعايش عند المسلمين من خلال تعاملهم مع غيرهم، وكذلك عند غير المسلمين من خلال تعاملهم مع المسلمين، ثمّ بيّن موقفه من التعايش، وكيف ينبغي أن يكون ولماذ؟

3- كتاب "تعدد الأديان وأنظمة الحكم" للدكتور جورج قرم، والكتاب فريد في بابه من حيث تناوله العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية تناولا تاريخيا، ووصفه تطور مجتمعات حوض بحر الأبيض المتوسط وأوروبا وبلاد الشرق الأدنى منذ العصور القديمة، وسعيه إلى سبر غور أسرار التقلبات الحضارية التي تحكمت بمصير شعوب هذه المجتمعات، وبيان مسار العلاقات بين الطوائف في مجتمع العصور القديمة.

4- كتاب "إمكانية الحوار بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار" لابي دينس توري يكوبا" وهي دراسة باللغة الفرنسية:

(Possibilité de dialogue entre musulmans et chrétiens en côte d'Ivoire)

تناول فيها لابي دينيس إمكانية التحاور بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار، وذلك بعرض بعض الوسائل الممكنة من التقارب والتعارف وحسن المعاملة بين أتباع الديانتين، مبينا كذلك الصعوبات والإشكاليات التي تحول دون انجاز العمل، ولكن الملاحظ على دراسته أنها برزت في مظهر أقرب إلى دعوة المسيحيين في اتخاذ مسألة الحوار مع المسلمين وسيلة مثلى لاكتساب ثقتهم والتقرب إليهم وبناء علاقات ودية معهم قصد تنصيرهم.

5- صعوبات البحث ومشاكله:

قد واجهتني مشاكل ومتاعب كثيرة أثناء إنجاز هذا العمل، ولكن تم تذليلها بلطف الله تعالى ورحمته، ثمّ بتوجيه وإرشاد الأستاذ المشرف الكريم والأساتذة الكرام الذين مدوا لي يد العون فمن ذلك الصعوبات ما يلي:

1- عدم توفر المصادر والمراجع وصعوبة الحصول على الوثائق والمعلومات عن كوت ديفوار بشكل مطلوب.

2- إنّ جل الوثائق والمصادر التي اعتمدت عليها في ترجمة كانت باللغة الفرنسية، فكان لا بدّ من ترجمتها إلى اللغة العربية ترجمة تقريبية.

6- خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومدخل وتليهما ثلاثة فصول وتحت كل فصل مباحث وخاتمة.

1- المقدمة: وهي عبارة عن تعريف عام بموضوع البحث وأهمية دراسته وأسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث وصعوباته والدراسات السابقة له.

2- المدخل: ويتضمن تحديد المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لعنوان البحث.

الفصل الأول: التعامل من خلال وجه نظر الإسلام، وتحته أربعة مباحث.

المبحث الأول: قواعد التعامل وضوابطه في الإسلام.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من أهل الكتاب.

المبحث الثالث: التعامل في المجتمعات الإسلامية.

المبحث الرابع: أوضاع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية.

الفصل الثاني: الإسلام والمسيحية كوت ديفوار، وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: دخول الإسلام إلى كوت ديفوار.

المبحث الثاني: عوامل انتشار الإسلام في كوت ديفوار ومدى تأثر المجتمع الإيفواري به.

المبحث الثالث: الاتجاهات العقدية والمذاهب الفقهية والطرق الصوفية في كوت ديفوار.

المبحث الرابع: التعليم العربي الإسلامي والجمعيات الإسلامية في كوت ديفوار.

المبحث الخامس: المسيحية في كوت ديفوار.

الفصل الثالث: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي في كوت ديفوار، وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف الاستعمار الفرنسي من الإسلام والمسيحية.

المبحث الثاني: موقف المسلمين من الاستعمار والمسيحيين.

المبحث الثالث: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي أيام الرئيس "فليكس هوفويت بوانيه" (Félix Houphouët Bobigny) 1960–1993

المبحث الرابع: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي أيام الرئيس "هانري كونان بيديه" (Hanri Konan Bédié) 1993–1999

المبحث الخامس: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي في ظل الجمهورية الثانية الجديدة

3- **الخاتمة:** وهي عبارة عن خلاصة البحث وأهم النتائج المحصلة في الموضوع مع التوصيلات وذكر أهم المراجع والمصادر مع الفهارس.

وشكر للجنة المناقشة.

تعج العلوم الاجتماعية بالعديد من المفاهيم والمصطلحات التي تتباين، كما تتعدد التعريفات والتصورات التي تعطي لها باختلاف المذاهب والمدارس الفكرية، بل باختلاف وجهة نظر الباحث والدارس، فالمفهوم الواحد يحتمل أكثر من تعريف، ولهذا يكتسي المفهوم أهمية قصوى في عملية البحث، ويجب علينا أن نبدأ بتحديد المفاهيم قد تكون له أكثر من معنى أو يعطي تفاسير مختلفة، الأمر الذي يدفعنا إلى ضرورة تحديد المقصود.

1- معاملة: اسم الجمع: معاملات، مصدر عامل، صيغة المؤنث لمفعول عامل تعامل بين الاثنين.[1]

ويشمل التعامل هنا العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم، كما يشمل التعامل في جميع صوره، كأن يكون تعاملا اقتصاديا أو حربيا أو سياسيا، مما كان له أصل في الإسلام في التعامل مع غير المسلمين وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والواقع الإيفواري.

2- المخالفون: والمقصود بالمخالفين: غير المسلين من لا يدين بالإسلام، كأهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو غيرهما كالوثنيين.

وينقسم البشر في نظر الشريعة الإسلامية على أساس استجابتهم لدعوة الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى فريقين كبيرين: فريق المسلمين، وفريق غير المسلمين، قال المولى عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾[2].

فالناس واحد من اثنين: إما مؤمن بالله ورسوله، وهو المسلم، وإما كافر بالله ورسوله، وهو غير المسلم، وغير المسلم أصناف شتى يجمعهم عدم الدخول في الإسلام، وقد جمعت الآية

[1]- إبراهيم أنيس والآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط/3، 2004م، ص: 646.
[2]- سورة محمد، الآية: 1-2.

الكريمة من سورة الحج أسماء غالبيتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.[1] وقال تعالى أيضا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.[2]

ويتبين من الآيتين أن غير المسلمين يشمل الأصناف الآتية:

1/أهل الكتاب:

للفقهاء في تعريفهم رأيان:

أ- **رأي الأحناف:** الكتابي: هو كل من اعتقد دينا سماويا وله كتاب منزل كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وشيث وزبور داود عليهم السّلام، فلا يقتصر أهل الكتاب على اليهود والنصارى فقط، بل يشمل غيرهم من أصحاب الكتب السماوية.[3]

ب- رأي الجمهور: أهل الكتاب هم اليهود والنصارى دون غيرهم، فليس أصحاب صحف إبراهيم وشيث وزبور داود عليهم السلام أهل الكتاب. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.[4] فالطائفتان المذكورتان في الآية الكريمة هما: اليهود والنصارى دون غيرهم، كما استدلوا على أن تلك الصحف كانت عبارة عن مواعظ وأمثال لا أحكام فيها، فلا يثبت لها حكم الكتب المشتملة على الأحكام.[5]

---

[1]- سورة الحج، الآية: 17.
[2]- سورة الجاثية، الآية: 24.
[3]- محمد بن علي الحصكفي، الدر المختار على تنوير الأبصار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص: 268.
[4]- سورة الأنعام، الآية: 156.
[5]- ابن قدامة، المغني، مطبعة إدارة المنار، تونس، ط/ 4، بدون تاريخ، ج/ 2، ص: 590.

والراجح بين الرأيين – والله أعلم– هو ما ذهب إليه الجمهور لدلالة الآية الكريمة، وعلى هذا يمكن الإثبات هنا: أن أهل الكتاب هم اليهود الذين يتبعون التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، والنصارى الذين يتبعون الإنجيل المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام.

2/ الصابئة:

الصبوة في اللغة: الميل، يقال: صبا الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميلهم عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل عنهم الصائبة.

وقد اختلف الفقهاء في تعريفهم لخفاء حقيقتهم وعدم وضوح ديانتهم، فذهب الشهرستاني إلى أنهم قوم يعتقدون في الكواكب، ويؤمنون بتأثير السيارات على الكون.[1] وروي عن أبي حنيفة أنهم قوم من أهل الكتاب وعن أحمد بن حنبل في رواية: أنهم قوم من المشركين بين اليهود والنصارى، ليس لهم كتاب، وعن الحسن البصري: أنهم بمنزلة الكتابين في نبيهم وكتابهم فهم منهم، وإلا فليسوا من أهل الكتاب.[2]

وذكر الأستاذ عبد الرزاق الحسيني أنه توجد أقلية من الصابئة في الوقت الحاضر بالعراق، يعتقدون بالخالق عز وجل، ويؤمنون باليوم الآخر، ويدعون أنهم يتبعون تعاليم سيدنا آدم عليه السلام، وأن نبيهم جاء لينقي دين آدم مما علق به، وعندهم كتاب يسمونه "الكانزاير" أي صحف آدم، ومن عباداتهم الصلاة، وتقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون سجود، ويؤدونها في اليوم ثلاث مرات، قبل طلوع الشمس، وعند زوالها، وقبيل غروبها، ويتجهون في صلاتهم إلى النجم القطبي.[3]

---

[1]- الشهرستاني، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط/2، 1982م، ج/2، ص: 22.
[2]- ابن قدامة، المغني، ج/8، ص: 496- 497.
[3]- عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين في دار الإسلام، مكتبة القدس ومؤسسة الرسالة، فلسطين، ط/1، 1982م، ص: 14- 15.

3/ المجوس:

هم عبدة النيران القائلون بأن للعالم إلهين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر، والإصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور، والثاني الظلمة.[1]

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار القلم، القاهرة، ط/3، 1386م، ج/3، ص: 13.

4/ المشركون:

هم الذين يقرون بربوبية الله تعالى، لكنهم يشركون معه غيره في العبادة، كعبدة الأوثان، وعبدة الشمس، وعبدة الملائكة، ومن يعبد مما يستحسنه.[1]

5/ الدهريون:

هم الذين لا يعترفون بوجود مؤثر في العالم، فينكرون الإله الخالق، ويقولون إنه لا إله ولا صانع، وإنما وجدت هذه الأشياء دون خالق لها.[2] وسموا بالدهرية لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.[3] ويمثلهم في عصرنا الملحدون، الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، ولا يعتقدون أن وراء هذا العالم المادي عالما آخرا.

3- الإسلام في اللغة: مشتق من السلم، بكسر السين وتسكين اللام، وقد تشتق من "السلم" بفتح السين وتسكين اللام، كما تشتق من "السلم" بفتح السين واللام وهو يدور حول المعاني الآتية:

أ- الاستسلام والطاعة والإذعان.

ب- الخلوص والتعري من الآفات الظاهرة والباطنة.

ج- الصلح والأمان. [4]

وأما في الاصطلاح: فالإسلام هو الامتثال والانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم بالضرورة أو قام عليه الدليل اليقيني[5].

---

[1]- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط/3، 1971م، ج/3، ص: 382.
[2]- الشهرستاني: الملل والنحل، ج/ 2، ص: 305.
[3]- سورة الجاثية، الآية: 24.
[4]- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1988م، ج/ 5، ص: 342.
[5]- مصطفى البغا، بحوث في نظام الإسلام، دار الكتب العلمية، دمشق، ط/3، 1989م، ص: 120.

وبعبارة أوضح: الإسلام هو تلك الرسالة السماوية التي نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المشتملة على ما يتعلق بنواحي الحياة الإنسانية من عقائدية وتشريعية وأخلاقية، والتي نظمت العلاقات بين الإنسان ونفسه وخالقه وأخيه الإنسان وسائر المخلوقات من أجل سعادته في الدنيا والآخرة.

4- كوت ديفوار: هي لفظ أعجمي مركب من كلمتين، كلمة كوت **(côte)** تعني: الساحل، وكلمة الإيفوار: **(Ivoire)** تعني: العاج، فمعنى المركب إذن هو "ساحل العاج" وهذه التسمية أطلقت على المنطقة التي تعرف اليوم بكوت ديفوار في القرن الخامس عشر الميلادي من قبل التجار الأوربيين الذين كانوا يسعون في البحث عن الفيلة على طول ساحل خليج غينيا، من أجل جمع العاج وبيعه في أوروبا وأمريكا، مثلما أطلقوا لفظ "ساحل الذهب" على المنطقة التي تعرف اليوم بجمهورية غانا نظرا إلى كثرة الذهب فيها. وقد صار لفظ كوت ديفوار اليوم علما على دولة معينة، وهي جمهورية كوت ديفوار.[1]

ومفهوم العنوان كاملا "معاملة المسلمين للمخالفين لهم بين الإسلام والعصر الحاضر كوت ديفوار نموذجا" هي تلك الحالات التي ذكرها الإسلام في التعامل مع المخالفين، والعلاقات المتبادلة بين المسلمين وغير المسلمين في كوت ديفوار سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات حكومات أو مؤسسات أو جمعيات، أو سياسات.

وربما يسأل سائل لماذا كوت ديفوار نموذجا لمثل هذه الدراسة؟

وإجابة على هذا التساؤل أقول:

1- إنها عينة من عينات دول الإفريقية الغربية التي لا تختلف شأنها عن شأن مثيلاتها من الدول الإفريقية التي تتبنى النظم العلمانية في علاقاتها مع الأديان.

[1]- كان اسم كوت ديفوار يترجم إلى جميع لغات العالم مما يقلل من شهرته، لذلك أعلن الرئيس الراحل "فيلكس هوفويت بوانيه" في الأمم المتحدة أن تكون التسمية بالفرنسية كوت ديفوار لا غيرها، انظر: (La côte d'ivoire – Philippe p Edition Karthala. 1987.) والفرق الدينية في ساحل العاج، د/ يونس تور، المجلد الأول، ص: 3، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العقيدة، بجامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، سنة: 1987م.

2- إن دول إفريقيا الغربية تتكون أغلبيتها من المسلمين أو المسيحيين بحيث لا يكون بينهما في الغالب تكافؤ أو شبه التوازن، بينما كوت ديفوار حسب آخر إحصائية المعهد الوطني للإحصائيات عام 2018، لا يمثل الإسلام ولا والمسيحية دين الأغلبية المطلقة من السكان، فالمسلمون يمثلون نسبة 6, 38% من السكان.[1]

مما يعني أن الدولة تمثل أرضية خصبة لإجراء دراسة تعامليه بين المسلمين وغيرهم.

3- إنها تحتوى على جاليات كثيفة من معظم دول إفريقيا الغربية، فدراسة إشكاليات التعامل ومعوقاته في هذه الدولة وإعطاء حلول مناسبة لها تعني إجراء هذه الدراسة على الدول المنطقة، وذلك لقوة الشبه بين المجتمعات والقبائل فيها، ولمدى التأثير بين الأفراد والجماعات، وسهولة التنقل بين بعضها البعض، ويعتبر كوت ديفوار منطلقا أساسيا إلى غيرها من دول المنطقة.

4- إنها تعتبر المنطلق الأساسي للمسيحية إلى بقية دول المنطقة، وذلك لاحتوائها أكبر كنيسة في العالم كله، واحتضانها لأهم المراكز والمؤسسات الفكرية والاجتماعية والصحية المتمثلة في المنظمات المسيحية الكبرى، والجامعات والمعاهد والمدارس والمستشفيات ووسائل الإعلام وغيرها.

5- إنّ الإسلام في صمود أمام الحركات التنصيرية والتبشيرية، وصعوده إلى المناطق النائية والمحتلة من قبل المسيحية، تعرف اليوم صحوة منقطعة النظير في غيرها، من حيث تنشيط الحركات الإسلامية، وتنظيم المؤسسات والمنظمات ذات طابع إسلامي من أجل منافسة المسيحية. ثمّ إنّ الصراع المرير بين الإسلام والمسيحية ما زال متواصلا إلى اليوم، فالأخبار عن أسباب النزاعات الداخلية وكذلك معوقات التفاهم والتعامل لا تزال جديدة وطرية.

[1]- Recensement général de la population de l'habitat initié par le décret N 97-683 du 3 décembre 1987. Avec l'aide de de I'I.N.S Institut national de la Statique. p: 14.

هذا بالإضافة إلى مكانة هذه الدولة ومركزها السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين دول المنطقة، مما يكسبها موقعا استراتيجيا لاحتلال مركز الصدارة والقدوة في مثل هذه الدراسات.

الفصل الأول:

التعامل من خلال وجهة نظر الإسلام

إنّ الإسلام دين سماوي يستوعب التنوع في المساكنة والمواطنة تشريعا وتطبيقا، فالشريعة الإسلامية يتسع ظلالها المسلمين وغير المسلمين على السواء، بل إن تاريخ الإسلام يشهد واقع الحياة المشتركة بين المسلمين وغيرهم، مما يقف دلالة واضحة في أن الاختلاف في الدين ليس من شأنه الحيلولة دون التعامل السلمي بين المسلمين وسائر الملل والنحل.

وقد اهتم الإسلام بمبدأ التعامل السلمي بين رعايا الدولة الإسلامية بالغ الاهتمام، وأكده تأكيدا بينا، فأقر بتعددية أهل مختلف الملل والنحل داخل المجتمع الإسلامي كتجاوز مختلف الألسنة والألوان داخل المجتمع الواحد، باعتبار ذلك سنة كونية طبيعية، وآية دالة على عظمة الله تعالى وقدرته، واتخذ السلم كذلك أساس علاقة المسلمين مع غيرهم، من الأمم والشعوب، سواء داخل نطاق المجتمع الإسلامي أو خارجه، على نحو ما تقتضيه طبيعة الحياة المشتركة، من تعامل سلمي، واحترام متبادل وتعاون بناء لصالح الجميع.

وبين القرآن الكريم أنه لا حرج على المسلم من التعامل السلمي مع أي إنسان ولو كان مخالفا له في دينه ومعتقده ما لم يتظاهر عليه الطرف الآخر بالعداوة والتحريض أو الإساءة والخيانة قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[1] قد أشارت هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات الواردة في هذا المعنى إلى إنسانية الإسلام وسماحته، واحتواء شريعة على قواعد وضوابط محددة لكيفية العلاقة بين المسلم وغير المسلم.

[1]- سورة الممتحنة، الآية: 8.

المبحث الأول: قواعد التعامل وضوابطه في الإسلام

إذا كانت الشريعة الإسلامية تتسع للمسلم وغير المسلم على السواء، وأن تشبث المجتمع الإسلامي منهاجا لحياته، ودستورا لحكمه ومصدرا لتشريعه وتوجيهه في حياته وعلاقاته، مادية كانت أو معنوية، فردية أو جماعية، لا يحول دون أن يتعامل مع من يخالفه في عقيدته، وذلك راجع إلى القواعد والضوابط التي أرستها الشريعة الإسلامية من نظم وأحكام وآداب وقيم أخلاقية ومبادئ إنسانية، وتتضح هذه القواعد جليا من خلال نظر الإسلام إلى نقاط أساسية في الحياة.

أولا: نظرة الإسلام إلى الإنسان

يكتسب الإنسان من أجل إنسانيته مكانة راقية في نظر الإسلام، وتتجلى هذه المكانة العظيمة في مبادئه وتعاليمه وقيمه واحترامه وتقديره لإنسان، بصرف النظر عن أصله وجنسه ولونه ودينه ومركزه الاجتماعي والاقتصادي، وقد قرر الإسلام منذ لحظاته الأولى:

1/ رفع شأن الإنسان وتكريمه:

ينظر الإسلام إلى الإنسان على أن الله تعالى رفع شأنه بأن خلقه من طين بيديه الشريفتين، ثم بث فيه من روحه، وسجد له الملائكة احتراما وتقديرا له، ثم شرفه بالعقل الذي هو مناط التكليف، وأعطاه مكانة متميزة عن غيرها من المخلوقات، وكرمه بأن جعله عزيزا في ذاته غير ذليل، وحمله في البر والبحر مما لا يصح لأي حيوان سواه، ورزقه من الطيبات وفضله على كثير مما خلقه تفضيلا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ

كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾.[1] وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[2]

فالتكريم في الآية الكريمة في صيغة العموم، تكريم المطلق يشمل البشر كافة في الماضي والحاضر والمستقبل، وليس لجماعة المؤمنين أو لفئة معينة دون غيرها من الناس، ويمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال محمد الغزالي: (إن قدر الإنسان في نظر الإسلام رفيع، والمكانة المنشودة له تجعله سيدا في الأرض وفي السماء ذلك لأنه يحمل بين جنبيه نفحة من روح الله وقيما من نوره الأقدس، وهو الذي جعل الملائكة بل صنوف المخلوقات الأخرى تعنوا له وتعترف بتفوقه).[3]

وقال الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري: (لقد قامت مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيمه كلها على احترام الكرامة الإنسانية وصونها وحفظها، وعلى تعميق الشعور الإنسان بهذه الكرامة،وما دامت الرسالة الإسلامية تتجه في المقام الأول وسعادة الإنسان وصلاحه، وتبتغي جلب المنفعة له، ودرء المفسدة عنه، فإن هذه المقاصد الشريفة هي منتهي التكريم للإنسان بكل الدلالات الأخلاقية والمعاني القانونية للتكريم).[4]

2/ جعل الإنسان خليفة الله في الأرض:

لم يقتصر فضل الله على الإنسان بأن خلقه في أحسن صورة، وأكمل هيئة وحمله في البر والبحر، بل كرمه أيضا بأن اختاره وجعله خليفته في الأرض، واستعمر فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

[1]- سورة ص، الآية: 71-75.
[2]- سورة الإسراء: الآية: 70.
[3]- الشيخ محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ 3، 1984م، ص: 58.
[4]- د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ط/ 1، 1998م، ص: 28.

رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] وقال أيضا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.[2]

والخلافة هنا: عامة تشمل جميع البشر، لا فرق بين شعب وشعب، ولا بين جنس وجنس، لأنهم جميعا يرثون خصائص الخلافة.

والخلافة لها وجهان في وجهة نظر الإسلام:

الأول: أنها تمثل العلاقة بين الإنسان وخالقه، وهي علاقة عبودية لله عز وجل، والالتزام بمنهجه ووسيلة الإنسان لتحقيق هذه العبودية هي الدين والإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[3]

الثاني: أنها تمثل العلاقة بين الإنسان وكل ما استخلفه الله عليه، وهي علاقة سيادة على الأرض وتعميرها، ووسيلة الإنسان في تحقيق هذه السيادة هي العلم والعمل. فالإيمان والعلم إذن يقومان الخلافة، وهما في نظر الإسلام متوافقات ومتكاملان وضروريان لتحقيق رسالة الإنسان. والإنسان حامل للأمانة الكبرى التي اعتذرت عن حملها أعظم الكائنات. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.[4]

3/ المساواة بين الناس أجمعين:

عنيت الشريعة الإسلامية أبلغ العناية بمبدأ المساواة بين الناس جميعا، فكانت نظرها إلى الإنسان باعتبارها بشرا لا يميزه عن غيره من جنسه أو لونه أو الفصيلة التي ينتمي إليها، أو مكانته الاجتماعية، أو ثروته وسلطته، إنما البشر يتفاضلون بشيء واحد، هو تقوى الله تعالى، قال

[1]- سورة البقرة، الآية: 30.
[2]- سورة هود، الآية: 61.
[3]- سورة الذاريات، الآية: 56.
[4]- سورة الأحزاب، الآية: 72.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[1]

وإذا كان الناس سواسية في نظر الإسلام بحيث لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى فمن الطبيعي أن يعشوا على انسجام ويتعاملوا على وئام فيما بينهم، فهم أمة واحدة تعيش في أسرة إنسانية واحدة وعرى هذه الوحدة تقوى وتضعف طبقا لمدى إدراك أفراد هذه الأسرة لمقوماتها، وقدر وفائهم بحقوقها، وهذه المقومات تكمن في وحدة الربوبية، ووحدة النسب ووحدة الخلقة والتصميم، ووحدة الناموس الذي يحكمهم، ثمّ وحدة المهام والهدف المقدر لهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.[2] ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن آباءكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لون أسود على الأحمر إلا بالتقوى).[3]

4/ تقرير استقلال الإنسان وحريته:

تعتبر الحرية من أغلى ما يملكها الإنسان، ويثبت كيانه، ويمارس وجوده في الحضور والمساهمة والإنتاج.

وقد اهتم الإسلام بهذا المبدأ – استقلال الإنسان وحريته – باعتباره قيمة طبيعية وفطرية وغريزة في الإنسان يكتسبها منذ الولادة، مما عبر عنه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار).[4]

---

[1]- سورة الحجرات، الآية: 13.
[2]- سورة النساء، الآية: 1.
[3]- مسند الإمام أحمد بن حنبل، عالم الكتب، بيروت، ط/ 1، 1998م، رقم الحديث: 23885، ج/7، ص: 760.
[4]- د/ ناصر بن عقيل بن جاسر الطريفي، مكتبة التوبة الرياض، ط/2، 1994م، ج/2، ص: 569.

وباعتباره أبرز مظاهر الكرامة الإنسانية، والطريق إلى الإيمان والمسؤولية، فهو يرتبط في مراحله الأولى بالتوحيد الذي هو تحرير الإنسان من الشرك في شتى مظاهره بدءا من عبادة الأصنام والأوثان إلى الانسياق للأهواء والترهات والخضوع لطغيان المال واستبعاد الإنسان لأخيه المسلم، وهذا النوع من التحرر في الإسلام أفضى إلى عملية أخرى وهي تحرير الإنسان من كل سيطرة تتحكم فيه وتعوق وجوده وما إلى ذلك مما يخرق حريته أو يصيب حياته، أو يمس دينه، أو يؤذيه في ماله وأهله وجميع حرماته.[1] قال سيد قطب: (وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله سبحانه للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعية عمله وحساب نفسه، هذه هي أخص خصائص التحرير الإنساني).[2]

أفسح الإسلام المجال لممارسة جميع أنواع الحريات وأشكالها، ونادى إلى أن تكون هذه الممارسة قائمة على التعامل والعزة والشرف والكرامة في ظل احترام حقوق الآخرين ومشاعرهم.

وأهم هذه الحريات:

أ- **حرية الاعتقاد:**

تعتبر حرية الاعتقاد أعظم الحريات قدرا وأعلاها درجة في نظر الإسلام، الذي أقرها بوضوح تام لكل الناس، فلا إكراه على اعتناق الإسلام، وكل إنسان حر في اختيار دينه من سائر الملل والنحل وما تميل إليه نفسه قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3] وقال أيضاً: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[4]

[1]- د/ عباس جراري، مفهوم التعايش في الإسلام، دار الفكر العربي، ط/ 2، 1969م، ص: 27.
[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط/10، 1982م، ج/1، ص: 158.
[3]- سورة البقرة، الآية: 256.
[4]- سورة يونس، الآية: 99.

ب-حرية التعبير:

تعد حرية التعبير نعمة كبرى في الإسلام إذ بها فضل الله الإنسان على غيره من الذين لا ينطقون قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾.[1] وهي حق مكفول لجميع البشر، بغض النظر عن عقيدتهم أو عرقهم أو لونهم، سواء عن طريق الخطابة أو عن طريق الكتابة بشكل فردي أو جماعي.

وتتجلى حرية التعبير في الإسلام من خلال فتح باب المناقشات الدينية للمسلمين مع غيرهم، ووضع لها ضوابطا وآدابا يلتزم بها المسلم في حواره مع أهل الملل الأخرى، حتى تكون عمدته في المحاور هي الإقناع وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.[2]

وحرية التعبير وغيرها من الحريات الأخرى من تنقل ووظيفة وتصرف وغيرها في الإسلام لا تعني التحلل من كل الضوابط الشرعية أتباعا للهوى، ويمس المرء حقوق الآخرين، وينتهك حرماتهم، بل إن حقيقة الحرية تبتدئ بتحرير النفوس من سيطرة الأهواء والشهوات، وجعلها خاضعة لسلطان العقل والضمير، حتى يشعر الإنسان بالعلو النفسي، ويحس إحساسا دقيقا بحقوق الآخرين، فيقف عند ذلك ليتلقى مع حق إخوانه فتنسجم الحياة فيكون التعامل على أحسن ما ينبغي.

وخلاصة القول: إن الإنسان في نظر الإسلام له طبيعة مكرمة مستمدة من كونه خليفة الله في الأرض، بصرف النظر عن أصله وفصله ودينه وعقيدته ومركزه وقيمته، فلا يحق أن يخدش بهذه الكرامة، كما لا يصح أن يظلم أو يضطهد أو يسلب منه حريته، أو يفرق بينه وبين أخيه على أساس العرق أو اللون أو الجنس أو أي اعتبار آخر. قال الدكتور عبد الله دراز: (كل إنسان له في

[1]- سورة الرحمن، الآية: 1-4.
[2]- سورة العنكبوت، الآية: 46.

الإسلام قدسية الإنسان، إنه في حمى محمي، وحرم محرم، ولا يزال كذلك حتى ينتهك حرمة نفسه، وينتزع بيده هذا الستر المضروب عليه بارتكابه جريمة ترفع عنه جانبا من تلك الحضانة، وهو بعد ذلك بريء حتى يثبت جريمته، وهو بعد ثبوت الجريمة لا يفتقد حماية القانون كلها، لأن جنايته ستقدرها، ولأن عقوبته لن تجاوز حدها، فإن نزعت عنه الحجاب الذي مزقته هو فلن تنزع عنه الحجب الأخرى، بهذه الكرامة يحمي الإسلام أعداءه كما يحمي أبناءه وأولياءه، بهذه الكرامة التي كرم الله بها الإنسانية في كل فرد من أفرادها هي الأساس التي تقوم عليه العلاقات بين بني آدم).[1]

ثانيا: نظرة الإسلام إلى التعددية

إن الإسلام يقر بتعددية مختلف أهل الملل والنحل داخل المجتمع الإسلامي، ويعتبرها سنة كونية وآية دالة على عظمة الله تعالى وقدرته، إذ إن الله عز وجل خلق الكون وما فيه على أساس من الاختلاف البارز في التنوع والتعدد مما يتجلى في مختلف المظاهر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾.[2] وقال أيضا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[3] وينظر الإسلام إلى أن الاختلاف سنة كونية، إذ أعطى للحياة ألوانا مختلفة من التفكير والسلوك، وجعل التباين بين الناس في جنسهم ولغتهم ودينهم أو أي مكون آخر من المكونات الحضارية والثقافية أمرا خاضعا لإرادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[4]. ثمّ إن المقصود من هذا التباين، أنه داع للتعارف الذي يقوده إلى التساكن والتعامل والتعايش قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[5]

---

[1]- د/ محمد عبد الله دراز، نظرات في الإسلام، دار الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع، ط/1، 1972م، ص: 112.
[2]- سورة الروم، الآية: 22.
[3]- سورة آل عمران، الآية: 190.
[4]- سورة هود، الآية: 118- 119.
[5]- سورة الحجرات، الآية: 13.

ولا شك أن سعة أفق الإسلام لاحتواء التنوع والتعدد داخل مجتمعه، وكذلك نظرته التأملية إلى العالم بروح التسامح والانفتاح أثبتت له خاصيته العالمية، وصلاحه لجميع أنواع الجنس البشري تطبيقا وتشريعا، وميزته كذلك عن سائر الديانات مما جعل بعض الكتاب من غير المسلمين يعترفون له بهذه الميزة أمثال جورج قرم الذي أقر ذلك بقوله: (غير أن القرآن الكريم بخلاف الديانتين التوحيديتين السابقتين – اليهودية والمسيحية – يرى العالم غير المسلم بعين تلحظ الفروق والتمايزات، ولسوف يحترم المأثور الشرعي الإسلامي هذه الفروق والتمايزات).[1]

إن عالمية الإسلام ورحابة مظلته تقتضيان بالضرورة وجود مكان لائق فيه للمسلمين وغير المسلمين على السواء، وقد درج المسلمون في تعاملهم مع المخالفين في عقيدتهم داخل المجتمع الإسلامي على توجهات ربانية تعبر عن اعترافهم وتقديرهم لغيرهم، وجاءت من تلك التوجيهات الربانية، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.[3] وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.[4]

ولم تقتصر هذه التوجيهات الربانية على مجرد الاعتراف بالديانات السماوية السابقة التي سبقت رسالة سيدنا رسل الله صلى الله عله وسلم، إذ اعتبر الاعتراف بهذه الديانات جزءا من عقيدة الإسلام وركنا أساسيا من أركان الإيمان، ولا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا آمن بالأنبياء والرسل أجمعين وبالكتب السماوية كلها قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[5] ولم يبق هذا الاعتراف والتقدير تنظيرا فقط، بل بلغ مداه عند الممارسة والتطبيق على صعيد المجتمع كله، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قننه في

[1]- د/ جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، دار النهار للنشر، بيروت، ط/2، 1979م، ص: 197.
[2]- سورة البقرة، الآية: 256,
[3]- سورة الكهف، الآية: 29,
[4]- سورة الكافرون، الآية: 6.
[5]- سورة البقرة، الآية: 136.

الدستور المكتوب الذي أعلنه في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها، وقد سمي بالصحيفة جاء في شكل اتفاقية مبرمة بين فضائل المدينة على اختلاف أصولهم العرقية، وعقائدهم الدينية، من أجل أن تصبح المدينة حرما آمنا للتعامل والتعايش السلمي في ظل احترام جميع العقائد[1]، وجاءت القاعدة الذهبية المبينة لحقوق غير المسلمين في الإسلام (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) أي: لغير المسلمين نفس الحقوق التي يستفيد منها المسلمون، ونفس الواجبات التي يلتزم بها المسلمون، وفي ظل هذه الحقيقة –حقيقة الاعتراف بالآخر على ما هو عليه– ورد في السنة النبوية الشريفة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرت بجنازة فقام لها، فلما ذهبنا لنحمل إذا هي جنازة يهودي، فقلنا يا رسول الله إنما هي جنازة يهودي فقال: إن الموت فزع، فإذا رأيتم جنازة فقوموا).[2]

وقد سار الخلفاء الراشدون والقادة الفاتحون الذين تحملوا أعباء نشر الدعوة الإسلامية شرقا وغربا على هذا المنهاج، وقد روى الإمام أبو داود في سننه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: (كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد بن عبادة بالقادسية فمر عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما إنما من أهل الأرض فقالا: مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة فقام ، فقيل له: إنه يهودي، فقال أليس نفسا).[3]

ثالثا: نظرة الإسلام إلى التمسك بالفضيلة

تمثل الفضيلة حقيقة الدعامة الكبرى من دعائم الإسلام، والملمح الجامع لجوانبه العقدية والسلوكية والتشريعية، ولهذا نبه القرآن الكريم على ضرورة التحلي بها، ومن تلك الآيات الكريمة الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

[1]- أ. د/ عبد الهادي بوطالب، عالمية الإسلام ونداءه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، ص: 42.
[2]- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، المكتبة العصرية، صيدا، ط/2، 1997م، رقم الحديث: 1311، ج/1، ص: 391.
[3]- سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب القيام للجنائز، دار ابن حزم، بيروت، ط/1، سنة 1997م، رقم الحديث: 3174، ج/3، ص: 338.

وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[3]

وألحت السنة النبوية كذلك على التمسك بهذه الفضائل – حيث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمية ذلك حين جعلها تلخص الغاية الكبرى والمقصد الأعظم من رسالته المباركة فقال عليه الصلاة والسلام: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).[4] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[5] وقوله صلى الله عليه وسلم (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا).[6]

وما يدعو إليها الإسلام من هذه الفضائل كثيرة ومتنوعة، وهي المتمثلة في الشخصية المثالية للمسلم، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (كان خلقه القرآن).[7] وأكتفي بذكر أهم هذه الفضائل في الإسلام وأثرها في إنشاء التعامل السلمي بين المسلمين وغيرهم:

1/ الوفاء بالعهد:

يمثل الوفاء بالعهد في منظور الإسلام سجية كبرى والعنصر الأساسي في ضمان بقاء السلام، واستمرار الثقة والأمانة والاحترام في التعامل البناء، والتعاون المثمر بين الناس كما يعبر عن قوة العزيمة وسر بقاء الإنسانية في خير وسلام ووئام، ولهذا شدد الإسلام فيه بشكل كبير لا

[1]- سورة النحل، الآية: 90.
[2]- سورة الأعراف، الآية: 199.
[3]- سورة فصلت، الآية: 34.
[4]- الإمام مالك، الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، دار القلم، ط/1، 1991م، رقم الحديث: 8، ج/3، ص: 242.
[5]- سورة القلم، الآية: 4.
[6]- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط/2، 1998م، رقم الحديث: 2018، ج/4، ص: 545.
[7]- مسند الإمام أحمد، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: 25108، ج/1، ص: 150.

يقبل التهاون أو التخفيف، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.[1]

والعهد هنا: يشمل كل عهد موثوق في المعروف، سواء كان ذلك بين الأفراد أو الجامعات، أو بين المسلمين وغير المسلمين في حالة السلم أو الحرب، كعقود الهدنة أو الأمان أو العقود التجارية أو السياسية أو العسكرية وغيرها مما يعقدها الأفراد أو الجامعات أو ولي الأمر لتحقيق مصلحة ما.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خيار الناس عند الله يوم القيامة الموفون الطيبون).[2] وقوله عليه الصلاة والسلام: (آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان).[3] وإن الالتزام بالعهد يظل قائما ما لم ينقض الطرف المعاهد الميثاق، فيتبرأ منه في هذه الحالة، وفق ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]. وقد استثني من هؤلاء المشركين المحافظون لعهودهم بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[5] وقد وصل أمر الالتزام بالعهود والمواثيق إلى حد كبير مما جعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه مسلما من المشركين بدون إذن وليه.[6]

2/ العدالة:

العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.[7]

---

[1]- سورة النحل، الآية: 91.
[2]- رواه أحمد بن حنبل في مسنده، رقم الحديث: 26355، ج/6، ص: 268.
[3]- رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق، رقم الحديث:2631، ج/2، ص: 115.
[4]- سورة التوبة، الآية: 1.
[5]- سورة التوبة، الآية: 4.
[6]- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم الحديث:4181-4181، ج/4، ص: 52.
[7]- الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مكتبة عبد الرحمن، القاهر، ط/ 1، بدون تاريخ، ج/10، ص:140.

وهو شريعة كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام[1] بها قامت السموات والأرض، وعليها قامت الحياة فوجب أن تكون جميع تصرفات الإنسان مبنيا عليها، وكان العدل جوهر القانون الوضعي، والأساس الراسخ الذي يقوم عليه القانون الدولي الذي يجب أن يسود المجتمعات البشرية كلها، فهو يتجاوز الفروق الشخصية من جنس ولون ولغة، ويستدعي الاعتراف بالفضل لذويه، ويقتضي المساواة بين الناس جميعا، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم قريبهم وبعيدهم.

أما في الشريعة الخاتمة: فإن العدل يشكل روح الدين، وأهم أصول التصور للواقع، وجوهر أساس التعامل الاجتماعي فلا بد أن تقام ولو على النفس أو الوالدين أو الأقربين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[2] فالعدالة الإسلامية عدالة مطلقة ولازمة في جميع الأحوال، سواء في حالة السلم أو الحرب، بل قد اعتبر الإسلام الإنصاف مع الأعداء أقرب للتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.[3]

قال الشيخ محمد علي التسخيري تعليقا على هذه الآية: (إنها تعبر بدقة عن أهمية العدل في معادلات التعامل والتعايش حتى في حالات التوتر التي يكاد أن ينسى فيها العدل، ومن خلال النظر إلى طبيعة تعامل دار الإسلام مع غير المسلمين ندرك البعد الإنساني في عنصر العدل، وهو ما يفسر أيضا وقوف الإسلام إلى جانب المستضعفين والمحرومين في كل مكان).[4]

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة مبينا مكانة العدل في الإسلام: (وإذا كان لكل دين سمة يتسم بها فسمة الإسلام هي العدل، وهو شعاره وخاصيته، والعدالة هي الميزان المستقيم الذي يحدد

---

[1]- هذا المعنى واضح في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ سورة الحديد، الآية: 25.

[2]- سورة النساء، الآية: 135.

[3]- سورة المائدة، الآية: 8.

[4]- الشيخ محمد علي التسخيري، قيم الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية، ص: 98.

العلاقات بين الناس في حال السلم والحرب، فهي القسطاس المستقيم الذي توزع وتحمي به الحقوق، وبه ينتظم الوجود الإنساني).[1]

3/ الإحسان:

إذا كان العدل يعني إعطاء كل ذي حق حقه فإن مبدأ الإحسان في الإسلام يرتقي فوق ذلك، فهو يعني الزيادة على الحق، وفعل الخير من أي ضرب كان. وقد حرض الإسلام المسلمين على فعل الخير وحسن المعاملة مع غيرهم، وحرصهم على جلب المصلحة لأنفسهم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[2] وقال أيضا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[3].

وقال أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[4] ومن حق المسلم أن يعامل من اعتدى عليه بمثل اعتدائه لا أكثر، بقدر ما يحميه من تكرار الاعتداء عليه قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[5]

4/ التعاون:

إن الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه فلا يقدر على العيش بمفرده دون أن يتعامل مع أخيه في سبيل تحقيق احتياجاته الكثيرة والمتنوعة، سواء كانت الاحتياجات الفردية أو المشتركة التي لا يستطيع إشباعها إلا مع الآخرين، ويرى الإسلام أن العبد في دوام الافتقار إلى عون ربه وإخوانه،

[1]- محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2/، بدون تاريخ، ص:35.
[2]- سورة البقرة، الآية: 195.
[3]- سورة الإسراء، الآية: 7.
[4]- سورة النحل، الآية: 90.
[5]- سورة البقرة، الآية: 194.

وعلق عون الله على معاونة العباد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه).[1]

ومن هنا تتأكد أهمية التعاون ومكانته في الحياة، مما جعل الإسلام يقره مبدئيا للعلاقات الإنسانية، ويحدد البر والتقوى على الأساس الذي يقوم عليه مبدأ التعاون قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[2] والتعاون كما هو لازم في الماديات لازم كذلك في المعنويات، وقد بدل الإسلام التعاون الأدبي الجاهلي القائم على التعصب الديني القبلي بمفهوم إنساني جعل مفهوم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما).[3] ذا شقين، منع وقوع الظلم أو العدوان من أي إنسان على أي شخص، وإنصاف المظلوم ومد يد العون ليأخذ حقه.

ويكفي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم أسوة حسنة في التعاون الأممي، وذلك عندما عقد مع اليهود وعناصر مشركي المدينة عهدا كما أساسه دفع عداوة الأعداء، وإقامة الحق أو ما يسمى في عرف العصر بالتعامل والتعايش السلمي.[4]

رابعاً: نظرة الإسلام إلى السلم وأسبابه

السلم هو الصلح والسلامة والأمن والاستقرار، وهو من القيم والمبادئ التي في ظلها تزدهر الحياة البشرية ويسود الإخاء الإنساني الذي يسع لجميع أنواع الخير والرحمة والحق والفضيلة والحب والجمال، وغاية كبرى تسعى لإدراكها جميع الأمم والشعوب، وتعمل العقول المفكرة وإرادة أصحاب القرارات لتحقيقها.

---

[1]- رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، دار ابن حزم، بيروت، ط/1، 1995م، رقم الحديث: 2699، ج/2، ص: 125.

[2]- سورة المائدة. الآية: 2.

[3]- رواه البخاري في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، رقم الحديث: 2443-2444، ج/ 1، ص: 152.

[4]- محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ 2، بدون التاريخ، ص: 46.

وتظهر أهمية السلم من خلال مسيس الحاجة المجتمعات البشرية إليه، سيما في هذا العصر الذي طغى فيه المادة على الروح، وفشا الظلم والفساد، وأصبحت العلاقات قائمة على الصراع والتنازع حول المصالح والمواقف السياسية، واكتسى تعامل البشر بعضهم مع بعض طابع الحدة والقساوة، بينما تراجعت القيم السامية التي تحض على التسامح والتراحم، وتهدي إلى السلام والإيثار ونشدان الخير للجميع. قال الدكتور عبد العزيز التويجري في بيان علاقة الإسلام بالسلام: (إن الصلة بين الإسلام والسلام صلة قوية ومتينة، فاسم الإسلام مشتق من السلم، والمسلم في القرآن الكريم هو الذي يسلم قلبه ووجهه لله، والمسلم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده وإبراهيم عليه السلام، جاء ربه بقلب سليم، وقد أسلم وجهه لله حنيفا فالمسلمون أهل سلام).[1]

وقد دعا الإسلام البشرية كلها إلى السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.[2] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[3]

والمقصود من دار السلام هو دار الأمن والطمأنينة والسعادة والاستقرار، وذهب بعض المفسرين إلى أنّ دار السلام هي الجنة.

وقد دعا إلى استمرار السلام وتثبيته وتجنب الخصومات والنزاعات والفتن التي تقصف بكل شيء، ولا تؤدي إلا إلى الخسران والدمار، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[4]وقال أيضا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[5]

---

[1]- د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ط/1، 1998م، ص:156.
[2]- سورة البقرة، الآية: 208.
[3]- سورة يونس: الآية: 25.
[4]- سورة الأنفال، الآية: 25.
[5]- سورة الأنفال، 46.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام والمسلمين إلى سؤال العافية من الله تعالى وعدم تمني لقاء العدو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألو الله العافية، فإذا لقيتموه، فاثبتوا، واذكروا الله كثيرا).[1] وقرر الإسلام ترجيح مبدأ السلم في حالة الحرب الشرعي إذا ما أظهر العدو استعداده للقبول برغبة صادقة وإيمان صافية، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[2] إن أخذ الحق وتبادل العلاقات والمصالح على أساس العدل والعهود والمواثيق الملزمة لجميع الأطراف المؤدية إلى التعارف والتسامح والحوار والتساكن والتعامل مما لا يعني الاستسلام أو التنازل أو الضعف وقبول العدوان والطغيان، أو السكوت عن الشر والباطل، والاستسلام للظلم والفساد أو ما إلى ذلك مما هو طعن في الحيالة البشرية.

وللسلم أسباب ووسائل تيسر تحقيقه وتمكن من استمراره، ومن أهمها:

1/ التسامح:

التسامح قيمة أخلاقية وحضارية تبعث على نشر المحبة وتحقيق السلام وتتضمن دلالات عالية على نضج الحس الإنساني في كل الحضارات وعند كل الشعوب، ويعتبر من أهم القيم الإنسانية التي يتمحور حولها التنظيم الاجتماعي والسياسي الحديث كما يمثل المحرك الأساسي في التنسيق والتضامن بين مختلف الأديان والحضارات والثقافات وتفاعل بعضها مع الآخر.[3]

ولا شك أن تحويل العالم إلى قرية صغيرة وتقارب الشعوب بعضها من بعض بفعل وسائل الإعلام، تفرض إرساء مبدأ التسامح الذي يكسب القدرة على استيعاب الخلافات وهضمها والتفاعل معها، حتى لا يتحول اللقاء بين الديانات والثقافات والحضارات وامتزاج بعضها مع الآخر إلى صدام تتناحر فيه القوميات والهويات، بل إلى تفاعل مثمر مع هذه الديانات والثقافات والحضارات

[1]- رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو، رقم الحديث: 7237، ج/3، ص: 152.
[2]- سورة الأنفال، الآية:61.
[3]- ناجي البيكوش، دراسات في التسامح، المعهد العربي لحقوق الإنسان المجتمع التونسي، بيت الحكمة، ط/1، 1990م، ص:7.

بحيث يتجاوز العصبيات والفروق الدينية والعرقية واللغوية، ويعيش معها في سلام ووئام وإفادة واستفادة.

وأما التسامح في منظور الإسلام فله مكانة عالية، إذ يعتبر من أهم الخصائص التي يشترك فيها المسلمون مع غيرهم، ولا ينبغي الخلط بين التسامح والمجاملة.

ومن أبرز تعريفاتهم ما يلي:

أ- قال أبو الأعلى المودودي: (ومعنى التسامح أن نتحمل عقائد غيرنا وآرائهم وأعمالهم، وإن كانت تخالفنا أو باطلة في نظرنا، ولا تطعن فيهم بما يؤلمهم، رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم من الإدلاء بآرائهم أو القيام بأعمالهم).[1]

ب- ويقول الدكتور علي الحسين الخربوطلي: (ونعني بالتسامح الديني: أن يكون لكل فرد في الأمة حق في أن يعتقد ما يراه حقا، وأن تكون له الحرية في تأدية شعائر دينه كما يشاء، وأن يكون أهل الأديان المختلفة أمام قوانين الدولة سواء).[2]

ويتبين روح التسامح الإسلامي وطريقة التعامل مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من خلال هذين التعريفين، وجاء تقرير هذه الروح المتسامحة في آيات كثيرة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومن تلك الآيات والأحاديث الشريفة، قوله تعالى: ﴿إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.[3] وقول تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.[4] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[5] ومن حديث

[1]- أبو الأعلى المودودي، الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، دار السعودية للنشر والتوزيع، بدون التاريخ، ص: 39.
[2]- د/ علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1985م، ص: 95.
[3]- سورة القصص، الآية: 55.
[4]- سورة الكافرون، الآية: 6.
[5]- سورة العنكبوت، الآية: 46.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (بعثت بالحنفية السمحة).[1] وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل أي الأديان أحب إلى الله تعالى؟ (الحنفية السمحة).[2] وقوله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل أي العمل أفضل؟ الإيمان بالله وتصديق، وجهاد في سبيل الله وحج مبرور قال الرجل: أكثرت يا رسول الله فرد عليه السلام: فلين الكلام، وبدل الطعام والسماح وحسن الخلق).[3]

ومن هنا تظهر حقيقة التسامح في منظور الإسلام، وقد عاش غير المسلمين في رحاب المجتمع الإسلامي دون إجبار على الدخول إلى الإسلام، أو أن يعمد إلى التعذيب والقهر، وما إلى ذلك من ضروب الإجبار والإذلال، ويشهد التاريخ وأقوال بعض المنصفين الرهبان وبعض الباحثين المنصفين أمثال رونالدو ركوبل الشاعر الأمريكي الذي قال عن الإسلام: (لقد راعني حقا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه، سماحة في السلم، وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه).[4]

وكذلك المؤرخ المشهور توماس أرنولد الذي قال أيضا: (أثبت معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الذمة أن الإسلام دين التسامح الذي يحرض على حقوق الإنسان، وكانت رسالة محمد إلى رهبان دير سانت كلاترين في جبل سيناء، دليلا ناصعا على تسامح الحكومة الإسلامية الوليدة في معاملة رعاياها غير المسلمين، مهما كان دينهم، وقد حرض الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يملي رسالته على مسمع من صحابته ليعلم الجميع ما يخص الإسلام من تسامح).[5]

2/ الحوار:

الحوار ضرورة من ضروريات التعامل مع الآخرين ووسيلة مثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية فهو الذي يعطي الاختلاف بعدا إنسانيا يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح بالتحول إلى

[1]- جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة، رقم الحديث: 22647، ج/1، ص: 429.
[2]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث: 2154، ج/1، ص: 23.
[3]- رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث: 17967، ج/ 2، ص: 258.
[4]- إدوارد الغالي الذهبي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار غريب للنشر، القاهرة، ط/1، سنة 1993م، ص: 49.
[5]- علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص: 38.

طاقة تدميرية، بل إن الحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف، ويرفع من مستوى إيجابياته، ليكون الاختلاف في هذا الإطار رحمة وخيرا ودفعا للإصلاح والمراجعة المستمرة، وهذا ما يمنح الحوار مضمونا مصيريا، وموقعا استراتيجيا في استمرار الحياة بطعمها المستمر، وإبقاء الجنس البشري بمستوى ما حباه الله به من عقل وقدرة على التفكير والاختيار.[1]

ولا شك أن العالم في هذا الطور من التاريخ في حاجة قصوى إلى الحوار بجميع أنواعه وأشكاله سواء بين الأديان أو المؤسسات الدينية والمنظمات، أو الثقافات والحضارات أو الشعوب والحكومات، أو الأفراد والجماعات، باعتباره وسيلة فعالة لتبادل وجهات النظر، وإقناع الطرف الآخر بما اقتنع به الطرف المحاور من خلال الحجج والبراهين وقاعدة هامة للعلاقات بين الدول والأمم والشعوب، ومنهاجا قيما للتعامل السلمي، وأداة لتفادي الصدام ومنع الظلم ونشوب الحروب، ويكسب الحوار في الإسلام مكانة مرموقة، ويعتبر قيمة حضارية إسلامية من حيث أسلوب الأنبياء في الدعوة والتبليغ، والإسلام انتشر بالحوار والوعظ والمحاجة والقول الحكيم، فاليوم توجد مئات الملايين من الناس، سيما في إفريقيا وشرق آسيا وأمريكا، دخلت إلى الإسلام عن طريق الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خاطبوا الناس بقدر عقولهم).[3] ويعتبر الحوار كذلك من مبادئ الشرع الحنيف لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[4] وتدعو هذه الآية الكريمة في عمق دلالتها وحقيقة معناها أهل الكتاب الحوار الراقي الهادف باعتبارهم من المثقفين بكتابهم، وأقرب الناس إلى أصول الإسلام، كما

---

[1]- الشيخ محمد علي التسخيري، قيم الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية، ص: 85.
[2]- سورة النحل، الآية: 125.
[3]- رواه الديلمي في مسند الفردوس، (كنوز الحقائق في حديث خير البرية) مكتبة الحلبي المناوي، القاهرة، ط/5، بدون تاريخ، ج/1، ص: 54.
[4]- سورة آل عمران، الآية: 64.

تدعوهم إلى الالتقاء معهم من خلال نقاط التوافق بينهما، والتي منها: عبادة الله وحده وعدم الإشراك بالله، واتخاذ أربابا سواه، ويملأ هذا الأمر أطراف الحوار بالقرابة الفكرية والروحية.

وبهذا نتأكد أن الحوار من خلال منظور الإسلام ومفهوم الفكر الإسلامي هو قوة وسلاح من أسلحة السجال الثقافي، والمعركة الحضارية، وهو وسيلة ناجحة في الدفاع عن المصالح العليا للأمة، وشرح قضاياها، وإبراز اهتماماتها، وتبليغ رسالتها، وإسماع صوتها، وإظهار حقيقتها، وكسب الأنصار لها، وجلب المنافع إليها، ودرء المفاسد.[1]

[1]- الشيخ محمد علي التسخيري، قيم الحوار والتعايش في الرؤية الإسلامية، ص: 95.

المبحث الثاني: الإسلام وأهل الكتاب

وقف الإسلام في تعامله مع غير المسلمين موقفا متسامحا، واتخذ منهاجا في بناء علاقاته مع أتباع الديانات الأخرى وفق مدلول الآية الكريمة التي تعد دستورا أساسيا في معاملة المسلمين لغيرهم من البشر، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[1] وهذا يعني: أن العلاقة بين المسلمين وغير المسلين يجب أن تقوم على أمر عظيم من العدل تتجلى مظاهرها من خلال هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعامله مع غير المسلمين فكان صلى الله عليه وسلم يزورهم ويقدم لهم العطايا ويقبل منهم الهدايا، وقبل الجزية من المجوس، وعقد لهم الذمة وأمر بأن تسن للمشركين سنة أهل الكتاب، فقد روى محمد بن الحسن الشيباني – صاحب أبي حنيفة ومدون مذهبه – أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع على فقرائهم، وكانوا وقتها على الكفر قائمين.[2]

وروى الإمام البخاري عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – قالت (قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي صلى اله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة "أي راغبة عن الإسلام" أفاصلها ؟ قال نعم، صلي أمك).[3] وإذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع غير المسلمين الذين ينتمون إلى دين وضعي؟ فماذا ترى كيف يكون موقف الإسلام من الديانات السماوية الأخرى الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تسن بالمشركين في المجتمع الإسلامي سنن أهل الكتاب؟

---

[1]- سورة الممتحنة، الآية: 8.
[2]- علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الريالة، دمشق، ط/1، سنة 1982، ص:45.
[3]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، رقم الحديث: 5979، ج/ 2، ص: 152.

أولا: موقف الإسلام من أهل الكتاب

ثبت في القرآن الكريم أن دعوة الأنبياء والرسل –عليهم السلام – كانت واحدة: وهي الإسلام، أي إفراد الله تعالى بالعبادة، وإن تعددت شرائعهم مواكبة لتطورات الحياة الإنسانية قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.[1] وقال أيضا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] وأهل الكتاب – هم اليهود والنصارى– على رأي الجمهور وقد خصصتهم للحديث في بيان موقف الإسلام تجاههم لاعتبارات كثيرة منها: معاصرتهم لزمن تنزيل القرآن الكريم وتوجيه القرآن الكريم الخطاب إليهم أكثر من مرة، واستمرار معتقداتهما وتعاليمهما عند أتباعهما، وكثرة الاحتكاك بين معتنقيهما والمسلمين في مجالات كثيرة، وإذا ما علمنا من الصعب اليوم خلو دولة عن اثنين من تلك الديانات الثلاثة مما يكسب المعاملة السلمية بينهما صيغة سلام عالمي ويتضح موقف الإسلام من أهل الكتاب في الأمور الآتية:

1- أصل اليهودية والنصرانية:

اتخذ الإسلام موقف التصديق والتأكيد في أصل ما جاء في توراة موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام واعترف بشرعيتهما في وقت من الزمن، وباعتبار أن الكل يمثل سلسلة التعاليم والتشريعات الربانية على مر العصور، فالتوراة جاءت مصدقة لما قبلها من الكتب أو الأسفار ومؤكدة لها، ثم جاء كذلك الإنجيل مصدقا لما بين يديه من التوراة ومؤكدا على ما جاء فيها، ثمّ جاء القرآن الكريم بدوره مصدقا للإنجيل، ومؤكدا على تعاليمه التي من شأنها الاستمرار والثبات، ومكملا لما في الإنجيل بتشريعات أخرى مما تتطلبه الحياة الإنسانية قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3] وقال أيضاً: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

[1]- سورة آل عمران، الآية: 19.
[2]- سورة آل عمران، الآية: 85.
[3]- سورة المائدة، الآية: 46.

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] فرسالة الإسلام تصدق ما سبقتها من الرسالات السماوية، لأنها امتداد على طول خط الدين الواحد الذي جاء به الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وهي بذلك تصدق هذه الرسالات وتقدرها وتحترمها.

2- تحريف اليهودية والنصرانية وبطلانهما:

بعد تصديق الإسلام لأصل اليهودية والنصرانية وإقراره بحقيقتهما اتخذ منهما موقفا ثانيا، وهو الإشارة إلى أن الديانتين لم تبقيا سالمتين كما جاءتا من عند الله تعالى، بل نال منهما التحريف والتزوير المتعمد من أتباعهما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.[2] وقال أيضا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.[3]

ويستنكر القرآن الكريم هذا التحريف، وكتمان الأحبار والرهبان الحق، وكذبهم على الله، وغلوهم في الدين قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[4] وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.[5] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.[6] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ

[1]- سورة المائدة: الآية: 48.
[2]- سورة المائدة، الآية: 13.
[3]- سورة المائدة، الآية: 15.
[4]- سورة آل عمران، الآية: 71.
[5]- سورة النساء، الآية: 171.
[6]- سورة آل عمران، الآية: 98.

وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[1] إلى غير ذلك من الآيات التي تستنكر على أهل الكتاب تحريفهم وكتمانهم للحق، واتصافهم بالذب والخيانة والمجادلة بغير علم.

وأما وجه بطلان الديانتين – اليهودية والنصرانية – فهما بعد بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يبق لليهودية والنصرانية شرعية تبرر التمسك بأحدهما، ولا صلاحية للهداية إلى الصراط المستقيم، بل تعتبران منسوختين بشريعة خاتم الأنبياء، كما هي السنة التي سار عليها نزول الشرائع السماوية، يعتبر مجيء شريعة جديدة إعلانا بانتهاء العمل بالشريعة التي قبلها، ليبدأ العمل بالشريعة الجديدة، وكانت بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إعلانا بانتهاء العمل بشريعة سيدنا موسى وعيسى عليها السلام، وبالتالي: جاء التبشير في الإنجيل ببعثة سيدنا رسول الله صلى الله كما جاء التبشير في التوراة ببعثة سيدنا عيسى عليه السلام، وورد ذلك على لسان عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.[2]

وقد تكررت البشارة ببعثة سيدنا رسول الله عليه وسلم على لسان الأحبار والرهبان الصادقين المنصفين، فهذا راهب بالشام يلاحظ علامات النبوة في سيدنا (محمد الأمين) فينوه عمه أبا طالب إلى الاهتمام برعايته من كل مكروه[3] وورقة بن نوفل عالم نصراني يطمئن رسول الله صلى الله عليه بمجيء الناموس الذي نزل على موسى قائلا: (هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا "شابا قويا" ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم؟ قال: لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا).[4]

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 78.
[2]- سورة الصف، الآية: 6.
[3]- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق، بدون تاريخ، ج/1، ص: 322.
[4]- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 26486، ج/2، ص: 185.

ويكبر عبد الله بن سلام اليهودي تكبير السعادة من سماع وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم المنتظر إلى المدينة، فتقول له عمته خالد بنت الحارث: (خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، فرد عليه عبد الله قائلا: أي عمه هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه بعث بما بعث به).[1]

وقد جمع القرآن الكريم جميع محاسن الكتب السماوية السابقة لكونه آخر الكتب السماوية وآخر سلسلة الشرائع والتعاليم الربانية، واستوعب محتوياتها مما جعله مهيمنا وأمينا على جميع الكتب المتقدمة قال ابن جريح: (القرآن الكريم أمين على الكتب السابقة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل).[2]

ثانيا: المعاملة مع أهل الكتاب

إن وقوف الإسلام على أصل اليهودية والنصرانية موقف التصديق والاعتراف والحكم عليها بالبطلان بعد بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنع من أن يضع الخطوط العريضة في التعامل على من لم يستجيب لدعوته، لأنه يقر بحرية التدين، فلا يجبر أحدا على الدخول فيه، وسمح للمسلم أن يبني العلاقات مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى في كثير من الأمور الدنيوية التي لا يتصل بالعقيدة والعبادة.

وقد خص الإسلام أهل الكتاب بامتيازات كثيرة دون غيرهم من الديانات الأخرى، لكونهم أقرب إلى معتقدات المسلمين، يجمعهم مع المسلمين رحم واحد، وإن كانت مودة المسلمين أقرب إلى قلوب النصارى من اليهود لقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

[1]- ابن هشام، السيرة النبوية، ج/1، ص: 736.
[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الشعب، القاهرة، ط/2، 1971م، ج/2، ص: 65.

أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.[1]

ومن أهم هذه الامتيازات:

1- سمى القرآن الكريم اليهود والنصارى "أهل الكتاب" أي الذين يعتقدون دينا سماويا، ولهم كتاب منزل من عند الله، وهذه التسمية في حد ذاتها إكراما لهم وتمييزا بينهم وبين المشركين والملحدين، ويلاحظ أن القرآن الكريم يذكر أنبياءهم دائما بكل تقدير وإجلال، ولا نفرق بين أحد من الرسل، ولا من بين الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى، فالكل مادة إيمان المسلمين، فلا يتوفر الإسلام في مسلم إلا إذا آمن برسالة موسى عليه السلام والتوراة التي أنزلت معه، وبرسالة عيسى عليه السلام والإنجيل الذي أنزل معه.

وقد شاع عند الفقهاء تسمية أهل الكتاب ب"أهل الذمة" أي أهل العهد والأمان من اليهود والنصارى ومن في حكمهم ممن يقيمون في المجتمع الإسلامي وسموا ب"أهل الذمة" لأن لهم عهد الله ورسوله وعهد جماعة المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين[2] والذمة تشبه حاليا ما يسمى في المعاصرة ب "بالجنسية" التي تعطيها الدولة لرعاياها والقاطنين في أرضهم وقد سماهم البعض "حاملي الجنسية الإسلامية"[3]

وهاتان التسميتان–أهل الكتاب وأهل الذمة– رفيقتان تعبران عن العاطفة الصادقة والتقدير العميق الذي يكنه الإسلام والمسلمون تجاه اليهود والنصارى.

[1]- سورة المائدة، الآية: 82.
[2]- ابن قدامة، المغني، ج/8، ص: 396.
[3]- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ج/1، ص: 307.

2- قد أباح الإسلام للمسلمين أطعمة أهل الكتاب وذبائحهم ما لم تكن مما حرمته الشريعة الإسلامية مثل الخمر والميتة ولحم الخنزير والدم المسفوح وما ذبح لغير الله قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾.[1]

ويتفرع على حل أطعمة أهل الكتاب جواز تبادل الهدايا بينهم وبين المسلمين، لأن أمر الهدايا ليست بأخطر من الأطعمة، وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أهدى إليه ملوك غير المسلمين.[2]

3- أحل الإسلام المصاهرة بين المسلمين وأهل الكتاب، حيث أباح للمسلم أن يتزوج بالحرائر العفيفات من الكتابيات، وأثبتت الشريعة للزجة الكتابية من الحقوق والواجبات ما للزوجة المسلمة، وضمنت لها الحق الكامل والحرية التامة في البقاء على دينها والقيام بشعائرها الدينية في بيت زوجها المسلم، والتوجه إلى كنيستها أو بيعها وأن للزوج المسلم أن يرافقها إلى معبدها إذا خاف عليها. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.[3]

ويعتبر هذا الأمر من أبرز مظاهر المعاملة مع غير المسلمين في الإسلام، إذ أباح للمسلم أن يجعل شريكة حياته من الكتابيات يقاسمها أسرارها ويجعلها أما لأولاده ومربية لهم.

أما زواج الكتابي بالمسلمة فمن المحرمات في الشريعة الإسلامية بإجماع المسلمين.

4- جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم تحض المسلمين على التأدب والاحترام تجاه أهل الكتاب، فمن هذه النصوص الكريمة:

---

[1]- سورة المائدة: الآية: 5.
[2]- سنن الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في قبول هدايا المشركين، رقم الحديث: 1578، ج/ 1، ص: 210.
[3]- سورة المائدة، الآية: 5.

أ- النهي عن مجادلة أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.[1]

ب- النهي عن الاعتداء عليهم أو إيذائهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من آذى ذميا فقد آذى الله ورسوله).[2]

ج- وجوب الدفاع عنهم ضد كل من يعتدي عليهم، سواء من المواطنين أو غيرهم.

د- جواز زيارتهم وعيادتهم إذا مرضوا، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى غلاما من اليهود وكان مريضا يعوده، فقعد عند رأسه، فقال صلى الله عليه وسلم "أسلم" فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم الغلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).[3] إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تحض على احترام أهل الكتاب وحسن معاملتهم، والنماذج السامية عن عقود الذمة المبرمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب، كلها تعبر عن مكانة أهل الكتاب في الإسلام، ولا شك أن هذه المساحة الواسعة في مجال معاملة المسلمين مع أهل الكتاب دون غيرهم، خير شاهد على اعتراف الإسلام بالأصالة اليهودية والنصرانية في فترة من الزمن، والحكم عليهما بالبطلان بعد بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسماحة بالتعامل معهم في كل ما يتعلق بالأمور العقدية والتعبدية.

[1]- سورة العنكبوت، الآية: 46.

[2]- محمد ناصر الدين الألباني، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ 3، 1405هـ، رقم الحديث: 1356، ج/1، ص:402.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه رقم الحديث: 1356، ج/1، ص: 402.

المبحث الثالث: التعامل في المجتمعات الإسلامية

تبين فيما سبق أن الإسلام يحتوي في تشريعاته على قيم أخلاقية عالية ومبادئ إنسانية عادلة يؤدي التحلي بها إلى خلق مجتمع متسامح لا غلو فيه ولا تطرف، ولا تعصب ولا عنف ولا إرهاب، بل يستوي فيه الجميع أمام القانون من حيث الحقوق والالتزامات.

ولما كان الإسلام في تشريعاته وتوجيهاته يجمع بين التعليم والتطبيق، ربى المسلم على الالتزام بتلك القيم والمبادئ عمليا، لذا حفل تاريخ الإسلام بنماذج رائعة من السلوكيات الفاضلة التي قام بتمثيلها أعلام الإسلام وعلى رأسهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة رضوان الله عليهم ثم التابعون وتابعوهم إلى اليوم، مما يقف شهادة على واقعية معاملة المسلمين لغيرهم في مجتمعاتهم عبر العصور على أحسن الوجه.

وفي إطار هذه الشهادة يأتي هذا البحث المتواضع ليبرز مظاهر المعاملات التي تبلورت في رحاب المجتمعات الإسلامية، وهي مظاهر تتجلى في واجهات ثلاث:

الأولى: داخلية ترتبط بالمسلمين المكونين لهذا المجتمع كلا أو أغلبية.

الثانية: داخلية ترتبط بالأقليات غير المسلمة في المجمع الإسلامي.

الثالثة: خارجية تتصل بعلاقات هذا المجتمع مع غيره من المجتمعات المخالفة له

أولا: المجتمع الإسلامي ومكوناته

إذا كانت الدولة الإسلامية هي الدولة التي تتخذ الإسلام منهاجا لحياته ودستورا لحكمها ومصدرا لتشريعاتها وتوجيهها في كل شؤون حياتها وعلاقاتها، فإن الذين يقطنون أراضيها ويكونون أعضاءها يشكلون مجتمعا إسلاميا ولو اختلفت دياناتهم، فالمجتمع الإسلامي إذن هو مجتمع يقوم على عقيدة خاصة، وهي الإسلام ومنها تنبثق نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه.[1]

وبعبارة أخرى: (المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يقيم مبادئ الإسلام في الواقع المعيش).[2]

ويتضح من خلال هذين التعريفين أن المجتمع الإسلامي يتكون من الذين يتخذون الإسلام دينا ومنهاجا لحياتهم، ومن غير المسلمين الذين يقيمون داخل المجتمع الإسلامي، مما يعني أن الإسلام لا يحكم بالفناء على العناصر التي تدين بغير المسلم داخل مجتمعه، بل باعتباره مجتمعا مفتوحا وأمة شاهدة على غيرها، وخير أمة أخرجت للناس يحتاج إلى الاحتكاك مع أتباع الديانات الأخرى قصد التأثير والتأثر، والإفادة والاستفادة، والأخذ والعطاء.

ثانيا: أعضاء المجتمع الإسلامي

شاءت إرادة الله تعالى أن تتكون الدولة الإسلامية منذ نشأتها الأولى بالمدينة المنورة وتحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رعايا مختلف الديانات: المسلمين من المهاجرين والأنصار واليهود والمنافقين وبقايا مشركي المدينة.[3]

ويطلب على أعضاء المجتمع الإسلامي رعايا المجتمع أو مواطنو المجتمع –حسب لغة العصر– وللمواطنة في المجتمع الإسلامي أساسان هامان:

---

[1]- د/ يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/2، 1982م، ص: 5.
[2]- د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ط/1، 1998م، ص: 155.
[3]- محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص: 75.

1- الإيمان بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.
2- الولاء للنظام المعمول به في المجتمع الإسلامي.[1]

وهذان الأساسان يتحققان في المسلم الذي يقطن في المجتمع الإسلامي، وأما المسلم الذي يقيم في مجتمع غير إسلامي، فلا يعد من مواطني المجتمع الإسلامي، لانقطاع الولاية، وإن لم يمنع ذلك من وجوب النصر إذا تعرض لاضطهاد في دينه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[2]

وأما بالنسبة لغير المسلم المقيم داخل المجتمع الإسلامي فأساس المواطنة عنده هو الولاء للنظام المعمول به داخل المجتمع، وذلك بالدخول في عقد الذمة الذي بموجبه يحظى بالمواطنة، ويحتفظ بدينه وما يتعلق به كاملا كما هو، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾.[3] وعلى هذا يمكن القول: إن المجتمع الإسلامي يتكون من المواطنين المسلمين والمواطنين غير المسلمين، وللمواطنين المسلمين فضل على المواطنة غير المسلمين، حيث يتوفر فيهم الأساسان معا: الإيمان والولاء: بينما لا يتوفر في غيرهم إلا أساس واحد، وهو: الولاء فقط، وهذا ما يكسب المعاملة بين طوائف المسلمين طابعا مميزا عن تعاملهم مع غيرهم سواء داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه، ويتبن في النقاط الآتية:

[1]- سور حمن هدايات، التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، دار السلام، بيروت، ط/، 1 بدون تاريخ، ص:319.
[2]- سورة الأنفال، الآية: 72.
[3]- سورة التوبة: الآية: 29.

المعاملة بين المسلمين داخل المجتمع الإسلامي:

إذا كان الإسلام يعطي متسعا للتعامل مع غير المسلمين داخل مجتمعه فلا بد أن يكون هذا المتسع فيما بين المسلمين أفصح وأعمق من غيره، نظرا لكونهم ركن المجتمع الإسلامي، ولتوفرهم على أساس الانتساب إليه، وأن بهم تتم الشهادة والخيرية للأمة المحمدية، ولذا اهتم الإسلام بقضية المعاملة وحسن التفاهم بين المسلمين بالغ الاهتمام، حتى تبقى الأمة وحدة صلبة مترابطة ومتماسكة، تندفع نحو السمو والتكامل، وتنفتح على كل مجالات الحياة حاملة رسالة إنسانية وضارية كبرى وداعية إلى إعلاء الحق والعدل، ولتحقيق هذه المهمة دعا الإسلام المسلمين إلى الاتحاد وأسس لذلك رابطتين أساسيتين بهما يتحقق التعامل فيما بينهم والانسجام بين مختلف الأجناس داخل الوحدة الإسلامية وهما:

1/ رابطة الإيمان:

والإيمان هنا: كل ما يتضمنه الإيمان بوحدانية الله وبرسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتجلى مظهر التعامل بين فئات المسلمين في هذه الرابطة، أنها تمثل أهم المقومات المجتمع الإسلامي، وبها اتفقت الأفهام، واجتمعت قلوب الملايين من البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم في يقين لا لبس فيه على الإيمان بحقيقة الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.

وأن رسالة سيدنا رسول الله خاتمة لما سبقتها من الرسالة وموجهة إلى الناس كافة والإسلام الذي جاء به دين متكامل وشامل يتسم بالسماحة والاعتدال واليسر والمرونة، قابل للتعامل مع الآخرين والتعارف، صالح لكل زمان ومكان، هادف إلى تحقيق سعادة الدنيا والإعداد لسعادة الآخرة.

ولا شك أن مكانة هذه الرابطة في توحيد صفوف المسلمين هي ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يمكث ثلاثة عشر سنة يدعو فيها إلى ترسيخ هذا المبدأ في قلوب الجيل الأول من هذه

الأمة، ويتحمل الكثير من أذية المشركين وسخريتهم، وترك بلده مكة مهاجرا إلى المدينة المنورة، ومعه الصحابة –رضوان الله عليهم.

وبعد ترسيخ هذا المبدأ في الأذهان والإيمان المطلق بحقيقته، توحدت قبلة المؤمنين، واجتمع اهتمامهم، وانتظمت مشاعرهم، وتحددت أفكارهم وأهدافهم، فانتقلوا بذلك من العصر الجاهلي عالم الهمجية والغوغائية إلى عصر المعرفة عالم النور والحضارة.

واليوم بواسطة هذه الرابطة توجد مئات الملايين من البشر مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم تضمهم رابطه الإيمان والعقيدة الإسلامية.

2/ رابطة التضامن:

تعتبر رابطة التعاون أوسع مجال لما ستضمنه الرابطة الأولى، فبعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أسس المجتمع الإسلامي الأول على ركيزة من الألفة والصفاء والمودة وإخلاص السريرة بين طيات قلوب الأفراد، وكان لهذا العمل أثره المحسوس في سرعة الامتزاج والاندماج بين الأفراد بعضهم بعضا، في مظهر الإخاء الكامل الذي كان له السمة البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية، وإزالة الحواجز النفسية والمواقع العصبية بين أعضاء المجتمع.

وهذه الصفات التضامنية التي بدأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تأسيس أول مجتمع إسلامي تجدها في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.[2] وقوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد

[1]- سورة آل عمران، الآية: 103.
[2]- سورة التوبة: الآية: 71.

بعضهم بعضا)[1] وقوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)[2].

ويتجلى مظهر التعامل فيما بين المسلمين من خلال دعائم ثابتة من مكونات المجتمع الإسلامي.

أ/ دعامة الأخوة والمودة:

تعتبر دعامة الأخوة والمودة من الروابط الأساسية التي يقوم عليها الحياة في المجتمع الإسلامي على أساس أنها هي الرابطة التي تقرب المسلمين بعضهم إلى بعض وتعلو كذلك كل رابطة خارج إطار الإسلام سواء منها رابطة البنوة أو الأبوة أو الإخوة أو الوطن وغيرها، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾.[4]

وقد ألح القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ضرورة التمسك بهذه الدعامة في مواضع كثيرة نظرا لأهميتها في خلق الثقة والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[5] أي: لا ينبغي أن تكون بينهم عداوة قال تعالى:

[1]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم الحديث: 6026، ج/3، ص: 85.
[2]- رواه النسائي في سننه في كتاب القسامة، باب القود بين الأحرار في النفس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1991م، رقم الحديث: 6936- 6937، ج/1، ص: 451.
[3]- سورة المجادلة، الآية: 22.
[4]- سورة الممتحنة، الآية: 1.
[5]- سورة الحجرات، الآية: 22

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.[1] أي: هم إخوة في الدين يؤيد بعضهم بعضا ويساندهم وينصرونهم ويعضدونهم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسالم مبرزا ما ينبغي أن يكون بين المؤمنين من تآزر ومحبة ومودة ومساندة وإشفاق: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).[2]

وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).[3] وقوله عليه السلام: (وكونوا عبادا الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره.. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه، كل المسلم حرام دمه وماله وعرضه).[4]

وبعد أن تمكن هذه الدعامة في المجتمع الإسلامي في عهده الأول، وأصبح تفعل فعلها في ترابط أطراف المجتمع وخلق الإيثار وحب الخير للآخر وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.[5] أي يفضلون الآخر ويقدمونه ويخصونه بالشيء ولو كانت بهم حاجة وهو ما يعرف بالإيثار.

ب/ دعامة التكافل الاجتماعي:

إنّ التكافل الاجتماعي مظهر من مظاهر التضامن، وهو أن يكون الفرد في كفالة الجماعة بأن تحتفظ له مصالحه الحيوية وترد عنه الأضرار.[6]

---

[1]- سورة التوبة، الآية: 71.
[2]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراجم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: 2586، ج/2، ص: 312.
[3]- رواه البخاري في صحيحه، باب من الإيمان أن يجب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث: 13. ج/3، ص: 59.
[4]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم الحديث: 2564، ج/ 1، ص: 85.
[5]- سورة الحشر، الآية: 9.
[6]- د/ عباس الجراري، مفهوم التعايش في الإسلام، ص: 25.

ويعني: التكافل الاجتماعي في الإسلام: أن يشعر الفرد المسلم بالتحمل والمشاركة في حل الأزمات إزاء أخيه المسلم الذي يعيش معه في مجتمع واحد، تربطهما وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف ورابطة الأخوة والمودة.[1]

فعلى جميع القوى الإنسانية في ظل هذا المجتمع ألا يدخر جهدا في سبيل المحافظة على مصالح الأفراد، ولا يتوانى في تقديم العون والمساعدة إلى إخوته من العجزة والضعفاء من الأرامل واليتامى والفقراء والمساكين والمرضى، ولا يقعد عن حل مشكلاتهم، وبهذا يأخذ التكافل الاجتماعي والتضامن الأخوي الإسلامي مجراها الطبيعي في نطاق تحقيق إنسانية الفرد والمجتمع بكل ما تتطلبه الإنسانية من غذاء وأمن وعدل وفضيلة وإيمان، وبكل ما تتطلع إليه النفس البشرية من رخاء وسعادة وحرية وعزة وكرامة وغير ذلك من الضروريات التي بدونها لا تقوم حياة الفرد في المجتمع على وجه سليم.

وتظهر مكانة دعامة "التكافل الاجتماعي" وأهميتها في الحياة الاجتماعية ودعم التعامل والاستقرار داخل المجتمع، أن وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة لتكون لبنة أساسية لها قوله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله كربة من كرب الآخرة، ومن يسر على مؤمن يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه).[2] وقوله صلى الله عليه وسلم: (من كان له فضل زاد فليعد به من لا زاد له).[3] وقوله صلى الله عليه وسلم: (أيما عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى).[4] وغيره ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وقد دفع هذه الأحاديث الكثيرة الإمام ابن حزم الأندلسي ومن وافقه من العلماء إلى القول بتحميل سكان بلد المسؤولية في موت فرد من

[1]- د/ عباس الجراري، مفهوم التعايش في الإسلام، ص: 26.
[2]- جزء الحديث في صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: 2699، ج/2، ص: 79.
[3]- صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال، رقم الحديث: 1728، ج/1، ص: 153.
[4]- الإمام البخاري، الأدب المفرد، باب من لا يشبع دون جاره، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/4، 1997م، رقم الحديث: 112، ص: 152.

أفراد هذا البلد بسبب الجوع، مما يجعل التكافل الاجتماعي في الإسلام يتجاوز مجرد الإنفاق على الآخرين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه).[1]

وهكذا تم بناء المجتمع الإسلامي الأول على أساس التضامن والتكافل الاجتماعي، فأصبح يعكس صورة رائعة للمجتمع المثالي، واضحة المعالم، متماسكة الأطراف، سهل الألفة، يشد المؤمن فيه أزر أخيه، ويقف بجانيه يشاطره المحن والإحن ويمسح عن وجهه الكآبة والحزن، ويرفع عن كاهله الأحمال الثقال بقدر ما يستطيع إلى ذلك سبيلا، فصاروا بذلك يمثلون جسدا واحدا، وروحا واحدة في الإحساس بالألم، والشعور بالمشاركة في الحياة العملية داخل المجتمع.

ج/ دعامة الشعور بالمسؤولية:

إن دين الإسلام يتسم بالفردية على أساس أن الدين تخص الفرد من حيث هو علاقة بين الإنسان وخالقه بكل ما تقتضيه هذه العلاقة من طاعة وخشوع وتحمل، كما يتميز في الوقت نفسه بالجماعية لارتباطه بتكوين المجتمع الشرعي له فوانين ومبادئ وأحكام تضبط مختلف شؤونه، فالإسلام دين ينطبق من الفرد إلى الجماعة لذا اهتم به عناية فائقة على أساس أن كل ما يخصه يقضي في النهاية إلى الجماعة إما إيجابا أو سلبا، إذ المجتمع في آخر المطاف هو الفرد الذي يشكل الأساس واللبنة الأولى والنواة التي تعطي الثمار، ومن هنا كان إعداد الأفراد على المنهج القويم لمجتمع صحيح، لأن نطاقه يتسع شيئا فشيئا من خلايا وأسر ثمّ تنمو بالتدرج إلى أن يصل إلى المجتمع.

ومن أوجه عناية الإسلام بالفرد أن جعل الحياة في المجتمع تقتضي أن يشعر كل فرد فيه أنه مسؤول يتحمل قسطا من الأمانة المنوطة بالأمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه، رقم الحديث: 13، ج/2، ص: 350.

راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[1].

إن هذه المسؤولية لتمس ظاهرة الحياة وباطنها، وما يعلنه الإنسان وما يخفيه، كما أنها متبوعة بمحاسبة تقتضي ضميرا حيا يقظا يراعي الله والناس والنفس، ومن خلال هذه المبادئ والقيم التي تضبط هذه المحاسبة، وارتباطها بالأعمال الصالحة، ذكر سبحانه الناس بها: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[2]

د/ دعامة الآداب الأخلاقية والسلوكية:

سبقت الإشارة إلى مجموعة من الفضائل ومكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام، وهي في جملتها وما تلازمها من الآداب الأخرى من مجال العلاقات الإنسانية تمثل جزءا مهما من هذه الدعامة الكبرى التي تعبر قاعدة هامة في مجال المعاملة السلمية.

وحفاظ على حسن سيرورة المعاملة السلمية بين أفراد المجتمع الإسلامي وضع الإسلام مجموعة من الآداب لضبط سير المسلم فيه حتى يبقى هادئا مهذبا منظما سائرا على الفضائل ومكارم الأخلاق، وتتمثل هذه الآداب في القواعد القانونية التي تحافظ على سبر النظام العام وفق ما تتطلبه الشريعة الإسلامية، كبر الوالدين واحترام حقوق الجوار، والاستئذان عند إتيان البيوت، وإفشاء السلام، وإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الأخلاق الحسنة التي شرعها الإسلام والنهى عن الفحشاء والمنكر وإيذاء المسلم وسبه وتخويفه أو الاعتداء عليه بالظلم أو السرقة أو الزنى أو القتل أو الجراح، وما إلى ذلك من أنواع الاعتداء على الغير في حقوقه وأعراضه.

[1]- سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية، رقم الحديث: 2928، ج/1، ص: 312.
[2]- سورة التوبة الآية: 105.

وبالمقابل قد وضع الإسلام الحدود في الجرائم وكل ما يخرق سير المجتمع وفق ما تخططه الشريعة وشدد بعضها تشديدا يتناسب مع صيانة حياة كل فرد وماله وعرضه وحرماته فشرع القصاص في القتلى والجروح حماية لأفراد المجتمع وصيانة لأرواحهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[2] وشدد كذلك في عقوبة الزنى لما فيه الاعتداء على عرض الآخرين والعبث بحرماتهم، ونشر الفاحشة في المجتمع، وينشأ من تدليس في الأنساب، وجعل حد المحصن الرجم، وغير المحصن مائة جلدة.

وجعل ثمانين جلدة عقوبة للقاذف في أعراض المؤمنات والمؤمنين، وتفسيقا بعدم قبول شهادته، كما جعل قطع اليد عقوبة للسارق أو السارقة لاعتدائه على ملك الناس وعلى حقوقهم في الأمن، ومن نتيجة ترسيخ هذه الدعامة في أذهان المسلمين أن عاشوا داخل المجتمع في أمن وسكينة وطمأنينة، وتعاملوا على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم مشارق الأرض ومغاربها في انسجام وسلم ووئام، يمثلون جسدا واحدا في تكاملهم وتضامنهم، ويدا واحدة على من سواهم، وتمكنوا من إنشاء حضارة إسلامية رائعة تبلور فيها نور العلم والمعرفة وقيمة الإنسان في إنسانيته، مما كان له أعمق التأثير على تطور الفكر ورقي الأخلاق.

وليس معنى هذا أن المسلمين لم يعرفوا عبر تاريخهم الطويل فترات من الاضطرابات والمشاكل الداخلية، بل عاشوا فترات صعبة للغابة من صراعات واضطرابات وتحولات ألقت سلبيات كثيرة عانوا بسببها في حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم، وخاصة بين الشيعة وأهل السنة والخوارج، ومهما بلغت درجة هذا الصراع لم أجد –حسب اطلاعي القاصر– طائفة معينه أو فرقة من المسلمين ضاقت بها الأرض بما رحبت لعدم تمكنه من التعامل السلمي بين المسلمين ومساكنتهم، ففضل السكنى في مجتمع واحد، اللهم إلا ما كان فرارا من جور حاكم أو تسلط جبروت، ورغم

[1]- سورة البقرة، الآية: 178.
[2]- سورة البقرة، الآية: 179.

الاختلاف في بعض الأفكار والمبادئ تعاملوا وتعايشوا وتساكنوا جنبا إلى جنب، متخذين الحوار وسيلة المثلى للتقارب والتفاهم، بل كانت قصور الملوك والأمراء ملتقى فكريا وثقافيا للتحاور والتناظر بين مختلف الطوائف والمذاهب والأديان، مما يعني أن المسلمين داخل مجتمعاتهم تعاملوا مع بعضهم في الماضي، وما زالوا يتعاملون في الحاضر، تجمعهم رابطة العقيدة وروح التضامن الإسلامي.

قال ماسينيون: (وللإسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام، ماض كله التوفيق في جمع الشعوب المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات، ولقد برهنت الطوائف الإسلامية الكبرى في إفريقية والهند والجماعات الإسلامية في الصين واليابان على أن الإسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التي لا سبيل إلى التوفيق بينها)[1].

وقد تبين فيما سبق أن المجتمعات الإسلامية تكونت عبر التاريخ، وفي أغلب الأحيان من المسلمين، وغير المسلمين على السواء، وقد وضع الإسلام وضعا نماذجاً من التعامل السلمي بين مختلف الأجناس والعناصر والمعتقدات المبنية على العدل والتسامح والوفاق بين متطلبات السلطة الدينية من جهة، وبين متطلبات الحياة المشتركة من جهة أخرى.

[1]- د/ علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص: 34.

المبحث الرابع: أوضاع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وخارجها

غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية إما يكون ذميا أو مستأمنا[1] وكل واحد من هذين الصنفين أظهر الإسلام من التسامح المفضي إلى المعايشة والمعاملة، وليس فقط ما يكفل له حرية ممارسة شعائره الدينية، لكن ما يجعله مواطنا في الدولة، مندمجا في مجتمعها، موفور الحقوق والحرية والكرامة غير منعزل ولا مهمش، وشاع بين الفقهاء قاعدة هامة تحدد الوضع القانوني لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الحقوق نفسها التي يتمتع بها المسلمون، وعليهم الواجبات هي نفسها التي يلتزم بها المسلمون وربما كان أصل هذه القاعدة من معنى الحديث الذي ذكره الإمام الكاساني في كتابه "بدائع الصنائع" حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإذا قبلوا عقد الذمة فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين)[2].

ومهما يكن الكلام حول هذا الحديث فإن معناه مقبول عند الفقهاء، وقد نقل عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا).[3] وقال الإمام السرخسي: (ولأنهم قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم).[4] وكانت هذه القاعدة تساوي بين المسلمين وغيرهم من الحقوق والواجبات داخل المجتمع الإسلامي، ويميز بينهما في بعضهما، وخاصة الحقوق والواجبات التي تنبي على العقيدة الإسلامية، أو التي تتعلق بالمصلحة العليا للدولة الإسلامية، كإمارة المؤمنين مثلا، التي تعتبر السلطة العليا في الدولة الإسلامية، والقضاء الذي يقوم على التحكيم بين الناس وفق أحكام الشريعة الإسلامية، والزكاة التي تجب على المسلم في ماله دون غيره، وإمارة الجهاد الذي فيه الدفاع عن دار الإسلام، والجهاد

[1]- د/ عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مكتبة القدس ومؤسسة الرسالة، دمشق، ط/1، 1982، ص: 46-47.
[2]- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيبي الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2/ 1986، ج/2، ص: 114.
[3]- علي بن عمر الدار قطني، سنن الدارقطني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1996م، ج/2، ص:58.
[4]- الإمام محمد بن الحسن الشيباني، شرح السير الكبير، دار ابن حزم، بيروت، ط/1، 1995م، ج/3، ص: 150.

الذي يجب على المسلم دون غيره، وإن كان يمكن للغير من أهل الذمة أن يساهم في واجب الجهاد وفق ما تقتضيه المصلحة من دون إكراه.

ولا يمكن أن يشكل هذا النوع من التمييز غرابة بين المسلمين وغيرهم إذا ما علمنا أن الدولة محكومة بسلطة دينية إسلامية، لا تملك الخروج على أحكامها، ويشترط الإسلام فيمن يرشح لهذه المناصب توفر شروطها التي منها: الإسلام، وهو غير متوفر في غير المسلمين.

ونجد إلى جانب هذه القاعدة نصوص العقود التي أبرمت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وبين أهل الذمة تبين مجمل الحقوق والالتزامات بين المسلمين وأهل الذمة كما يلي:

أولا: حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي

يشمل حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي محورين اثنين هما: الحق في الحماية، والحق في الحريات العامة.

المحور الأول: الحق الحماية

كان ضمان الحماية لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي يشمل الحماية الداخلية والحماية الخارجية وبيانها كالآتي:

1/ الحماية الخارجية:

يوجب الإسلام على المجتمع الإسلامي أن يؤمن كالآدميين من العدوان والاعتداءات الخارجية، كذلك توجب المسؤولية الحاكم المسلم على رعيته أن يوفر لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الحماية اللازمة من جميع أنواع الاعتداءات الخارجية كما يوفرها ويضمنها للمواطن المسلم، قال ابن حزم: (إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدون، وجب علينا

أن نخرج لقتالهم بالكراء والسلاح، ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة).[1]

وقد حكي في ذلك إجماع الأمة المحمدية، وسار المسلمون في ضمانهم الحماية اللازمة لأهل الذمة من الاعتداء الخارجي، ويشهد على ذلك تاريخ الإسلام الحافل بالأمثلة الرائعة لدفاع المسلمين عن أهل الذمة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: موقف الشيخ تقي الدين ابن تيمية حين استولى التتار على الشام وأراد ملكهم أن يحرر الأسرى المسلمين فقط دون غيرهم، فإذا بالشيخ ابن تيمية يعترض بالشدة على هذا القرار ويطالب بتحرير كل المسلمين والنصارى على السواء، موضحا بأننا لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من المسلمين وغير المسلمين، لأنهم أهل ذمتنا، فلا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من الملة، بل أوجب الشيخ على المسلمين متابعة القتال حتى يحرر الجميع، فلما رأى الملك التتار إصرار الشيخ على موقفه، أطلق سراح جميع الأسرى.[2] وكذلك موقف القائد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من أهل حمص، حينما رد إليهم أموالهم التي دفعوها للجيش الإسلامي مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي بسبب انسحاب المسلمين من حمص، وعجزهم عن ضمان حماية أهلها من الاعتداء الخارجي).[3]

2/ الحماية الداخلية:

أوجب الإسلام على مجتمعه توفر الحماية اللازمة لغير المسلمين المقيمين فيه من جميع أنواع الاعتداءات الداخلية كما يوفرها للمواطن المسلم،على نحو يكفل لهم الحياة الكريمة، ويجعلهم سعداء في أمور دينهم ودنياهم، قال الإمام القرافي: (إن عقد الذمة موجب لعصمة الدماء وصيانة الأموال والأعراض إلى غير ذلك مما يترتب عليه، وحقيقة عقد الذمة هو التزامنا لهم بذلك).[4]

[1]- الإمام القرافي، الفروق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1998م، ج/3، ص: 14.
[2]- الشيخ ابن تيمية، الرسالة القبرصية، دار ابن حزم، بيروت، ط/ 2، 1990م، ص: 40.
[3]- أبو يوسف، الخراج، دار المطبعة السلفية، القاهرة، ط/5، 1396هـ، ص: 146.
[4]- القرافي، الفروق، ص: 32.

ويمكن القول: إن الحماية الداخلية لغير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي يشمل جميع مقومات الحياة كما يلي:

أ- **الحماية من الظلم الداخلي:**

أوجب الشريعة الإسلامية على الدولة التي تسير وفق منهجه حماية غير المسلمين المقيمين بالمجتمع الإسلامي من أن ينال منهم مواطن آخر، كما أوجب على المسلمين بحق الأخوة الدينية، وكذلك على غير المسلمين المشاركة في منع الظلم على المسلم أو على بعضهم بموجب ولائهم للدولة، ووفائهم بما تطلبه الحياة المشتركة.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في تشنيع ظلم الذميين أو التعدي على حق من حقوقهم، ومن ذلك قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا فانا حجيجه يوم القيامة)[1] وقوله صلى الله عليه وسلم: (من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة)[2] إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الواردة في النهي عن الاعتداء على أهل الذمة.

وقد وجدت هذه النصوص الكثيرة آذانا صاغيا عند عامة المسلمين وخاصتهم، واتخذت رأيا إسلاميا عاما، وشكل عملا حضاريا من أعمال الأمة، وقد ساعدهم في ترسيخ هذه النصوص الكثيرة والعمل بمقتضاه، والتواصي بالحق بين أفراد الأمة وحرص الخلفاء المسلمين على أداء مسؤوليتهم على أحسن وجه، واستقلال القضاء وشجاعة العلماء فكان كل شكوى مقدمة يلقي آذانا صاغيا، وكل ظلم يقع على أحد من المواطنين – مسلما كان أو غير مسلم – رد حق المظلوم.

وسجل التاريخ الإسلامي نماذجا رائعا يدل على عدالة النظام الإسلامي، وحرصه على إنصاف المظلوم مهما كانت مكانته الاجتماعية والثقافية، ويكفي في ذلك: موقف الإمام الأوزاعي

[1]- رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تشعير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، رقم الحديث : 2052، ج/3، ص: 288.
[2]- رواه الخطيب عن ابن مسعود وقال: حديث حسن، انظر: الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للسيوطي، المكتبة الحلبوني، دمشق، بدون تاريخ، رقم الحديث: 828، ج/2، ص: 152.

حين أنكر على الوائل العباسي "صالح بن علي" عندما أجلى قوما من أهل الذمة من جبل لبنان، فكتب إليه قائلا: (وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم، ما قد علمت، فكيف تؤخذ العامة بذنوب خاصة؟ حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله (ولا تزر وازرة وزر أخرى).[1]وهو أحق ما وقف عنده، واقتدى به، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: (ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه يوم القيامة).[2]

ب- حماية النفوس:

إن حماية النفوس من الهلاك والدماء من السفك والأيدي من الجرح والتعذيب حقوق مقررة لأهل الذمة، ومتفق عليها بين فقهاء الإسلام، فحياة الإنسان مقدسة لا يجوز أن يعتدي عليها أحد، ولذا كان قتل الذمي بغير حق شرعي مانعا من دخول الجنة كقتل المسلم متعمدا موجبا للخلود في النار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، فإن ريحها يوجد مسيرة الأربعين يوما).[3] وقوله صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة).[4]

ج- حماية الأموال:

قد ترتب على وجوب الحماية على الأنفس وجوبها على الأموال، فالمال من ضروريات الحياة التي يجب حفظها من الإتلاف، ولا فرق بين مال المسلم ومال غير المسلم كما قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا).[5] وتظهر حماية الأموال جليا في كثير من المعاهدات التي كانت تبرم بين المسلمين وغير المسلمين

[1]- سورة فاطر، الآية: 18.
[2]- رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تشعير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، ج/3، ص: 288، رقم: 2052.
[3]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الديانات، باب إثم من قتل ذميا بغير حرم، رقم الحديث :6914، ج/4، ص: 258.
[4]- رواه أحمد في مسنده، رقم الحديث: 20674، ج/6، ص: 823.
[5]- سنن الدارقطني، ج/2، ص: 350.

من أهل الذمة والتي منها: عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران الذي جاء فيه (ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموالهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير)[1]. وفي ظل هذا العهد ضمن المسلمون حماية الأموال لغير المسلمين، فكان الذمي في رحاب المجتمع الإسلامي يمارس نشاطاته في حرية ومساواة تامة مع المسلم، كما كان له الحرية الكاملة بحق الولوج في جميع المجالات الاقتصادية وممارسة كل الصفقات باستثناء الحصول على المصاحف الشريفة أو العمل في تجارتها أو هبتها أو كل ما يتعلق بها.[2]

د- حماية الأعراض:

تحرم الشريعة الإسلامية إلحاق أي نوع من الأذى بالذمي أو النيل منه بالشتم أو القذف أو التجريح أو الغيبة وغيرهما، قال القرافي: (إن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا، وذمة الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام).[3] وقال الماوردي: (ويلزم لهم بها –الجزية– حقان: أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين)[4] ويقول بعض فقهاء الأحناف: (يجب كف الأذى عنه، وتحرم غيبته كالمسلم) ويلحق بحرمة الأعراض حرمة المسكن، فلا يجوز الدخول عليهم –أهل الذمة– إلا بإذنهم ورضاهم، ومسكن الشخص موضع أسراره ومحل حياته الخاصة مع أفراد عائلته، فمن الطبيعي أن يكون لهذا المحل حرمة يعتبر هتكها اعتداء على الشخص نفسه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

[1]- أبو يوسف، الخراج، ص: 78.
[2]- محمد بن أحمد الغرناطي "ابن جزي" القوانين الفقهية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط/1، 1988، ص: 250.
[3]- محمد بن علي الحصفكي، الدر المختار على تنوير الأبصار، ص: 147.
[4]- القرافي، الفروق، ج/3، ص: 29.

تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[1] والآية في عمومها تشمل المسلم وغير المسلم على السواء.

هـ- كفالة بيت المال:

إذا كانت الدولة الإسلامية تقوم بكفالة المسلم في كل احتياجاته إذا عجز عن الكسب، فإنها تكفل الذمي في حاجاته حال عجزه ومرضه أو ضعفه وفقره، لأنهم من رعاياها ومن حقهم عليها أن ترعاهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعيته).[2] وقيل: قد أجمعت الأمة على مساعدة الذمي حال عجزه من بيت مال المسلمين.[3]

وسار المسلمون – عبر التاريخ الطويل على هذا النهج – في ضمان التكافل الاجتماعي لغير المسلمين، مهتدين في ذلك بسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده.

فهذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يقر خالدا بن الوليد رضي الله عنه على ما كتبه إليه مبينا طريقة تعامله مع أهل الحيرة جاء فيه (وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصادقون عليه طرحت جزيته وعيل من بين مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام).[4] وروي أيضا أن الخليفة عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية بدمشق مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجري عليهم القوت[5] وروى الإمام أبو يوسف في كتابه "الخراج" أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يهودي، يقول: شيخ كبير ضرير البصر، فقال

[1]- سورة النور، الآية: 27.
[2]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، وباب المرأة راعية في بيت زوجها، ج/3، ص: 160.
[3]- د/ عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص: 154.
[4]- أبو يوسف، الخراج، ص: 156.
[5]- أبو الحسن علي بن يحي البيلاذري، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ط/ 1، سنة 1983م، ص: 177.

له عمر: ما ألجأك إلى هذا؟ قال: الحاجة والجزية، فأخذ بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه شيئا، ثم أرسل إلى خازن بيت المال قائلا: انظر إلى هذا وأمثاله، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا من شبيهته ثم تخذله عند الهرم، وقرأ الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[1] وقال: الفقراء هم المسلمون، وهذا من مساكين أهل الكتاب، ثم وضع عنه الجزية وعن ضربائه).[2]

المحور الثاني: الحق في الحريات العامة

الحريات العامة:

هي الحرية اللازمة للإنسان باعتباره فردا في المجتمع لا يمكنه الاستغناء عنها[3] وقد شملت ضمان هذه الحريات لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي جوانب كثيرة، من أهمها:

أ- حرية الاعتقاد وصون أماكن العبادة وإقامة الشعائر الدينية:

إن حرية الاعتقاد حق مقرر ومضمون لجميع الناس في المجتمع الإسلامي، بل إن هذا الحق جزءا لا يتجزأ عن بقية الحقوق المقررة، إذ لو لم تكن كذلك لما شرع عقد الذمة، ولما ترتب على عقدها فوائد كبيرة، لأن أهم ما في عقد الذمة هو حرية التدين وإقرار الذمي على عقيدته وعدم التعرض له بالسوء.

ويلزم من إثبات حرية الاعتقاد للذمي في المجتمع الإسلامي احترام عقائدهم، وصون أماكن عبادتهم ومنحهم الحرية اللازمة في ممارسة شعائرهم الدينية، وقد قرر الإسلام قاعدة مفادها: (نتركهم وما يدينون)[4] وهكذا استفاد غير المسلمين في المجتمع الإسلامي بحرية التدين وفي تقدير

---

[1]- سورة التوبة: الآية: 20.
[2]- أبو يوسف، الخراج، ص: 136.
[3]- د/ عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص: 86.
[4]- جزء من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: فتح القدير، أحمد بن قودر قاضي زاده، مكتبة ألبابي الحلبي، القاهرة، ط/1، ج/2، 1970م، ص: 120.

المجتمع لشعوره، فلم يثبت قط أن اشتكى أحد من فرض المسلمين دينهم عليه وإلزامه بشعائرهم، بل هناك شواهد تاريخية كثيرة تبين موقف المسلمين تجاه غيرهم، وحرص المسؤولين على ضمان هذه الحرية لرعاياهم من غير المسلمين على الخصوص، ومن هذه الشواهد: عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود المدينة، وقد جاء فيه (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم) وعهده صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران الذي جاء فيه (ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنية).[1]

وجاء في خطبة أبي بكر الصديق لجيوشه التي وجهها لتحرير العراق والشام (وسوف تمرون بأقوام قد فزعوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فزعوا أنفسهم له).[2] ورسالة الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى أهل القدس: (هذا أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار منهم).[3]

وأختم هذه الشواهد بمثال تطبيقي رائع، هو موقف النبي صلى الله عليه وسلم من وفد نصارى نجران، حيث سمح النبي صلى الله عليه وسلم لهم بدخول في مسجده النبوي، وجلوسهم لفترة طويلة، ولما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى المشرق ليصلوا صلاتهم، فمنعهم المسلمون إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك، وتركهم يصلون بطمأنينة داخل مسجده الشريف).[4]

---

[1]- أبو يوسف، الخراج، ص: 78.

[2]- جزء من وصية الخليفة أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد، انظر: الموطأ لإمام دار الهجرة، كتاب ما تؤمر به السرايا في سبيل الله، رقم الحديث: 918، ج/ 1، ص: 981.

[3]- محمد بن جابر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2، 1988م، ج/2، ص: 252.

[4]- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ص: 206.

ب- حرية الرأي والاجتماع والتعليم:

ليس في قواعد الشريعة الإسلامية ولا في أحكامها ما يمنع غير المسلم المقيم في المجتمع الإسلامي من إبداء الرأي، أو الاجتماع أو التعليم، بل لهم إبداء آرائهم في كل ما لا يتعلق بالإسلام، وفي حدود القانون العام للدولة، فلا يجوز لهم مثلا الطعن في العقيدة الإسلامية أو في رسالة سيدنا رسول الله عليه وسلم بحجة حرية الرأي، كما لهم حرية الاجتماع في حدود القانون الإسلامي.

وأما حرية التعليم، فقد أباح لهم تعليم أبنائهم وتنشئتهم وفق مبادئ دينهم، وإنشاء المدارس الخاصة، ومن أكبر الشواهد على ذلك، موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتب الدينية الأخرى، وكان من بين الغنائم يوم الحديبية نسخ من التوراة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بردها إلى اليهود[1].

وكان حنين بن إسحاق النصراني من المقربين إلى الخليفة العباسي المتوكل فكان يترجم له الكتب فيعطيه بوزنها ذهبا، وأهل طائفته يحسدونه على حظوته عند الخليفة وخصوصا "الطيفوري النصراني" فحكم عليها مجلس الأساقفة بحرمانه من الكنيسة فمات من اضطهاد طائفته.[2]

وكانت مجموعة من الطلبة تفد إلى المعاهد التعليمية في قرطبة وبغداد والقاهرة، ومن خارج البلدان الإسلامية ليشربوا من معين العلوم الصافية التي كانت مشتعل الحضارة الحديثة في أوروبا حتى إن البابا "سلفستر الثاني" أحد الطلبة الذين درسوا في جامع قرطبة في الأندلس[3].

[1]- د/ عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين، ص:101,
[2]- محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، مطبعة المنار، ط/2، 1323هـ، ص: 16,
[3]- سيد أمير علي، روح الإسلام، دار العلم، بيروت، ط/ 5، 1982م، ص: 359.

ج- حرية الكسب والتنقل وتولي وظائف الدولة:

رفع الإسلام شعار العمل وجعله معيارا بين الناس قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[1] وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده).[2]

ولا يختلف غير المسلمين عن المسلمين في الكسب والعمل، حيث لم يرد في الشرع ما يسد أمامهم هذا الباب، ولم يعرف ذلك عن المسلمين، قال المستشرق متر: (ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يقلق أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الرياح الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب صباغ وأطباء، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في الشام – مثلا- يهودا، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة من نصارى، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده).[3] ولا شك أن اشتغال أهل الذمة بهذه المهن إلى جانب التجارة والصياغة والخياطة وصناعة الزجاج، وغزل الحرير، وإدارة السفن وغيرها، يتطلب بالضرورة ضمان حرية التنقل والحركة لهم في جميع أرجاء بلاد الإسلام، خلا مناطق خاصة بالمسلمين، ولا يحق لهم دخولها لأسباب تتعلق بالعقيدة الإسلامية وهي مناطق الحرمين الشريفين – مكة المكرمة والمدينة المنورة – وكان مبدأ حرية التنقل ساريا في كل المعاهدات التي أبرمها المسلمون مع غير المسلمين، فهذه معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى "أبلة" جاء فيها (بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد رسول الله، ليحنة بن رؤية[4] وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر

[1]- سورة التوبة: الآية: 105.
[2]- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث: 2070، ج/2، ص: 617.
[3]- الأستاذ متز، ترجمة: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج/1، ص: 86، نقلا عن: كتاب "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" د/ يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/2، 1982م، ص: 22.
[4]- هكذا الرسم، ولعل اللفظ "يوحنا"

والبحر، لهم ذمة الله وذمة النبي، ومن كان معهم من أهل الشام واليمين وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يردونه ولا طريقا يريدونه من بر وبحر).[1]

أما تولية غير المسلمين وظائف الدولة في المجتمع الإسلامي، فلا يختلف عن المسلم بحيث لا تمنعه الدولة من تولية الوظائف التي هم أهل لها إلا ما كان مصبغة دينية بحتة مثل: إمارة المساجد وإمارة للمؤمنين وغيرها، لكون هذه المناصب مناصب حراسة الدين وحفظه، وسياسة الدنيا وإدارة شؤونها، وتسليم هذه المناصب إلى غير المسلمين تسليم توجيه السياسية الإسلامية لمن لا يؤمن بها، والأمر الذي سيكون على حساب الدولة وعلى حساب مصالح المواطنين نتيجة توجيه الدولة بما لا تتفق مع منهج الإسلام، ولعدم إدراك غير المسلمين ما يتطلبه الإسلام على فرض سلامة القصد منه.

وما عدا هذه الوظائف فيجوز لغير المسلمين أن يتولوا كل الوظائف داخل المجتمع الإسلامي، فيمكن له تولية وزارة التنفيذ – مثلا– ليكون واسطة بين المواطنين والوالي، فيؤدي عنه أوامره، وينفذ آراءه ويمضي أحكامه، ويساعد على تجهيز الجيوش، وغير ذلك من الوظائف.

وتزداد ملامح هذه الحرية إذا ما تجاوزنا أقوال الفقهاء إلى واقع المجتمعات الإسلامية حيث نجد غير المسلمين يشاركون المسلمين في أعمال الدولة في مختلف عصور الإسلام، وكان والد يوحنا الدمشقي خازن المال في عهد الخليفة معاوية –رضي الله عنه– أي منصب وزير المالية ثم بعده ابنه يوحنا الدمشقي.[2]

[1]- عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ج/2، ص: 526.
[2]- حسن الزين، الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م، ص: 110.

وفي العصر العباسي تولى عدد كبير من غير المسلمين منصب الوزارة، ومن أشهرهم: نصر بن هارون[1] وفي عهد هارون الرشيد وضع جميع المدارس في بغداد تحت إشراف "حنا مسنيه" الشهير ب"يوحنا بن ماسوية"[2].

وفي زمن الخليفة الفاطمي العزيز بالله، تولى الوزارة عيسى بن نسطورس النصراني.[3] وقد وصل أمر توظيف غير المسلمين وتوليتهم المناصب العليا في هرم الدولة الإسلامية إلى حد كبير تضجر المسلمين في بعض الأحيان لكثرة اليهود والنصارى في المناصب العليا، ويشتكي الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي من ظلم الموظفين المسيحيين في الدولة الإسلامية، وهم يعقوب، والعزيز وفضل، ويقول ساخر من تلك الحالة:

تنصـــــــر فالتنصـــــــر ديـــــــن عليـــــه زماننـــــا هـــــذا يـــــدل
وقيـــــل ثلاثـــــة عـــــزوا وجلـــــوا وعطـــل مـــا ســـواهم فهـــو عطـــل
فيعقـــوب الـــوزير أب وهـــذ الـــع عزيـــز ابـــن وروح القـــدس فضـــل[4]

ويشتكي الحسن بن خاقان الشاعر من اضطهاد اليهود المسلمين في ظل الدولة الإسلامية لأنهم في المناصب العليا، ويقول ساخر:

يهـــود هـــذا الزمـــان قـــد بلغـــوا غايـــة آمـــالهم وقـــد ملكـــوا
العـــز فـــيهم، والمـــال عنـــدهم ومـــنهم المستشـــار والملـــك
يـــا أهـــل مصـــر إنـــي نصـــحت لكـــم تهـــودوا قـــد تهـــود الفلـــك[5]

[1]- د/ يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: 23.
[2]- محمد عبد، الإسلام والنصرانية، ص: 16.
[3]- أبو الحسن علي بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص: 178.
[4]- أبو الحسن علي بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ص: 179.
[5]- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة ، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط/2، 1321هـ، ج/2، ص: 117.

وبهذا يتبين بجلاء ووضوح أن اختلاف الدين لم يقم حائلا دون إشراك الذميين في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، وتكليفهم بوظائفها، فالمجتمع الإسلامي لم يضق صدرا قط بغير المسلمين في رحابه، بل وسع صدره وأشركه في أعباء الدولة وأسهمه في إدارة شؤونها.

وهكذا وفر الإسلام لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي وجودا اندماجيا مكنه من الاحتفاظ بمكونات شخصيته، التي في طليعتها المكون الديني وما يرتبط به من عقيدة وعادة وثقافة وتاريخ، والمكون الوطني وما يتحقق به من جنسية وحقوق والتزامات وطنية.

ثانيا– التزامات غير المسلمين تجاه الدولة الإسلامية:

تنقسم التزامات غير المسلمين المقيمين في المجتمع الإسلامي تجاه الدولة الإسلامية إلى واجبات مالية وواجبات غير مالية.

فأما الواجبات المالية فهي: الجزية والخراج، والضرائب التجارية:

1– الجزية:

وهي ضريبة على رؤوس المواطنين غير المسلمين لقاء حمايتهم وإعفائهم عن واجب الجهاد، وفي مقابل الزكاة للمسلمين، ولا تجب إلا على القادرين وما فضل من الحاجيات الأساسية، بل كذلك لا تجب إلا على رجل عاقل حر، فلا تلزم المرأة ولا الصبي ولا المجنون ولا العبد، ولو كانوا ذوي الأموال، ولا تجب على الفقير ولا الرهبان ولا على شيخ كبير ولا زمني لأنهم ليسوا من المقاتلين.[1] فنطاق الجزية أضيق من نطاق الزكاة وهي تدفع في آخر الحول كالزكاة إلا أن مقدارها غير منصوص عليه، وقد اختلفت الفقهاء في تحديد قيمته، وما ذهب إليه الإمام مالك في هذه المسألة أولى بالترجيح من غيره –حسب رأيي– وهو: أن يترك أمر تحديد قيمة الجزية إلى اجتهاد

[1]- الماوردي، الأحكام السلطانية، دار مكتبة الحلبي، القاهرة، مصر، ط/3، بدون تاريخ، ص: 163.

الإمام مطلقا سواء في القليل أو الكثير، وفي هذا مراعاة لحالات المواطنين وغير المسلمين في كل وقت من جهة، وحاجة الدولة من جهة أخرى.

وتسقط الجزية بالإسلام ليتحول إلى وجوب الزكاة إذا ملك صاحبه نصابا، كما تسقط بالمشاركة في الدفاع عن الوطن الإسلامي، وكذلك انتياب الشيخوخة أو الفقر.

وكان يلتزم بها غير المسلمين في الدولة الإسلامية، وقد أثيرت الشبهات حولها، ولعل ذلك في غياب نظام الإسلام السياسي عن أرض الواقع، ولم تكن الجزية لتثقل كاهل الذميين أبدا، بل كان رمزا زهيدا وبسيطا، وقد اعترف الكثير من الباحثين المنصفين أمثال الباحث المسيحي "توماس أرنولد" حيث قال: (لكن هذه الجزية كانت من البساطة بحيث لم تكن تثقل كاهلهم، وذلك إذا لا حظنا أنها أعفتهم من الخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت مفروضة على إخوانهم من الرعايا المسلمين).[1]

2- الخراج:

الخراج لغة: الإتاوة [2]

واصطلاحا: هو ضريبة الأراضي الزراعية التي يقر عليها غير المسلمين ابتداء.[3] والأراضي الزراعية نوعان: باعتبار مبدآ ضريبتهما:

أ- ما كان في بداية فرضها تحت يد مسلمة، فهي أرض العشر حتى وإن تحولت إلى يد غير مسلمة.

[1]- سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص: 77، نقلا عن كتاب التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، سور حمن هدايات، ص: 370.
[2]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ط/1، 1329هـ، ص: 172.
[3]- عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، دار الأنصار، القاهرة، ط/4، 1977م، ص: 122.

ب- ما كان تحت يد غير مسلمة في مبدأ فرضها فهي كالخراج حتى وإن تحولت إلى يد مسلمة.[1] فالتزام المواطنين غير المسلمين بالخراج يقابله التزام المواطنين المسلمين بزكاة ثرواتهم الزراعية.

وأما تقدير قيمة الخراج فإن ذلك راجع إلى الدولة أن تراعي الأمور التي ذكرها الفقهاء من اختلاف الأرضين واختلاف الزرع، ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها، وذلك قصد العدل في أهلها سواء بالنسبة لخراج الوظيفة أي: الذي يضرب على مساحة معينة من الأرض، وبقدر معين، أو خراج المقاسمة، أي: الذي يضرب حصة شائعة فيما يخرج من الأرض[2].

وهذا هو المعنى الخاص للخراج، وقد يطلق أيضا بمعنى عام على جميع موارد الدولة الإسلامية كما هو بين في عنوان كتاب "الخراج" للقاضي أبي يوسف حيث تناول فيه جميع موارد الدولة الإسلامية.

3- الضريبة التجارية:

والضريبة التجارية التي أقصدها هنا هو ما اصطلح الفقهاء على تسميتها ب "العشور" وعملية استيفائها ب "التعشير" والعامل القائم على جبايتها ب"العاشر" وهي ضريبة تجارية تفرض على الأموال التجارية للمسلم والذمي والمستأمن والحربي.

وأول من وضع هذا النظام في الدولة الإسلامية هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما كتب إليه أبو موسى الأشعري قائلا: (إن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر) فكتب إليه عمر (خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من

[1]- عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، ص: 124.
[2]- نفس المرجع، ص: 125.

أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين أربعين درهما، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه)[1].

فالمسلمون يخضعون لهذه الضريبة كما يخضع لها غير المسلمين إذا ما انتقلوا بأموالهم التجارية من بلد إلى آخر داخل أقاليم الدولة الإسلامية، ولا تجب عليهم في أموالهم التجارية ما داموا في بلد إقامتهم.

وهي من الواجبات المالية على غير المسلمين، والذي يتبين من خلالها، ما من واجب مالي على المواطن غير المسلم في المجتمع الإسلامي إلا ويقابله واجب مالي على المواطن المسلم، على نحو متوازن إن لم تكن على المواطن غير المسلم بأقل مما على المسلم، والعلم بتعلق واجب حماية الوطن والمواطنين على كواهل المسلمين.

وهناك واجبات أخرى غير مالية تجب على غير المسلمين المقيمين في المجتمع الإسلامي الالتزام باحترامها ومراعاتها وعدم مخالفتها ومن أهم هذه الالتزامات:

1- الامتناع عن كل ما فيه غضاضة على المسلمين، وانتقاص لدينهم، كذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو كتابه أو دينه بسوء لما في إظهار هذه الأفعال من الاستخفاف بالمسلمين وازدراء بعقيدتهم، وطعن في الإسلام الذي تقوم عليه الدولة، وتجب مراعاة هذه المحرمات على غير المسلمين وعدم انتهاكها، بحيث يصير المسلم بارتكاب هذه المحرمات عن بينة مرتدا عن الإسلام، أما إذا ارتكبها تجاه أهل الكتاب فيعد عاصيا ومرتكبا لمنوع شرعي قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.[2]

2- يجب على غير المسلمين في المجتمع الإسلامي الامتناع عن إظهار بيع المحرمات في أمصار المسلمين كالخمور والخنازير، أو إدخالها على وجه الشهرة والظهور، لأن أمصار

[1]- أبو يوسف، الخراج، ص: 136.
[2]- سورة الأنعام، الآية: 136.

المسلمين تقام فيه شعائر الإسلام الظاهرة، وفي إظهار بيع الخمور والخنازير استخفاف بالمسلمين[1] وإن كانوا يعتقدون حل الخمر والخنازير وغيرهما، وإقرار الإسلام في المجتمع، فليس من لوازم هذا الإقرار إظهارها في أمصار المسلمين، وما عدا أمصار المسلمين، فلهم إظهارها، وخاصة في القرى، لأن المنع مختصر على أمصار المسلمين.

3- يمنع لغير المسلمين إظهار ما يعتقدون حرمته في دينهم كالفواحش ونحوها في أمصارهم أو في أمصار المسلمين[2].

4- يجب على غير المسلمين أن يلتزموا باحترام جميع الأمور المتعلقة بالنظام العام للدولة الإسلامية، وخاصة الشروط المبرمة في عقد الذمة بينهم وبين المسلمين.

ثالثا: نماذج من المعاملات بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي

إن الواقع التاريخي للأمة الإسلامية في عصورها وشتى أقطارها حافل بأروع المظاهر في التعامل السلمي مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – الأمر الذي لا تزال مجتمعات اليوم تتطلع إليه في معظم بقاع العالم– وأستأنف هذه النماذج بأعظم ميثاق وأول وثيقة أبرمت من أجل التعامل السلمي بين الأديان وهي "صحيفة المدينة" أو "ميثاق المدينة" الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة، قصد إبطال ما كان عليه أهل المدينة قبيل الإسلام من المعاهدات الظالمة التي تبث روح الفرقة بين أهلها، ويجعل منها وطنا واحدا، فيصير الفريقان أمة واحدة تربطهم جامعة الوطن، ولا يفرق بينهما اختلاف الدين، فيزول ما كان من منازعات وحروب، ويرفرف فوقهم جميعا علم الأخوة والمودة، فلا ينظرون إلا إلى الوطن الذي يجمعهم، ولا يحول

[1]- عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين، ص: 209.
[2]- الكاساني، بدائع الصنائع، ج/2، ص: 113.

انتماؤهم الديني أو العرقي بين تعايشهم وتعاملهم وتحالفهم ضد كل ما ينوي الإساءة أو الضرر بالمدينة.

وقد تغيرت وجهة سياسة المدينة بهذه المعاهدات نحو التحالف والوحدة، وفتحت صفحة جديدة في السياسة الدينية والعالمية، حيث أقرت حرية العقيدة والرأي وحرمة الوطن والدين والمال.

ونلتمس بوضوح مظاهر التعايش والتعامل السلمي مع غير المسلمين من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان كريما في تعامله معهم إلى أبعد حدود الكرم يصابرهم ويصير عليهم وبغض الطرف عن كيدهم، ويحترم دينهم، ويساوي بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات، ولا يعاتبوهم إلا بمقدار ما يكف أيديهم عنه، كما كان صلى الله عليه وسلم يزورهم ويحسن إليهم ويزور مرضاهم ويعطيهم ويقبل منهم الهدايا دون أن يخشى منهم شرا أو كيدا ولا يحكم فيهم إلا من يختارونه بأنفسهم[1] روى البخاري في صحيحه (أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله).[2] وكان في وسعة أن يستقرض من أصحابه، وما كانوا ليضنوا عليه بشيء ولكنه أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أمته.

ويضاف إلى هذا ما سبقت الإشارة إليه من أداء وفد نصارى نجران صلاتهم في مسجده الشريف، وقيامه – هو بنفسه – صلى الله عليه وسلم بخدمتهم إلى غير ذلك من مواقفه الشريفة في التعامل مع غير المسلمين.

وقد سار الخلفاء الراشدون والأمراء والولادة على الهدي النبوي الشريف في ظل الدولة الإسلامية، وقد أقر أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد على معاهدته مع أهل الحيرة ويكتب إلى نصار نجران قائلا: (بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: أجارهم بجوار الله، وذمة محمد النبي صلى الله عليه

[1]- د/ يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: 47.
[2]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب، رقم الحديث: 2916، ج/2، ص: 899.

وسلم على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وماشيتهم وعبادهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، لا يخسرون ولا يعسرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته)[1] وقد تميز عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكثرة أهل الذمة، وكانت معاملته مع غير المسلمين على ذروة من العدل والتسامح، إذ كان يكثر التفحص في شأن رعاياه قصد إعانة المحتاج وإنصاف المظلوم، ولاسيما أهل ذمة الله ورسوله، فقد مر يوما على قوم قد أقيموا في الجزية، فكره ذلك وقال: (هم وما يعتذرون به قالوا: يقولون: لا نجد قال: فدعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، ثمّ أمر بهم فخلى سبيلهم)[2] وقوله أيضا لخازن بين المال في شأن الشيخ اليهودي الضرير الذي مر عليه وهو يسأل (فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم)[3].

وكذلك موقفه من عمرو بن العاص والي مصر حين ضرب قبطيا، اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه وقال: أدرها على صلعة أبيه، فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربت من ضربني، ثم التفت إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة الخالدة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).[4]

وكان يستفسر حال أهل الذمة خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أذاهم فيقولون له (ما نعلم إلا وفاء).[5] أي: بمقتضى العهد والعقد الذي بينهم وبين المسلمين.

ولم تمنعه ضربة أبي لؤلؤ المجوسي – وهو على فراش الموت – أن يقول: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، أن يوفي بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلهم أحد فوق طاقتهم).[6]

---

[1]- أبو يوسف، الخراج، ص: 73.
[2]- د/ علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص: 127.
[3]- أبو سف، الخراج، ص: 136.
[4]- د/ ناصر بن عقيل، القضاء في عهد عمر، مكتبة التوبة، ط/2، 1994م، ص: 158.
[5]- الإمام الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج/2، ص: 498.
[6]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، رقم الحديث: 1542، ج/3، ص91.

وجاءت وجيه الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لعامله المكلف بالتعامل مع المواطنين غير المسلمين في الخراج: (... انظر إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا، ولا رزقا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا في درهم، ولا تبع لأحد منهم عرضا في شيء من الخراج، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك).[1]

وأمر علي بن أبي طالب عاملا بحفر نهر لأهل الذمة يرون منه أراضيهم.

واشتكى نصراني علي بن أبي طالب إلى شريح قاضي البصرة فأنصفه شريح من الخليفة مما أدى إلى إسلام النصراني وقتاله في صفوف علي بن أبي طالب.[2] وأوصى ابن عمر رضي الله عنهما غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية حتى اندهش الغلام وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودي فأجاب: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننته أنه سيورثه).[3]

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله في الكوفة أن يعطي أهل الذمة ما بقي من خراج الكوفة فيسدد ديونهم، ويساعد من أراد الزواج منهم، ثم ختم رسالته بقوله: (قوا أهل الذمة فإننا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين).[4] وكان – رضي الله عنه – يجعل صدقات بني تغلب القبيلة المسيحية المعروفة في فقرائهم دون ضمها إلى بين المال.

وشكا أحد رهبان النصارى في مصر إلى الوالي أحمد بن طولون أحد قواده، أنه ظلمه وأخذ منه مبلغا من المال بغير حق، فما كان من ابن طولون إلا أن أحضر، القائد، وعزره وأخذ منه المال ورده إلى النصراني، وقال له: (لو ادعيت أضعاف هذا المبلغ لألزمته).[5]

---

[1]- أبو يوسف، الخراج، ص: 17.
[2]- ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط/1، سنة 1966م، ج/ 6، ص: 404.
[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب الوصايا بالجار، رقم الحديث: 6014، ج/4، ص: 250.
[4]- د/ يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: 27.
[5]- المرجع نفسه، ص: 30.

ولم يكن التعامل مع غير المسلمين قاصرا على معاهدات الخلفاء والأمراء والحكام، بل دافع العلماء بالشدة عن حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

1- موقف الإمام الأوزاعي ما حدث لأهل جبل لبنان.

2- موقف الشيخ ابن تيمية من ملك التتار في قضية إطلاق سراح أسرى أهل الذمة مع أسرى المسلمين.

3- موقف العلماء من صنيع الوليد بن يزيد عندما أجلى من كان بقبرص من الذميين وأرسلهم إلى الشام مخافة من حملة الروم، فرغم أنه لم يفعل ذلك إلا لحماية الدولة وأخذا للحيطة في نظره، وغضب منه المسلمون، فاستعظموا منه ذلك، فلما جاء يزيد بن الوليد ردهم إلى قبرص، واستحسن ذلك العلماء والمسلمون وعدوه من العدل.[1]

4- وهذا الفقيه الأصولي المحقق شهاب الدين القرافي يقول شارحا معنى لفظ البر الذي أمر عز وجل في شأن غير المسلمين قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[2] (الرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالتها لطفا منا بهم، لا خوفا ولا تطبيعا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأغراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعاونوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم إلى جميع حقوقهم).[3]

وأما عوام المسلمين: فكانت السماحة لأتباع الديانات الأخرى مطلبا إيمانيا في الإسلام، وتمسكوا بتعاليم الإسلام على قدر التعامل مع غيرهم معاملة سليمة وسمحة، ويشهد التاريخ على

[1]- أبو الحسن علي بن يحي البلاذري، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ط/1، 1983م، ص: 214.
[2]- سورة الممتحنة، الآية: 8
[3]- شهاب الدين القرافي، الفروق، ج/2، ص: 31.

ذلك، فكانوا يكرمون المخالفين، ويحسنون إليهم، ويقفون من عاداتهم وتقاليدهم وأنشطتهم الاجتماعية موقف المجاملة والمشاركة، وكان المسلمون يشاركون أعياد غير المسلمين ويرتادون الأديرة التي تقام فيها هذه الأعياد بين الحين والآخر.[1] ومن أكثر الأعياد نصيبا بالاحتفال المشترك بين المسلمين وغير المسلمين عيد الفصح الذي كان يقام في دير سمالو ببغداد وكان يحضره النصارى للتقرب ويحضره المسلمون للتتره.[2]

ودير التغلب في غرب بغداد، يحضره الكثيرون من النصارى والمسلمين، ودير يعكبرا، يجتمع فيه كل من هو قريب من النصارى والمسلمين فيعيد هؤلاء ويتتره هؤلاء.[3] وعيد وفاء النيل بمصر، كان عيدا عاما يشترك فيه الولاة والأمراء والمسلمون والأقباط على السواء.[4]

وهكذا تعامل المسلمين مع غيرهم داخل المجتمع الإسلامي متضامنين ومتحابين أمنين ومطمئنين، تجمعهم رابطة الوطنية ورابطة الجوار والصداقة والألفة، فكان حقيقة كما وصفه الأستاذ المرحوم سيد القطب في قوله: (إن المجتمع الإسلامي– كما أسلفنا – مجتمع حر مفتوح تملك جميع العقائد والمذاهب والآراء أن تعيش في ظله وليس الإكراه عنصرا من عناصر تكوينه ولا بقائه، وهو لا يحمي نفسه بقوة البوليس، ولا يخاف من لا يدينون بدينه، ولا يضيق عليهم، ولا يطردهم من الأرض، ولا يغتالهم بعملية التطهير.. ذلك أنه يعتمد الإيمان بالعقيدة، وعلى تطوع كل فرد فيه بصيانة النظام القائم على هذه العقيدة... ومن ثمّ فحدوده مفتوحة بلا حواجز ولا قيود لجميع المسلمين من كل جنس ولون وصقع، ولغير المسلمين كذلك من المسالمين بل إن المشرك يملك في الوطن الإسلامي أن يستجير فيجار، ويتحتم على الدولة المسلمة أن تحميه، وإن تكفله، وأن تبلغه مأمنه).[5] وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ

[1]- د/ ابن ترتون، أهل الذمة في الإسلام، دار المعارف، بيروت، ط/2، سنة 1967م، ص: 109.
[2]- علي محمد الشابشتي، الديارات، ص: 14.
[3]- المرجع نفسه، ص: 24.
[4]- د/ الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص: 34.
[5]- سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، مطابع دار الشروق، القاهرة، ط/2، 1945م، ص: 34.

يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾.[1] ومن باب الإنصاف أن نتساءل: هل كان التعامل السلمي بين المسلمين وغيرهم في جميع العصور قائمة على هذه الأسس والمبادئ التي تم عرضها ومليئة بالإيجابيات فقط دون سلبيات؟ وإن كان الجواب بلا فما الذي دفع المسلمين إلى تغيير موقفهم راغب عن تلك الأسس والمبادئ الإنسانية الرائعة في بعض الفترات التاريخية؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول:

كانت فترة من فترات التاريخ على خلاف التعاليم والمبادئ والأسس التي وضعها الإسلام، حيث تعامل المسلمون مع غيرهم بنوع من التمييز والتعالي والظلم، وقد ظهر ذلك عند بعض الحكام والفقهاء وعامة المسلمين، وأما الحكام والأمراء فقد أخطأ بعضهم في حق غير المسلمين ومنشأ هذه الأخطاء، إما من اجتهادات شخصية خاطئة، أو أتباع الهوى والميول، أو الغلو في تطبيق العهد المنسوبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – "المعروف بالعهد العمري أو الشروط العمرية" ومشكوك نسبتها إلى سيدنا عمر بن الخطاب[2] ولم تكن تحظى بالرعاية التامة إلا إذا كان الوالي شديدا وغيورا في دينه أو قد حدث من جانب العامة سخط أو انفجار على الذميين يحمل المسؤولين على التزام بهذه القوانين[3] ومن أمثالة على ذلك: ما وقعت في مصر زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، حيث اضطهد أهل الكتاب، وبالغ في الإساءة إليهم، ويحكي المقريزي قائلا: (وفي ليلة عيد السعانين من سنة 393هـ منع النصارى من تزيين كنائسهم بما جرى عليه عادتهم وقبض على جماعة منهم بسبب ذلك، وفي رجب من نفس العام صدر سجل بمصادرة الأملاك المحبوسة على الكنائس وضمها إلى جانب الديوان السلطاني، وكتب إلى سائر الأعمال بذلك وأحرقت صلبان كثيرة على أبواب الجوامع وفي دار الشرطة.

[1]- سورة التوبة، الآية: 6.
[2]- د/ فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، بيروت، ط/2، 1990م، ص: 203.
[3]- ابن ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ص: 135.

وفي سنة 402هـ منع النصارى من الاجتماع في عيد الصليب وألا يظهروا في المضي إلى الكنيسة وفي العام التالي 403هـ صدر مرسوم شامل ضد النصارى واليهود يقضي بأن يلبسوا العمائم والثياب السود وأن يعلق النصارى في أعناقهم صلبانا ظاهرة من الخشب، طول واحد منها ذراع في ذراع، ووزنه خمسة أرطال، وأن يكون فوق الثياب مكشوفا، وأن يعلق اليهود في أعناقهم قرامي من الخشب ونتها خمسة أرطال، وأن تختم هذه الصلبان والقرامي بخاتم من الرصاص يحمل اسم الخليفة، وحرم على الفريقين معا ركوب الخيل، وأن يكون ركوبهم الحمير والبغال يسرح من الخشب وسيور سود عاطلة من كل حيلة وألا يستخدموا مسلما أو يفتتنوا عبدا مسلما أو جارية مسلمة، وحظر على المكارية المسلمين بمصر والقاهرة أن يحملوا على دوابهم ذميا كما حظر على الملاحين المسلمين أن يحملوا في سفنهم ذميا وأذن الناس في البحث عن المخالفين وتتبع آثارهم.. وطبقت هذه الأوامر والقوانين بمنتهى الصرامة ونزع سائر المتصرفين والكتاب والذميين من وظائفهم، وكانوا جمهرة كبيرة فاشتد الأمر على اليهود والنصارى وطردوا واضطهدوا، وأهينوا في كل مكان، وساد بينهم الروع والرهبة، فهاجر البعض سرا إلى بلاد الروم، ونفي البعض الآخر خارج الديار المصرية، وعمد كثير من النصارى إلى الغيار والتشبيه بالمسلمين اتقاء الرقابة والمطاردة، وتقول لنا الرواية الكنيسة المعاصرة: إن النصارى كانوا خلال هذه المحنة العظيمة يتعبدون سرا بين أطلال الكنيسة المعدومة، ويخفون الآنية والذخائر المقدسة في أعماق منازلهم ويقيمون فيها الشعائر والقرابين سرا، وأقام بعضهم بيعا سرية في الريف).[1]

إلى غير ذلك من القوانين والأوامر التي اضطهد بها الحاكم أهل الكتاب، ولا شك أن هذه التصرفات التي قام بها الخليفة لا تمثل وجهة نظر الإسلام، ولا مواقفه، ولا نابعة من أصول دينية ولا تعليم إسلامية بل العكس، وقد صدر هذه المواقف تجاه المسلمين أيضا، فلم يسلم المسلمون من بطشه وجوره وانحرافاته، وقتل الكثير منهم وشردهم وعذبهم.[2]

[1]- د/ اليافعي، التعايش السلمي، ص: 45.
[2]- المرجع نفسه، ص: 46.

وأما عامة المسلمين فقد وقعت منهم بعض الأخطاء في حق غير المسلمين، وكان مما يخفف وطأة هذه التصرفات وآثارها السلبية على غير المسلمين، الحرص الدائم من الخليفة على تقديم التعويضات عن الخسائر والأضرار وسعيه الحثيث لإنصاف المظلومين، قال رنسيمان مؤرخ الحروب الصليبية: (وحينما ساءت أمور العرب في حروبهم مع بيزنطة، تعرض غير المسلمين لهجوم العرب الذين غضبوا لما أظهره المسيحيون من العطف على عدو المسلمين، وحرص الخليفة دائما أن يبذل تعويضا عن الخسائر والأضرار التي وقعت).[1]

وحدث في سنة 923-924هـ أن دمر الرعاع الكنائس المسيحية الأرثوذكسية بالرملة وعسقلان وقيسارية ودمشق، وعندئذ بارد الخليفة المقتدر بمساعدة المسيحيين على عمارتها، وهاجم العوام كنيستين في القاهرة، وقاموا بتخريبهما، فما كان من الولي إلا أن أرسل فرقة من الجيش فكفت أيدي العابثين وإعادة إصلاح الكنيستين كما كانتا، وفي عام 142هـ امتدت يد التخريب من المسلمين إلى كثير من الكنائس والأديرة بمصر، ووصل عدد الكنائس التي خربت في تلك السنة فقط –على حد قول المقريزي– إلى تسعة وخمسين كنيسة[2].

إلى غير ذلك من الأخطاء، والحقيقة أن هذه الاعتداءات التي تعرضت لها غير المسلمين في الحاضرة الإسلامية، والتي صدرت من المسلمين تجاههم لم تأت صدفة، بل كانت لها دوافع وأسباب منها:

أن بعض الأقباط المسيحيين قاموا بإحراق المساجد وبيوت المسلمين فما كان من العوام إلا أن ردوا عليهم بالمثل.[3]

وأما فيما يتعلق بالفقهاء في ظهور بعض المواقف المغايرة لطريقة الإسلام في التعامل مع غيرهم، فإن السبب في ذلك يرجع إلى كثرة الشكوى عامة المسلمين من قسوة بعض الذميين من

[1]- د/ علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ص: 170.
[2]- المرجع نفسه، ص: 170.
[3]- المرجع نفسه، ص: 172.

ذوي السلطة والمناصب العالمية، وتشددهم على عوام المسلمين، وغيرة العلماء على الإسلام حينما يرون تعظيم الملوك لأهل الذمة، ودخولهم في خدمة السلاطين، وكان يدفعهم عما يعرف بالشروط العمرية أو العهد العمري، حتى وصل الأمر بهم أحيانا إلى الغلو في وضع الشروح، ومن العلماء الذين عرفوا بذلك:

1/ الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن بدران الحلواني الذي قال فيه الونشريسي: (وقد كان غيار أهل الذمة بحضرة بغداد، قبل ذلك الزنار فقط على ما هو في ديار الشام ومصر، وكانوا يركبون السروج على فارة الدواب ويلبسون الفاخرة من الثياب الرفيعة وعمائم الثوب إلى أن ألف الشيخ الصالح المشهور بالزهد والورع أبو بكر أحمد بن علي بن بدران الحلواني كتابه المعنون ب "كتاب أهل الذمة" وذلك قبل سنة ثمانين وأربعمائة من الهجرة غيرة على الإسلام لما رأى من تعظيم أهل الذمة، ودخولهم في خدمة السلاطين، فرفع التأليف إلى أمير المؤمنين، فأمره بجائزة جزيلة فأبى من قبولها وقال: تجعل جائزتي وجائزة المسلمين الحكم في أهل الذمة بمقتضى هذا الكتاب)[1].

ويعتبر ابن القيم من الذين توسعوا أكثر في شرح العهد العمري، فيقول في كتابه "أحكام أهل الذمة" (وأما اليوم فقد وفقنا إلى زمان يصدرون في المجالس ويقام لهم، ويقبل أيديهم، ويتحكمون في أرزاق الجند والأموال السلطانية).[2] وقال أيضا: (.. فما كان قديما على ما بيناه فالواجب على ولي الأمر فعل ما أمر الله به، وما هو أصلح للمسلمين من إعزاز دين الله، وقمع أعدائه، وإتمام ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم من إلزامهم بالشروط عليهم، ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام ولا يلتفت إلى مرجف أو مخذل.. إن لنا عندهم مساجد أخرى نخاف عليهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

[1]- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ط/ 3، 1981م، ج/2، ص: 257.
[2]- ابن القيم، أحكام أهل الذمة، دار العلم، بيروت، ط/3، سنة 1981م، ص: 77.
[3]- المرجع نفسه، ص: 80، والآية من سورة الحج، الآية: 40.

ويتضح من خلال هذا النص أن ابن القيم يوصي ولي العهد في عهده بالتطبيق الحرفي للشروط العمرية من هدم الكنائس المحدثة، وإقالة أهل الذمة من المناصب العالية، وإظهار الذل والدونية، ومن يطلع على حالة غير المسلمين في عصر ابن القيم، يلتمس له عذرا في اتخاذ هذا الموقف، قال صبحي الصالح: (إن ابن القيم كان يعيش في عصر كثرت فيه ضروب التحدي من أهل الذمة للمسلمين، وكان من العسير أن ينسى أهل دمشق ولو امتدت بهم الزمان ما فعله النصارى يوم غزا المغول مدينتهم، فقد أراقوا الخمر على ملابس المسلمين وعلى مساجدهم وأرغموا أصحاب الحوانيت على الوقوف لهم ولصلبانهم وراحوا يهتفون: اليوم انتصر دين المسيح)[1].

رابعا– المعاملة بين المسلمين وغيرهم خارج المجتمع الإسلامي:

تقوم علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى خارج إطار المجتمع الإسلامي أو الدولة الإسلامية على أساس السلم والصلح والعدل والبر بموجب قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلً﴾.[3] وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

ويمكن تقسيم غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي إلى فئتين:

[1]- هامش كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم، تحقيق الشيخ صبحي الصالح، ص: 32.
[2]- سورة الممتحنة، الآية: 8.
[3]- سورة النساء، الآية: 90.
[4]- سورة الأنفال، الآية: 61.

1/ فئة المعاهدين:

وهم غير المسلمين الذين يرتبطون من خارج المسلمين بمعاهدات واتفاقيات ومواثيق مع المسلمين سواء كانت دولا أو أفرادا.[1]

فكل واحد من هؤلاء يجب عليهم الوفاء الكامل بعهدهم، والسلام الكامل والتعاون على أساس العدالة والتكافؤ بموجب قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[3]

وأما إذا نقض هؤلاء المعاهدون عهودهم، فيجب معاملتهم بالمثل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.[4]

2/ فئة المحاربين:

هم من في الحرب مع المسلمين أو عداء معلن يحدد بالحرب ضد المسلمين، وليس بينهم وبين المسلمين معاهدات واتفاقيات ومواثيق أمن وصداقة[5] وتقوم العلاقة بينهم وبين المسلمين على أساس السلم، ما لم يقاتلوا.

وقد تعامل المسلمون مع غيرهم في بناء العلاقات الطيبة إلى حد بعيد.

---

[1]- الإمام الشربيني، مغني المحتاج، دار الفكر، دمشق، 1978م، ج/4، ص: 232.
[2]- سورة التوبة: الآية: 4.
[3]- سورة التوبة: 7.
[4]- سورة الأنفال، الآية: 56-58.
[5]- د/ وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، بيروت، ط/3، 1981م، ص: 170.

وهكذا سار المسلمون عبر التاريخ الطويل في تعاملهم مع أنفسهم ومع غيرهم، سواء داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه، مما أتاح لهم أن يؤسسوا مجتمعا راقيا في تنظيماتهم الداخلية، وارتباطاتهم الخارجية، وأن ينشئوا حضارة وثقافة وفق منظور الإسلام للمعرفة والحياة والقيم والمبادئ الإنسانية في جميع الميادين التي خاضوا غمارها: سياسية واقتصادية وفكرية، والنظم التي ضبطت شؤونهم في حال السلم والحرب، والقوانين التي احتكموا إليها في علاقاتهم مع الآخرين.

وخلاصة القول: قد تعامل الإسلام مع الديانات الأخرى في جو التسامح والحوار وحسن العلاقة، والدعوى إلى العدل والسماحة، والاعتراف بالرسل السابقين، وعدم النيل من عقائد الآخرين، والمجادلة بالتي هي أحسن، وتطوير الجوانب المشتركة في بناء علاقات ودية وأخوية، حتى يعيش العالم كله بشعوبه وعناصره وأفراده على اختلاف معتقداتهم وثقافاتهم وألسنتهم وألوانهم داخل المجتمع الواحد متحابين ومتضامنين آمنين ومطمئنين قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

[1]- سورة آل عمران، الآية: 60.

الفصل الثاني:

الإسلام والمسيحية في كوت ديفوار

أولا: الجانب الجغرافي

جمهورية كوت ديفوار من المستعمرات الفرنسية السابقة تقع على الساحل الغربي من إفريقيا الغربية شمال الخط الاستوائي، ما بين درجة 5 و 10 من خط العرض وتساوي مساحتها 463، 322 كلم.[1]

ويحدها من الشرق جمهورية غانا[2]، ومن الغرب ليبريا، ومن الشمال جمهوريتي مالي وبوركينا فاسو، ومن الجنوب خليج غينيا(المحيط الأطلسي) ويبلغ طول ساحلها على المحيط 500 كلم.[3]

1- طبيعة الأراضي:

أغلب أراضي كوت ديفوار تتألف من سهول مرتفعة، باستثناء امتداد أراضي غينيا الجبلية في الشمال الغربي، وهذه السهولة تنحدر انحدارا خفيفا باتجاه المحيط الأطلسي، وجملة يمكن تقسيم الطبيعة الأرضية لكوت ديفوار إلى قسمين أساسيين:

أولا: القسم البري:

ينقسم القسم البري إلى ثلاثة أقاليم طبيعية كما يلي:

1- إقليم الغابات المدارية الكثيفة في الجنوب: وهي تلك الغابات الكثيفة المظلمة ذات الأشجار الطويلة الباسقة التي يكاد الماشي داخلها يحتاج إلى اصطحاب مصباح مضيء معه لشدة كثافة أوراق أشجارها، وغياب ضوء الشمس عن عمقها، وهي تتألف من أشجار متنوعة.

---

[1]-Recensement génère de la population et de l'habitat. p: 14.

[2]- كانت منطقة غانا الحديثة يطلق عليها ساحل الذهب ويمكن أن تكون تسميتها بغانا تيمنا بغانا القديمة، وإلا فأراضي غانا القديمة تبعد عن غانا الحديثة بألفي ميل، انظر: إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة: 1970م ، ص: 90- 91.

[3]-Kassi Simon et Touré Méhari Adolpho. Histoire-géographie de la côte d'ivoire C. M Ministère de l'éducation nationale et de la formation de Bass Rédacteurs. P: 112.

2- إقليم الحشائش الطويلة أو الغابات الفسيحة: وهو الإقليم المتميز بالحشائش الطويلة المخللة بأشجار متوسطة في الطول والكثافة.

3- إقليم السافانا: وهو غابات الأقاليم الشمالية المتميزة بالحشائش الموسمية والأشجار المتوسطة.وتحتوي هذه الأقاليم الثلاثة على بعض مناطق الجبلية تبلغ ارتفاعها: 5،760 قدما، وخاصة في المناطق الغربية من إقليم مان (Man) حيث توجد جبل نمبا (Nimba Mont). وفي مدينة أوجيني (Odienné) في الشمال الغربي، حيث إن الأرض ترتفع ألف قدم تدريجيا من خليج غينيا إلى الحدود الشمالية.[1]

ثانيا: القسم البحري:

يعتبر كوت ديفوار دولة ذات أنهار وينابيع كثيرة مثل الأوردة والشرابين حيث يعبرها أربعة أنهار رئيسية من دفتها الشمالية إلى دفتها الجنوبية، ونصب في المحيط الأطلسي، وهي كالآتي:

أ- **نهر ساسندرا (Le Sassandra)** طوله 650 كلم، ينبع قريبا من مدينة بيلا (Billa) بجمهورية غينيا،وفي طريقه إلى المحيط الأطلسي يتصل بنهر تينبا (Tienba) ثمّ بنهر بافن (Bafine) وانزي **(N'zi)** وبنهر لوبو(Lobau) ودافو (Davo).

ب- نهر كافالي (Le cavally) يبلغ طوله 700 كم، ينبع في غينيا ويكون حدا طبيعيا بين جمهورية كوت ديفوار وليبريا، وينتهي إلى مدينة تابوا (Tabou).

ج- نهر بنداما: (Le bandama) يبلغ طوله 1050 كم، وهو النهر الوحيد الذي ينبع داخل كوت ديفوار، ويتوسط بنهر مراهوي (Marahoue) وبنداما الأحمر، وانزري **(N'zi)** وتتوسط سرعته في جنوب مدينة تياسالي (Tiassalè) إلى أن ينتهي في البحيرة المرجانية في مدينة غران لاهو (Lagune de grande lahou).

[1]-Kassi Simon et Touré Méhari, Histoire- géographie de la côte d'ivoire C. M Ministère de l'éducation nationale et de la formation de Bass Rédacteurs. P: 112.

د- نهر كوموي (le comoè) ويبلغ طوله 1160 كم، ينبع من بوركينا فاسو (Burkina faso) وينتهي إلى مدينة أبواسو(Aboisso).[1]

وإلى جانب هذه الأمور الأساسية توجد أنهار أخرى أقل شأنا مما سبق ذكرها.

2- المناخ:

لجمهورية كوت ديفوار مناخ استوائي موزع بين أربعة أقاليم:

1-إقليم أتيي: وهو الإقليم الواقع في إطار شبه الاستواء جنوبا، ويتميز بأربعة فصول رئيسية:

- فصلان طويل وقصير للأمطار.
- وفصلان آخران: طويل وقصير للجفاف.

2- إقليم باولي: وهو الواقع في وسط الأقاليم الشمالية والجنوبية، ويتميز بفصلين رئيسين: فصل مطير، وفصل جاف.

3- إقليم الشمال الغربي: وهو إقليم المناطق الجبلية، حيث توجد مدينة مان (MAN) ويتميز بكثرة الأمطار.

4- الإقليم السوداني: ويقع في النطاق الشمالي، ويتميز بفصلين رئيسين: واحد طويل للجفاف، وأخرى قصير للأمطار.

وإن المعدل السنوي لمياه الأمطار في المناطق الساحلية تتراوح ما بين 304 إلى 203 سم، وتقل الكمية كلما اتجهنا صوب الشمال في المناطق السفانية ما بين 134 و50 سم.[2]

[1] -Kassi Simon et Touré Méhari, Histoire- géographie de la côte d'ivoire C. M Ministère de l'éducation nationale et de la formation de Bass Rédacteurs. P: 112.

[1]- د/ نجم الدين فليجة، إفريقيا دراسة عامة وإقليمية للأقطار الغير العربية، توزيع مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ط/1، 1978م، ص: 343- 342.

3- حالة الرياح:

الرياح الموسمية جنوبية غربية، والرياح هرمتان (Harmattan) شمالية شرقية، وهي رياح جافة تهب من الصحراء حاملة معها الأتربة والغبار، وتكثر الأعاصير في بداية ونهاية فصول الأمطار.[1]

4- السكان:

إنّ الصورة التي رسمها المؤرخون بخصوص أهم المجموعات التي تكون منها السكان الأصليون لكوت ديفوار، يبين أنهم ينقسمون حسب ترتيبهم الزمني إلى مجموعتين كبيرتين:

المجموعة الأولى: هي التي سكنت أرض كوت ديفوار قبل القرن الخامس الميلادي، وهذه المجموعة منها ما انقرض مع الزمن، ومنها ما امتزج بالمجموعات الكبيرة من الأجناس الذين استوطنوا فيما بين القرن الخامس والتاسع الميلادي، ففقدت تسميتها، ومنها ما بقي باسمه وكيانه، وينقسم هذا المجموع إلى القبائل الآتية:

1- القبائل الساحلية التي منها: قبيلة أدياكي (Adiakè) وانزي (N'zi) وغيرهما.

2- القبائل الغابية: وتشمل الجماعة الأصلية لماندنغ الجنوبية (Proto Mandé du sud) والجماعة الأصلية لقبائل أكان (Proto Akan) والجماعة الأصلية لقبائل كرو (Proto Krou

3- قبائل سافان: وتشمل جماعتين: الجماعة الأصلية لقبائل سنوفو(proto Senoufo) والجماعة الأصلية لقبائل كولانكو (proto Koulangou).

المجموعة الثانية:

[1]- Grand Atlas du continent Africain Edition Jeune Afrique Paris 1973. P: 162.

وهي المجموعة التي سكنت أراضي كوت ديفوار ابتداء من نهاية القرن الخامس الميلادي وما بعده، وتشمل القبائل الآتية:

1- قبائل ماندنغ الشمالية: وتتكون من قبائل مالنكي (Malinké) أي قبائل جولا (Dioula).

2- قبائل فولتائك (Les Tribus voltaïques) وتشمل قبائل سينوفو وداغونبا (Dagounba).

3- قبائل كرو (Les krou) وتشمل قبائل بيتي (Bété) وغيري (Guéré) وغودي (Godié) وغيرها.

4- قبائل أكانن (Les Akan) وتشمل قبيلة أتيي (Attié) وبولي (Baoulé) وأنيي (Agni) وغيرها.

5- القبائل البحيرات الساحلية: وتشمل قبيلة إيبريي (Ebrié) وألاجان (Aladjan) وغيرها.[1]

وتعتبر كوت ديفوار من الدول التي تتميز بالكثافة السكانية، لكونها فتحت أبوابها على مصراعيها لاستقبال الأيدي العامة من البلدان المجاورة وغيرها، ومما أدى إلى نمو ديموغرافي سريع فيها.

وتقع مساحة كوت ديفوار (322,366) ويبلغ عدد السكان (22 ,000,015) وتصل الكثافة السكانية إلى (51.6) نسمة في الكم، ومتوسط العمر المتوقع للحياة.

وهذه الكثافة السكانية تغطي منها المجموعة الوافدة نسبة 26% وهي ليست بدرجة متساوية من حيث الفئة العمرية. ويقدر السكان غير الإيفواريين من بوركينا فاسوا وهم الأكثرية، ثمّ مالي وغينيا وغانا، ومن جاليات عربية من لبنان وهم أكثرهم وسوريا ومن جاليات أوروبية.[2]

[1] -Jean Mabillon. Mémorial de la Côte d'ivoire. p: 96.
[2]- Recensement général de la population et de l'habile. P: 14.

5- التنوع اللغوي:

إن تنوع المجموعات السكانية المشار إليها تعكس تعدادا لغويا في البلاد، ومعلوم أن التعدد اللغوي دليل على الاختلاف بين الأجناس في الثقافة وتوقير الأنماط المختلفة للتعليم للوفاء باحتياجات هذه الأجناس الثقافية والفكرية المتنوعة من الصعوبة بمكان، الأمر الذي صعب قضية تحديد اللغات الأساسية للتعليم، ولتفادي هذه المشكلة وضعت الحكومة الإيفوارية تجاه السياسة اللغوية للتعليم منذ عام 1297م، سياسة ينص عليها البند 67 والبند 67 من الدستور، يوحي مضمونا أن إدماج اللهجات المحلية العاجية في برامج التعليم يعتبر عاملا أساسيا لتوطيد الوحدة الوطنية وإبراز قيمة الثروة الثقافية العاجية، فهي بذلك تبدو ركنا أساسيا في السياسة التعليمة العاجية، ورغم تلك السياسة المنصوص عليها، لم يظهر على أرض الواقع شيء كبير إلى يومنا هذا، إلا أربع لغات تدرس في جامعات أبيدجان، وهي اللغة المحلية الكبيرة الأربعة (جولا، وباولي، وبيبي، وسنوفو) والجدير بالذكر هنا: أن (جولا) يعتبر ثاني لغة يتم فيها التعاملات في المجالات المختلفة حيث إنّ 80% من السكان يجيدون هذه اللغة تحدثا.

وأما اللغة الرسمية الأولى: فهي الفرنسية، هي التي تستخدم في كل أنحاء البلاد، وفي المدارس والتجارة، ومعظم المطبوعات بما في ذلك المستندات الحكومية مطبوعة فيها، وتدرس اللغة العربية في المدارس الإسلامية التي يكثر انتشارها في الشمال ويتحدث بها بعض المثقفين والمهاجرين من لبنان وسوريا، أما الإنجليزية فهي غير شائعة حتى في أوساط المتعلمين.

6- المحافظات وأهم المدن في كوت ديفوار:

تنقسم كوت ديفوار إلى تسع عشر (19) محافظة أو مقاطعة، وهذه النتيجة للتقسيم الإداري الأخير للمناطق الذي جرى عام 2000م بعد الاستقلال كما تحتوي على وأكبرها ما يلي:

1- ياموسوكورو (Yamoussoukro) وهي العاصمة السياسية للدولة وتقع في وسط البلاد، ويبلغ عدد سكانها 373259 نسمة.

2- أبيدجان (Abidjan) وهي أكبر مدنها ومركزها الاقتصادي، وتقع في الجنوب قرب الساحل، ويبلغ عدد سكانها 6,783,906 نسمة.

3- بؤاكي (Bouake) وهي أكبر مدينة بعد أبيدجان، وتقع في وسط البلاد، وتعتبر مركزا للعلوم الإسلامية، ويبلغ عدد سكانها 1,476,307 نسمة.

4- ثمّ يليها في الأهمية مدينة دالو (Daloa)، مدينة تقع في وسط غربي ساحل العاج وتبعد عن أبيدجان العاصمة الاقتصادية ب 382 كيلو متر،حيث يبلغ عدد سكانها 261,789 نسمة، ثمّ مدينة كروغو (Korhogo) تقع في شمال كوت ديفوار، وتبعد عن أبيدجان ب633 كيلو متر، وعدد سكانها 225,547 نسمة، ثمّ مدينة غانيو(Gannoa) وتقع في وسط غربي كوت ديفوار، وتبعد عن أبيدجان بـ271، كيلو متر،إلى 152,935 نسمة، ثم مدينة مان (Man) أكبر مدينة في غرب كوت ديفوار، وهي تبعد عن أبيدجان ب 570 كيلو مترا، وعدد سكانها 172,867 نسمة[1].

ثانيا: الجانب الاقتصادي

تعتبر كوت ديفوار من أغنى المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا، وذلك بما وهبها الله تعالى من موقع جغرافي متميز، حيث إنّ أقاليمها الثلاثة: الساحلي والغابات والسفانا، كلها أراضي صالحة لأنواع مختلفة من المحصولات الزراعية، وعلاوة على ذلك فإنها تمتاز بكثرة أمطارها، وبتوفرها على المواصلات الجوية والبرية والبحرية، وبوقوعها على دقة المحيط الأطلسي، وخاصة

[1]- كوني داود، مظاهر تغريب التعليم في ساحل العاج وسبل معالجتها في منظور التربية الإسلامية، دار الكتب المصرية، ط/2، 1983م، ص: 25.

بعدما تمّ حفر قناة فريدي (Vridi) لربط المستنقع لاجين (La lagune) بالمحيط الأطلسي، ليسمح بمرور السفن إلى أبيدجان العاصمة الاقتصادية وذلك سنة 1950م.

وقد ساعدت هذه العوامل الطبيعية على نمو وازدهار اقتصاد كوت ديفوار في الماضي والحاضر. وعموما تعتمد كوت ديفوار في اقتصادها على المواد الآتية:

1- الزراعة:

الزراعة من أهم المصادر الاقتصادية للدولة، بها استطاعت أن تحقق التوسع الاقتصادي الذي عرفته الدولة في عصرها الذهبي، حيث احتلت الصدارة بتخطيط 1971-1975م، واعتبرت العنصر الأساسي في الاستقرار السياسي والاجتماعي والتوازن بين المدن والقرى. وقد كان الرئيس الراحل فليس هوفيت بوانيه (Felix Houphouët Bobigny) يردد في خطبه، وخاصة في لقاءاته مع المزارعين والطلبة الجامعيين، أن اقتصاد هذه الدولة يعتمد أساسا على الزراعة، وقد أثبتت إحصائيات السبعينات والثمانينات أن 98% من الأيدي العاملة تشتغل في مجال الزراعة، وينتجون ما يبلغ نسبته 56% من المحاصيل الزراعية، وتتمثل أهمها في: البن، والكاكاو، والأناناس، والموز، وزيت النخيل والخشبي، والمطاط والقطن، والكوكا، والذرة والأرز والدخن وغيرها.

وقد كان من نتيجة العناية بالزراعة أن قفزت كوت ديفوار اقتصاديا محتلة:

-المرتبة الثانية عالميا في إنتاج البن.[1]

-المرتبة الأولى عالميا في تصدر الكاكاو.[2]

-المرتبة الخامسة عالميا في إنتاج الموز والأناناس.

[1]- يعتبر البن مصدر الثراء القومي بكوت ديفوار، فهو الدخل الرئيسي لمجموعة كبيرة من السكان، إذ يشتغل في زراعته ومصالح إنتاجه أكثر من 2,5 مليون من السكان.

[2]- تأتي الكاكاو في الدرجة الثانية بعد البن من حيث الأهمية في اقتصاد البلاد.

بالإضافة إلى أنها تحتل مكانة عالية في زراعة الخشب وزيت النخيل والمطاط والذرة وغيرها.

2- الصناعة:

تغطي الصناعة جانبا مهما في اقتصاد البلاد، فهي المعتمد في الدرجة الثانية بعد الثروات الزراعية، وقد انتبهت الدولة منذ عهد الاستقلال إلى إنشاء المصانع الكبيرة لدفع عجلة الاقتصاد إلى الأمام، ولكي تحل المنتجات الوطنية محل المنتجات المستوردة، وتنبغي الإشارة أن الصناعة قد حققت نموا سريعا وقياسيا في اقتصاد الدولة كما أنه لا تزال هناك محاولات جادة في تطوير هذه المصانع لحسن استمرار مردوديتها، وإنشاء المزيد منها في مختلف المجالات، حتى تغطي الاحتياجات الداخلية، وتخلق فرص الشغل للمواطنين.

3- المعادن:

لما كان استمرار النمو الاقتصادي من الضروريات التي تسعى الأمم لتحقيقه، واصلت حكومة الدولة في البحث والتنقيب عن المعادن والنفط، فنتج عن ذلك أن كوت ديفوار غنية بمختلف المعادن النفيسة، وأكثر هذه الثروات المعدنية لم يبدأ استغلالها بعد:

ومن أهمها:

البتـرول:

أعلن اكتشافه في أكتوبر عام 1977م، وسمى المكان ب حقل بيلير (Bélier Field) ويقع جنوب مدينة غران بسام (Grande Bassam) ب 15 كلم، وتقدر مجموعة احتياط الحقل ب 75 مليون طنا.

وثمة حفل كبير آخر باسم حقل الرجاء (Espoir Fiela) تمّ اكتشافه على الساحل، ويقدر نتاجه السنوي بعشرين مليون طنا.[1]ويضاف إلى البترول من الثروات المعدنية الألماس والمغنيسي وغيرهما، حيث يصل الإنتاج إلى ما يقرب من 424,202 قيراطا، والثانية إلى ما يقرب من 916, 175 طنا.[2]

4- التجارة:

تحتل التجارة مكانة مرموقة في اقتصاد كوت ديفوار، وقد فتحت أبوابها على مصراعيها لاستقبال التجار من جميع أنحاء العالم، وخاصة من الدول المجاورة ودول شمال إفريقيا ولبنان، وهذا ما يفسر اشتغال أكثر الأجانب بالتجارة، كما توجد علاقات دولية بين الدول ومعظم بلدان إفريقيا وأوروبا وآسيا.

وإلى جانب هذه الثروات توجد ثروات أخرى حيوانية وسمكية وغذائية وسياحية وغيرها مما لا يسع المقام لتفصيلها.[3]

[1]- Edition Europe Publication, London, Afrique South of Sahara , 1982-1983,P: 504- 508.
[2]- JOHN Paxton The Statesmen yard – book STATISTICAL AND HISTORICAL Annual of the Word 1982-1983 P: 37.
[3]- La côte d'ivoire Sur CD Rom 2005 et – Mémorial de côte d'ivoire. P: 120.

ثالثا: الجانب الديني

لا تتبني سياسة كوت رسميا على دين معين، فالنظام ديمقراطي لا ديني، على الرغم من هذا التوهم الذي اختارته الدولة لنفسها، تجد الممارسات الدينية وشعائرها صاعدة وقوية بين الشعوب، حيث يعيش في البلاد المنتسبون إلى الأديان المختلفة، وتتنوع حياة الشعب الروحية بين الإسلام والمسيحية والوثنية.[1]

1- عدد المسلمين في كوت ديفوار:

تبلغ نسبة المسلمين في كوت ديفوار 38,6 % نسمة، والباقي موزع على الديانة المسيحية منهم ووثنية ولا يزالون يمارسون طقوسا دينية محلية قديما، لكن هذا التقرير لا ينطلق عن دراسة منصفة بموضوعية وبالتالي تأتي بعض الإحصائيات المتعلقة بالمسلمين مغلوطة، بقصد التقليل من عددهم، وإلا فقد جاءت تلك الإحصائيات في كتب الباحثين المسلمين أثبت كل منهم أن نسبة المسلمين في كوت ديفوار 60% نسمة وهي تقارير مضى على بعضها عشرون سنة، وعليه: فنسبة المسلمين المتوقعة الآن لا تقل عن 65% حيث أثبتت الدراسات أن الوثنية تتناقص باستمرار لصالح المسلمين بنسبة 3/2 فإذا ثبت ذلك فإنه يتوقع عددا أكبر من المعروف قبل عشرين سنة تقريبا.[2]

2- عدد المسيحيين في كوت ديفوار:

تعتبر المسيحية الديانة الثانية في كوت ديفوار نظرا إلى عدد معتنقيها، حيث تبلغ نسبتهم 32,8% ولا غرو أن أثبتت لها هذه النسبة المرافعة أنها (وليد الاستعمار وطفله المدلل) لذا كانت

[1]- الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسننغي، دار المجمع العلميي، جدة، ط1، 1987، ص: 26.

[2]- عبد الرازق، عبد الله انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/4، 2006م، ص: 10.

جهودها جزءا لا يتجزأ عن جهود المستعمرين، حيث قاموا عن دراية ووعي بأداء دور عملاء المستعمرين، كما كانت الحكومة الاستعمارية تتخذ موقفا إيجابيا من جهود المبشرين.[1]

3- عدد الوثنيين في كوت ديفوار:

رغم ما لكل من الإسلام والمسيحية من نسب كبير في كوت ديفوار، فإن الوثنية لا تزال تؤثر في نفوس بعض المواطنين وعلى جميع أنشطتهم السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وتقدر نسبة الوثنية 6,28% من مجموع السكان في البلاد.

وقد نالت الوثنية رواجا ملحوظا في سنوات العشر الأخيرة، حين أضرمت الحرب بين الرئيس غباغبو، والمتمردين عليه عام 2002، وتمركزوا في المناطق الشمالية في البلاد، فلجأ الكثير في كلا الجانبين إلى ممارسة طقوس وثنيهم تحميهم حسب زرعهم من الرصاص، ومن الأسلحة الحربية الأخرى، وعقد بعضهم عهود حماية مع الأرواح الخبيثة مقابل ما يتفقون عليه من تقريب قربان أو ذبح لها، أو ترك نوع من العبادات إرضاء لها وغير ذلك.[2]

فهذه هي نبذة يسيرة عن كوت ديفوار جغرافيا واقتصاديا ودينيا وهي مع بساطة معطياتها تشكل عنصرا مهما من عناصر دول إفريقيا الغربية، فلذا أرى أنه من الأهمية بمكان أن أتطرق إلى تاريخ الإسلام والمسحية باعتبارهما أكثر ديانة انتشارا في كوت ديفوار.

[2]- بمبا يوسف، مشكلات التعليم الإسلامي في ساحل العاج، شركة دار الإشعاع للطباعة، القاهرة، ط/1، 1989م، ص: 38.
[2]- توري علي موسى: أثر الاستعمار الفرنسي على التعليم الإسلامي، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، ص: 26.

المبحث الأول: دخول الإسلام إلى كوت ديفوار

إن الإسلام هو الدين الذي أوحى الله سبحانه وتعالى به إلى نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وجعله خاتم الديانات السماوية وآخر كلماته لهداية البشر، ورسالة جامعة لما فيه الخير والصلاح للإنسان في دنياه وآخره، من عقيدة تدعو إلى التوحيد المطلق بكل ما يستلزم من إيمان وأداء للتكاليف التعبدية، وشريعة تشكل النظام الذي ينبغي أن تقوم عليه حياة الفرد والمجتمع في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعلمية، انطلاقا من قيم تنهي عن الفواحش والمنكرات وجميع ما يؤدي إلى الظلم والفساد، وتحث على الخير والفضيلة وكل ما يرتبط بهما أو يفضي إليهما من حرية وعدالة ومساواة وكرامة.

وهو بهذا رسالة عالمية شاملة وصالحة لكل زمان ومكان، بحيث لا يقتصر على جنس أو طائفة معينة من البشر، بل هو خطاب موجه إلى جميع البشر، لا فرق فيه لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وقال أيضا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[2] وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] هذا هو الإسلام الذي تلقاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه، فبلغه أحسن تبليغ، وتبعه في ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ومن سار على دربهم وهديهم من علماء القرون الأولى ومن بعدهم، فما زالوا يبلغونه جيلا بعد جيل حتى وصل إلى السودان الغربي وإلى كوت ديفوار.

[1]- سورة سبأ: الآية: 28.
[2]- سورة الأعراف: الآية: 158.
[3]- سورة الحجرات: الآية: 13.

ولا شك أن وصول الإسلام إلى كوت ديفوار كان بداية لظهور مجتمعات جديدة مبنية على الولاء للإسلام وليس على الولاء القبلي، وقد اكتسبت هذه المجتمعات بفضل شريعة الإسلام وعدالته قدرا من التماسك والتآزر والتآخي مكنها من تأسيس ممالك إسلامية قوية أثبتت وجودها في التاريخ، وقد غير الإسلام مسار هذه الشعوب وترك لها تراثا ثقافيا واجتماعيا ضخما تفتخر به مدى الأجيال.

إنّ ما لا يخفى على أي باحث حول الإسلام والمسلمين إلى كوت ديفوار صعوبة تحديد تاريخ دخول الإسلام فيها، فالموضوع رغم تناول العلماء والباحثين له قديما وحديثا، لا يزال يعتريه غموض وريب.

وفيما يلي: سأعرض أهم هذه الأقوال كي أتوصل من خلالها إلى ترجيح تاريخ دخول الإسلام إلى كوت ديفوار:

1- ينقل لنا الأستاذ عبد الرحمن كوني أن بعض الباحثين ادعوا أنه لا يعرف لهذا البلد تاريخ دخول الإسلام إليها.[1]

2- وقال محمد عبد الباقي: (إنّ الإمام ساموري توري هو من جاء بالإسلام إلى كوت ديفوار).[2]

وهذا الرأي من الأستاذ الفاضل يحتاج إلى إعادة نظر وذلك من جهتين:

أ- إن الإمام ساموري توري ولد عام 1850م، بينما تحول مدينة كونغ إلى مملكة إسلامية باستيلاء سيكو وتارا على عرش كونغ عام 1700م، واعتبر القرن الثامن عشر قرنا زاهرا بالثقافة الإسلامية والتعليم العربي.[3]

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، دار الكتب المصرية، ط/1، سنة 1983م، ص: 43.
[2]- محمد عبد الباقي، جريدة رابطة العالم الإسلامي، "الإسلام والمسلمون في ساحل العاج" العدد: 352.، تاريخ 2/21/ 1415هـ.
[3]- جوزيف كي زيربو، تاريخ إفريقيا السوداء، ص: 412- 412، ترجمة الدكتور عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط/1، سنة 2001م ،

وكل ذلك كان قبل ولادة الإمام ساموري توري.

ب- إن الإمام ساموري توري هو الذي قضى على الممالك الإسلامية في كل من كونغ وكبادوغو وتوبا وغيرها، فكيف يأتي بالإسلام ثمّ يقضي على الممالك الإسلامية؟

بل إذا كان الإمام ساموري هو من أدخل الإسلام إلى كوت ديفوار، فكيف كان الإسلام ينتشر بين هذه القبائل حتى تمكنوا من إنشاء الممالك الإسلامية وتأسيس المراكز التعليمية وصلت إلى أعلى المستويات المعروفة والمشهورة في تلك الفترة في مدة زمنية لا تتجاوز خمسة وعشرين سنة؟

3- ويقول الأستاذ عبد الرحم كوني: (دخل الإسلام إلى شمال البلاد في وقت مبكر جدا حوالي القرن الرابع عشر معاصر، لامتداد إمبراطورية مالي بواسطة تجار مالنكي وجولا وبيغو (Bigo) حاليا في غانا).[1]

وكلام الأستاذ كوني هذا يعني أن دخول الإسلام إلى كوت ديفوار كان في القرن الرابع عشر الميلادي، كما يفهم منه أيضا أن شمال الدولة كان جزءا لا يتجزأ عن إمبراطورية مالي، مما يعني: أن تاريخ دخول الإسلام إلى إمبراطورية مالي هو نفس تاريخ دخوله إلى كوت ديفوار وهذا ما يؤكدها الأستاذ في الكتاب نفسه حين قال: (مع أنه لا يمكن فصل تاريخ دخول الإسلام إلى إمبراطورية مالي عن تاريخ دخول الإسلام في هذه المنطقة.).[2] فإذا كان ذلك، فإن معرفة تاريخ دخول الإسلام إلى إمبراطورية مالي، يقتضي معرفة تاريخ دخوله إلى إمبراطورية غانا التي تحولت فيما بعد إلى إمبراطورية مالي، حيث عرف أهل مالي الإسلام قبل أن تنشأ إمبراطورية مالي، حتى إن المؤسس سونديانا كيتا (Sondiata Keite) يحكي أنه كان ينحدر من أسرة مسلمة، ويحدثنا في ذلك المؤرخ جوزيف كي زيربو (Josèphe Ky Zerbo) عن أداء جد سونديانا كيتا المعروف ب

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 50.
[2]- المرجع نفسه، ص: 52.

"ألاكوا"[1] لفريضة الحج عدة مرات كما يحدثنا لحسن بوغاية عن اعتناق مالك مالي للإسلام منذ القرن الحادي عشر.[2]

وربما كان هذا الملك نفسه هو: برامندنا كيتا (Bandana Keita) الذي يذكر أنه أول من أسلم من ملوك ماندنغ على يد الشيخ أبي بكر المرابطي اللمتوني سنة 1050م.[3]

ودخول الإسلام إلى إمبراطورية غانا كان في القرن الأول الهجري الموافق للقرن السابع الميلادي،وليس في القرن الحادي عشر على يد المرابطين كما يذكره أكثر المؤرخين، وفي هذا يقول د/ إبراهيم علي طرخان: (لم يكن المرابطون أول من أدخل الإسلام إلى بلاد السودان الأوسط والغربي في القرن الحادي عشر الميلادي الذي ظهر فيه الإسلام، وهو القرن السابع الميلادي).[4]

وخلاصة القول: إن هناك تناقضا ظاهرا في كلام الأستاذ كوني عبد الرحمن حول تاريخ دخول الإسلام إلى كوت ديفوار، حيث لا يمكن أن تكون كوت ديفوار جزءا من إمبراطورية مالي ويتأخر دخول الإسلام إليها إلى القرن الرابع عشر، بينما كان دخوله إلى مالي في القرن السابع الميلادي.

4- ويذهب السيد جان لويس تريبود (JEANE louis Triade) إلى تحديد القرن الرابع عشر الميلادي تاريخ دخول الإسلام إلى كوت ديفوار، فيقول: (في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ظهر الإسلام في كوت ديفوار على يد جماعة منظمة في شمال الغابات).[5]

---

[1]- معناه : ما شاء الله.

[2]- جوزيف كي زيربو، تاريخ إفريقيا السوداء، ص: 194.

[3]- قد جاء في رواية إسلام ملك مالي أن بلده جدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقرة حتى كانوا يفنونها، وكان عندهم ضيف مرابطي لمتوني من المسلمين، فشكا إليه الملك ما همهم من ذلك، فقال له: أيها الملك لو أنك آمنت بالله وأقررت بوحدانيته لرجوت لك الفرح مما أنت فيه، .. فلم يزل به حتى أسلم.. ثمّ أمهله إلى ليلة الجمعة فأمر فتطهر طهرا سابغا، وألبسه ثوبا قطنيا كان عنده، وبرز إلى ربوة من الأرض، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به، فصليا من الليل ما شاء الله، والمسلم يدعو والملك يؤمن، فما انفجر الصباح إلا والله قد أعمهم بالسقي، فأمر الملك بكسر الدكاكير "الأصنام" وأخرج السحرة من بلاده .. انظر : "تاريخ إفريقيا السوداء" جوزريف كي زيربو، ص: 194. و"دولة مالي الإسلامية" د: إبراهيم علي طرخان، ص: 47، الهيئة المصرية العامة، سنة 1973م.

[4]- د/ إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص:47.

[5]- Jean louis/ Les lianes de force de la pénétration islamique en côte d'ivoire note document pour servir à l'histoire des musulmans de côte d'ivoire méridional, 1900-1935 P:123.

وهذا الرأي لا يختلف عما سجله السيد كوني عبد الرحمن في أول كلامه، وربما قد يكون هو المستند نفسه الذي اعتمده كوني في تحديد تاريخ الإسلام في كوت ديفوار.

5- وتسجل جماعة التحرير لمجلة رسالة الجهاد القرن الثاني تاريخ دخول الإسلام إلى كوت ديفوار، حيث قالوا: (تذكر معظم الدراسات التاريخية أن الإسلام بدأ في الدخول إلى كوت ديفوار منذ ثمانية قرون مضت –أي القرن الثاني عشر الميلادي– بواسطة الدعاة المسلمين الذين وفدوا إليها من تمبكتو ومناطق مالي الأخرى، ومن السنغال وغينيا، ولم تصل إليها جيوش الفتح الإسلامي، بل دخلها الإسلام طواعيا عن طريق الإقناع والدعوة بالتي هي أحسن).[1]

6- وتقرر جماعة من المؤرخين الباحثين القرن الحادي عشر تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة.[2]

7- وذهب السيد كوني صوالحيو إلى أبعد من كل ما سبق، حيث بعد أن أثار شكوكا وغموضا حول آراء الذين تناولوا الموضوع، توصل إلى أن دخول الإسلام إلى المنطقة كان في القرن التاسع الميلادي، وفي هذا يقول: (إننا إذا أيقننا ظهور الإسلام في إمبراطورية غانة في القرن السابع الميلادي، فإن العقل السليم يأبى أن يبقى الإسلام سبعة قرون[3] في هذه المنطقة دون ظهوره في منطقة كوت ديفوار في فترة تطورت فيها العلاقات التجارية بفضل الإسلام ولم تنقطع ردحا من الزمن... في الوقت الذي تناول محمد عبد الله الموضوع بذكر القبائل والأماكن التي قامت فيها تلك الحوادث والأماكن دون القبائل التي قامت بها، إذ كل منهما مكمل للآخر، بحيث نغترف من بحر كل منهم لنتوصل إلى أن نهاية القرن التاسع الميلادي، هو تاريخ دخول الإسلام واللغة العربية إلى كوت ديفوار).[4]

---

[1]- مجلة رسالة الجهاد، جماعة التحرير، إصدار جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، العدد: 97، مارس 1991م ص: 1-2.

[2]- Mémorial de la côte d'ivoire tom l, Juin 1982, P: 272.

[3]- بمعنى: من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

[4]- كوني صواليحو، وضعية اللغة العربية في كوت ديفوار، ص:24.

وهذه جملة من الآراء حول دخول الإسلام إلى كوت ديفوار، فلو تتبعناها وما استند إليها قائلوها من أدلة لإثبات دعواهم، لوجدنا أن المشكلة تكمن في أن هذه المناطق التي تعرف اليوم بكوت ديفوار لم يرد لها ذكر يطمئن إليها القلب في تاريخ إمبراطورية غانة ومالي وسنغهاي وهذا يدل على أحد شيئين:

أولهما: أن هذه المناطق وإن كانت جزءا من الإمبراطوريات السالفة ذكرها إلا أنها لم تكن مسكونة في ذلك الوقت.

وثانيهما: أنها وإن كانت مسكونة إلا أنه لم يكن لسكانها شأن كبير يثبت ذكرهم ووجودهم في التاريخ.

فالذين قالوا بدخول الإسلام إلى كوت ديفوار في القرن التاسع أو السابع الميلادي يبقى رأيهم مرجوحا، وكون الإسلام مكث في إمبراطورية غانة لمدة سبعة قرون دون أن يدخل إلى كوت ديفوار، لا يمكن أن يعد غريبا في شأن الإسلام في كوت ديفوار، حيث إذا كان الإسلام دخل إلى كوت ديفوار سواء في القرن السابع أو التاسع أو الرابع عشر فإنه مكث مدة طويلة في المناطق الشمالية، ولم يظهر في المناطق الجنوبية إلا في ظل الحكم الاستعماري، وربما هذا ما يفسر انتشار المسيحية بين الجنوبيين نظرا إلى أنهم تعرفوا على المسيحية قبل الإسلام، وبالتالي أثبت المؤرخون الذين تناولوا تاريخ الإسلام في كوت ديفوار أمثال جوزيف كي زيربو، وجان لويس تريبود، وبول مارتين، وغيرهم أن الغابات الاستوائية كانت بمثابة سور حال دون توغل الإسلام إلى المناطق الساحلية.[1]

والذين قالوا بدخول الإسلام في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، يؤيد رأيهم ما عرفته المنطقة من حركة المرابطين في تلك الفترة، حيث يروي لنا لحسن بوغاية في ذلك ما يلي: (وبتأسيس حركة المرابطين والشروع في الفتح الإسلامي استولى توكولور المسلمون على

[1]- Jean ouïs Trias. Les lignes de force de la pénétration islamique en côte d'ivoire. P: 130.

واداغوست، ودخلت غانا في دين الإسلام، وبعد ذلك قام التجار والرحالة من قبائل سراكولي وتوكولور بنشر الدين الجديد في مناطق الساحل الغربية المحاذية للمحيط الأطلسي، وفي الوقت نفسه أخذ الإسلام ينتشر في خليج غينيا).[1]

وأما القائلون بدخول الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي فيؤيد رأيهم هجرات قبائل وانغار (جولا) إلى شمال المنطقة، وفي هذا يقول جان لويس تريبورد: (شهد هذا القرن حضورا مكثفا لتجار وانغار (جولا) ومالنكي إلى المناطق الشمالية الذي ساهموا في تأسيس وكالة تجارية كبرى في مدينة بيغو (Begho) جمهورية غانا الحالية، وسرعان ما وصل هذه الطرق التجارية بالطريق التي تعبر كوت ديفوار الحالية آتية من بلاد أسيني إلى بوبو جولاسو، وبماكو، مرورا بمدن ياكاسو، وساتاما ونوموتيدوغو من جهة، وبمدن ياكوسو، وسيغيلا وتنغريلا من جهة أخرى).[2]

ومن خلال هذه الآراء يمكن القول بأن دخول الإسلام إلى كوت ديفوار كان في أواخر القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، إلا أن الإسلام لم يعرف انتشاره الكامل بين الشعوب، وعمدتي تكمن في حركات المرابطين الدعوية والإصلاحية أولا، والحركات التجارية التي عرفتها المنطقة في هذه الفترات بالذات ثانيا، حيث انتشرت الحركات التجارية فيها، واتجه التجار صوب خليج غينيا قصد شراء الذهب والعاج والكولا وغيرها، ومعروف أن المناطق المصطلح عليها ب"خليج غينيا" التي منها كوت ديفوار كان اقتصادها الأول في هذه المواد في تلك الفترة.

وفي القرن الرابع عشر الميلادي عرف الإسلام انتشاره الكامل في المناطق الشمالية، وذلك لازدهار الحركات التجارية ولهجرات القبائل بعد سقوط إمبراطورية مالي إلى هذه المناطق.

[1]- لحسن بوغاية، تاريخ إفريقيا والإسلام، المطبعة الإسلامية، بؤاكي، ط/1، سنة 1985م، ج/1، ص: 90.
[2]- جوزيف كي زربو، تاريخ إفريقيا السوداء، ترجمة د/ عقيل شيخ حسين، ص: 410.

وكان لهذا الانتشار عوامل وأسباب ساعدت على ترسيخ الإسلام وتأثر المجتمع به في عاداته وتقاليده حتى أصبح من أهم المكونات الشخصية لدى أغلبية الشعوب.[1]

[1]- لحسن بوغاية، تاريخ إفريقيا والإسلام، ج/ 1، ص: 66.

المبحث الثاني: عوامل انتشار الإسلام ومدى تأثر المجتمع الإيفواري به

لم يعرف الإسلام فترة دخوله إلى كوت ديفوار انتشاره الكامل لكونه جديدا على المجتمع، ولعدم تعرفهم على حقيقته وجوهره، ولكنه بعد تمكين عرى المعاملة والمجاورة بين المسلمين والوثنيين، وخاصة في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادي، شهد الإسلام انتشارا ملحوظا في المنطقة، وكان لهذا الانتشار وتأثر المجتمع الإيفواري به عوامل عدة منها:

1- يسر الإسلام وعدالته وبساط عقيدته:

إنّ الإسلام دين فطرة ويسر وعدالة وتسامح، وصالح لكل زمان ومكان، ولا شك أن هذه المواصفات كانت أساس عوامل هذا الانتشار الملحوظ للإسلام في هذه البقاع، فالإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى والاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والالتزام بمقتضى هذه العقيدة يكسب المرء كامل العضوية في الجماعة الإسلامية دونما قيد أو شرط.

2- وحدة أركان الإسلام وتمسك المسلمين بها:

يتقاسم جميع أفراد الجماعة الإسلامية عقيدة واحدة، لا تتغاير مهما تباين مكان وزمان ممارسيها، ومهما تباعدت الأصول واللغات والألوان وظروف حياة أتباعها، ولهذا اعترف به أنتيامبا (antiamba) من جماعة دوغون (Dogon) بعد تجوال طويل في عدد من الأقطار، أحس أثناء بالعزلة التامة، والغربة والوحشة، وكان سبب ذلك بعده عن موطنه الأصلي الذي بمجرد أن غادره بدأ اعتباره أجنبيا في معتقده وطقوسه الدينية وعاداته، حيث لم يشاهد أحدا يمارس ما يمارسه، فلا

يشارك أحدا من الأرواحيين من مناطق أخرى في العبادة، والعكس بالعكس، قائلا: (يسوغ أن يكون الخطأ وحده المتعدد).[1]

3- الرقي الثقافي والاجتماعي الذين يخولهما الإسلام لأتباعه:

لما كان شمال البلاد تضمها مالي التي كان ملوكها مسلمين، أثروا في سكان المنطقة بعدالتهم وتسامحهم وانفتاحهم وحسن معاملتهم، وببنائهم المؤسسات العمومية بتعهدها جميع أعضاء الجماعة دون تميز: من المساجد والمدارس القرآنية والزوايا، وغيرها من المراكز الثقافية مما لم يكن له نظير عند الأرواحيين، ومن هنا ظهرت أهمية القراءة والكتابة لهذه الشعوب، وازداد ثقة وثباتا بأن الإسلام هو الدين الذي يكفل لأتباعه نوعا من الاستعداد الفكري يساعدهم على الرقي الاجتماعي، ويدفعهم إلى التطلع لحياة أفضل، ويخرجهم من وضع اجتماعي وثقافي واقتصادي متدن إلى وضع أعلى وأرقى، وإضافة إلى ذلك يتوخى خير البشرية، ويسعى إلى بناء عالم جديد على أساس المحبة والأخوة والعدالة والتوازن والتسامح.

4- صلاة الجماعة:

كانت لصلاة الجماعة في المجتمع الإيفواري جاذبية فريدة في نوعها، وذلك لمكانتها في الإسلام، ولكونها الوسيلة الأولى التي بها يتعرف غير المسلم على الإسلام، فتبدأ أولاً بالأذان الذي يثير انتباه غير المسلم إلى وجود شيء جديد، ثمّ يخرج المسلمون لأداء الصلاة في لباسهم الجميلة النظيفة، فيؤمهم الإمام، ويرتل آيات من الذكر الحكيم، وعندما يقوم الإمام بحركة يتبعه المأمومون بحركات منسقة ومنظمة لا تصاحبها ضوضاء ولا ولولة، ولا يقترن بشي من طقوس الأرواحيين من الفوضى والصراخ وغيرهما.

[1]- الأستاذ عبد القادر محمد سيلا، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، مطابع الدوحة الحديثة، ط/1، بدن تاريخ، ص: 85.

5- نشاط التجار "قبيلة جولا" المسلمين:

ومما ساعد على انتشار الإسلام وتأثر المجتمع الإيفواري به السلوك الحسن للتجار المسلمين تجاه القبائل الوثنية، فالتاجر المسلم في أثناء مزاولته لعملية البيع والشراء، لا ينبغي أن يغيب عن ضميره قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)﴾.[1]

ولا شك أن التزام التجار بتطبيق هذه الآيات في واقعهم العملي جعلهم يؤثرون في السكان بتصرفاته وسجاياهم أكثر من كلماتهم، وبالتالي اكتسبوا لشخصيتهم الشرف والثقة عند عامة الناس وخاصتهم ولم تقتصر تصرفات هؤلاء التجار على حسن المعاملة في مجال البيع والشراء فقط، بل قاموا بسياسة ناجحة للإدماج في هذه القبائل، والتقمص بلباسه، فاتخذوا مصاهرة الأهالي خير وسيلة لهذا الغرض، فتزوجوا ببنات الأهالي، وكسروا بذلك حائل الطبقية والعنصرية، فكان ذلك نوعا من الجاذبية إلى الإسلام.

6- تأسيس الممالك الإسلامية:

ظهرت في فترة ما بين القرن السادس عشر حتى نهاية القرن التاسع الميلاد في المناطق التي تعرف اليوم بشمال كوت ديفوار على أيدي تجار(جولا) الممالك الإسلامية القوية لعبت دورا هاما في نشر الإسلام وثقافته، وذلك بموقعها المتميز على طرق القوافل التجارية، وبنظمها السياسي والاقتصادي والعسكري، وبعلمائها البارزين الذين أثروا بمكانتهم العلمية والاجتماعية في جميع السكان، مما جعلهم يتلقون تقدير الجميع واحترامهم، سواء منهم المسلمون أو الوثنيون ومن أهم هذه المماليك:

[1]- سورة المطففين: الآيات: 1-6.

أ- مملكة سيكو وتارا في كونغ:

(ROYAUME DE SEOU OUATTARA à KONG)

كانت منطقة كونغ قبل هيمنة تجار المامندنغ عليها محتلة من قبل شعب "سينوف" ويدل على ذلك وجود مجموعة قرى "تيغو" التي ما زالت تربط بين "نومودار" و"كونغ" وفي حوالي سنة 1700م قدم "تيبا وتارا" من منطقة "بماكو" مع زوجته وأولاده الثلاثة، واستقر في كونغ، وبفضل جده في عمل الحياكة استطاع أن يحوز الأسلحة التي أتاحت لأبنائه القتال ضمن جيش "سيزوما" وسرعان ما أصبح ابنه الأكبر "سيكو وتارا" معبود هذا الجيش الصغير بفضل إقدامه وإنصافه في قسمة الغنائم، فقرر القيام بالحرب لحسابه الخاص، رغم إنذارات ملك كونغ واللقاء العاصف الذي جرى بينهما، إذ سرعان ما استطاع سيكو واتارا أن يجرد الملك سيزوما من شاراته الملكية،[1] وكان ذلك إعلانا لتأسيس أقوى مملكة إسلامية على الأراضي التي تعرف اليوم بـ "كوت ديفوار"

وبعد استقرار المملكة لين الرخاء الذي جلته التجارة طبائع الناس، وأصبح السوق مع المساجد الخمسة تمثل المراكز الكبرى للتجارة في تلك الديار التي خلت نفسها في أمان خلف أسوارها المدهشة، وفي بيوتها الكبيرة ذات الشرفات السودانية النمط.

إلى جانب التجارة كانت مملكة كونغ من أكبر مراكز إشعاع الحضارة والمعرفة الإسلامية في إفريقيا الغربية، كما كان يطمع إلى القيام بدور شبيه بدور إمبراطورية مالي والحلول محلها، وكان المكون الشيخ عباس سيتافا سانغو[2] أول من أسس المراحل التعلمية في كونغ فقسم التعليم إلى ثلاث مراحل:

[1]- جوزيف كي زيربو.، تاريخ إفريقيا السوداء، ص: 412.
[2]- هي كلمة محرفة من "مصطفى".

1- دوغوما، ويعني: المرحلة الابتدائية.

2- ساندو، ويعني: المرحلة المتوسطة.

3- لونبا، ويعني: المرحلة العليا.

وكانت هذه المراحل الثلاثة تستغرق خمسة وثلاثين سنة، وبعدها يمنح الطالب إجازة،[1] ويكون حينئذ قد بلغ مستوى لا بأس به من معرفة الإسلام واللغة العربية وكتاب المسلمين المشهورين. ولم يقتصر التعليم العربي الإسلامي على هذا النمط التقليدي، بل تطور وازدهر إلى أن أسست جامعة عرفت في التاريخ بجامعة كونغ الإسلامية التي سجلت أهم ازدهارها ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع الميلادي، حيث كانت من أهم الجامعات في غرب إفريقيا تحذى حذو كل من جامعة تمبكتو وغاو وجيني، وسائر المراكز التعليمة في تكوين العلماء الذين ذاع صيتهم خارج المملكة أمثال: الشيخ الرحال "حسن البصري سانغو" المشهور ب" كراموكو بصري" صاحب الفضل في انتشار فنون اللغة العربية والمذاهب الفقهية، وخاصة مذهب الإمام مالك بن أنس رحمهما الله وغيره ممن أشاعوا العلم والنور بين أبناء هذا الوطن.

وظلت مملكة كونغ تؤدي دورها البارز في نشر رسالة الإسلام وثقافته حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث عند اقتراب قوات الإمام ساموري توري، وقوات المستعمرين الفرنسيين قامت بلعبة مزدوجة بين القوتين المتضادين، ودفعت الثمن غالبا، حيث تلقت ضربة قاتلة من الأسد المالكي الإمام ساموري توري أدت إلى إزالتها عن الخارطة في 10/06/ 1897م.[2]

ب- مملكة مختار توري في كبادوغو:

[1]- الإجازة عند قبائل "جولا" هي ما يسمى "نامو" وهي عبارة عن عقاله بخرقة صفراء أو زرقاء اللون، فتوضع وسط طربوش أحمر اللون، ثمّ يزين به رأس الطالب، دلالة على تعمقه واستحقاقه التدريس والفتوى والإمامة، والشيخ في هذه المناسبة يستحضر الجماعة للاحتفال بارتقاء الطالب إلى هذه الرتبة العلمية، حيث يزين الطالب أمام الجمهور بزي العلماء "نامو" والطالب بدوره، يحتفظ بهذه الإجازة ويرتديها في المناسبات الدينية.

[2]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 55.

(ROYAUME DE MOUKTAR TOURE KABADOUGOU)

شملت هذه المملكة المدن في منطقة وجيني، وتعتبر من أشهر الممالك الإسلامية التي توفرت فيها الظروف الملائمة لممارسة التعليم، مما أدى إلى ازدهار العلوم الإسلامية فيها وخاصة علوم القرآن الكريم والتفسير والفقه والحديث واللغة العربية وتضاف إلى ذلك كله الحلقات الدراسية التي كان ينظمها العلماء لإلقاء الدروس والوعظ والإرشاد لعامة الناس نشر للفهم الصحيح للدين وتقوية للروابط الروحية.

وكل هذا كان له الأثر البليغ في نفوس الوثنيين، فبادروا إلى إظهار استعدادهم للدخول إلى الإسلام.[1] وقد بزغ في رحاب هذه المنطقة علماء كثر حملوا شعلة العلم ولواء المعرفة، وسراج التنوير، ومن أشهرهم: الشيخ محمد سواني المشهور ب "كانكا فودي" والحاج فاكبا سواني، وكراموكو سواني، والشيخ الورع الزاهد الحاج عثمان سيلا، وكاموسى سيلا وفابوى كوني وغيرهم.

وظلت هذه المملكة تعطي أكلها طيبة بإذن ربها إلى قضى عليها الإمام ساموري توري في المنتصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي وضمها إلى مملكته.[2]

ج- مملكة فاكورو بمبا في توبا: (Royaume de Fakoro Bamba à Touba)

كان دخول الإسلام إلى هذه المنطقة بشكل مختلف عن المنطقتين المجاورتين لها، أي "أوجيني وسيغيلا" حيث لم يصادف دعاة المنطقة عقبات كثيرة في دعوة مواطنيهم الذين كانوا مرتبطين بأرضهم، يستثمرون محاصيلها للإنجاز فيها، وقد تأثروا بجيرانهم المسلمين الذين كانوا يعاملونهم بالحسنى، وينصحونهم بالخير والمعروف، وربما هذا مما سهل لمختار بمبا تأسيس مملكة إسلامية في المنطقة.

[1]- المرجع نفسه، ص:57.
[2]- المرجع نفسه، ص: 58.

وقد استطاعت هذه المنطقة أن تحتفظ بعاداتها وتقاليدها الإسلامية حتى يومنا هذا، مما جعل منها حصنا حصينا للإسلام، وركنا ركينا للعقيدة.

وقد سجل لنا التاريخ العديد من أهم علمائها أمثال: الشيخ فؤاد ساكو، ومحمد بمبا، وكنعان ماموي، وعمر فاديغا، وموسى سوماهورو وغيرهم.[1]

وفي أواخر القرن التاسع الميلادي كانت نهاية المملكة على يد ساموري توري أيضا.

د- مملكة الإمام ساموري توري: (Royaume de L'imam SamoryTourè)

لم تكن هذه المملكة قائمة في شمال كوت ديفوار فقط، بل شمل جزءا من غينيا ومالي وبوركينا فاسوا، وبالتالي كان تنقلها أكثر من استقرارها، لمطاردتها من قبل المستعمرين.

وهي وإن لم تترك أثرا واضحا في كوت ديفوار، إلا أنها تعتبر من أهم الممالك التي قاومت الاستعمار الفرنسي، وكبدته خسائر مادية ومعنوية، ودافعت عن بيضة الإسلام بكل قواها.[2]

وربما يسأل سائل عن السبب الذي جعل الإمام ساموري توري يحتل الممالك الإسلامية ويضمها إلى حركته رغم كونها ممالك إسلامية يربطهم وإياه وحدة الدين والعقيدة؟

وإجابة عن هذا السؤال أقول: إن حركة ساموري توري مرت بمرحلتين:

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 60.
[2]- محمد جلال عباس، المد الإسلامي في إفريقيا، مطبعة المختار الإسلامي، ط/1، سنة 1978م ص: 58.

الأولى: مرحلة الدعوة والجهاد في سبيل الله

ففي هذه المرحلة تمركزت في نشر الإسلام، فكانت حركته حركة دعوية جهادية في بداية أمرها، وخاصة حين لقب بالإمام عام 1884م، فكان يدعو القبائل غير المسلمة إلى الإسلام ويجاهدهم إن رفضوا.

الثانية: مرحلة الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار

بدأت هذه المرحلة لما جاء الاستعمار، وبدأ في السيطرة على الأراضي، فدخل ساموري توري في مقاومتهم، وبذلك تحول مسار الدعوة إلى حركة توسيعية تسعى إلى توحيد بلاد إفريقيا الغربية في مواجهة هجومات العدو المشترك، وكان يرى ضرورة قتال كل من يأبى هذه الفكرة، كما كان يعتبر كل من يدخل في تحالف أو معاهدة مع فرنسا عدوا لدودا يجب قتاله ولو كان مسلما، لموالاته غير المسلمين ومساعدتهم على المسلمين، حيث كان المستعمرون يتساعدون بأبناء القبائل التي بينهم وبينها معاهدة الحماية وهذا ما حمله على قتال مملكة كونغ لأنها وقعت على معاهدة الحماية معه فرنسا.

أما ما أشيع عنه من تمثيله بالمسلمين في كونغ وتحول المسجد الجامع إلى مجزرة ذبح فيها المسلمون فإنها مسألة تبقى قيد البحث والتحقيق، ولكن الذي ينبغي معرفته في هذه الحادثة وغيرها من القصص المأساوية التي تنسب إلى الإمام ساموري توري بين الحين والآخر هو: أن الذين كتبوا تاريخ هذا الإمام لم ينصفوه ولم يلتزموا الحياد في حكاية أحداثه، فالمستعمرون الذين كتبوا تاريخه بحكم حقدهم وعداوتهم التي نتجت عن مقاومتهم قد كتبوا عنه كل شر ونسبوا إليه كل شيء من الأخبار بهدف التشنيع به وتشويه صورته وجهاده، لتنفير الناس عنه، وتبعهم في ذلك الكتاب الذين ورثوا هؤلاء المستعمرين، فلم ينصفوه أيضا في غالب مكتوباتهم عنه، وبناء على هذا

الاعتبار فإن قصة تمثيله بأهالي مملكة كونغ تشبه مثيلاتها من القصص التي أشاعها المستعمرون لتشويه صورة الإمام ساموري توري حتى لدى أبناء عقيدته وجلدته.[1]

[1]- Samory.la renaissance de l'empire Manding/ P: 11.

المبحث الثالث: الاتجاهات العقدية والمذاهب الفقهية والطرق الصوفية في كوت ديفوار

أولا: الاتجاهات العقدية

كان المسلمون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملة واحدة، وعقيدة واحدة، ولم يحدث بينهم اختلاف في أصول الدين حتى آخر خلافة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– حيث حدثت الفتنة، وبدأ ظهور الفرق واستمر الأمر إلى أن بدأ ظهور المذاهب الفقهية، ثمّ الطرق الصوفية.

وقد انتشر هذا الدين في إفريقيا الغربية عامة وفي كوت ديفوار خاصة انتشار النور في الظلمة، وأقبل عليه السكان بكل ثقة ويقين، واعتبروه دينهم الطبيعي الذي يربط بينهم وبين خالقهم، كما يربط بعضهم ببعض في ظل أخوة إيمانية وتضامنية صادقة.

أما كوت ديفوار التي تعتبر جزءا من غرب إفريقيا، فقد ظهر فيها بعض الفرق والمذاهب الدينية الإسلامية. ومن أهمها:

1– الاتجاه السني:

أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم وهم الذين عرفهم الإمام مالك – رحمه الله – بقوله: (أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا قدري ولا رافضي).[1] وعرف الشيخ ابن تيمية أهل السنة والجماعة بقوله: (السنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات، والجماعة في الأصل: هم القوم المجمعون، والمراد بهم سلف هذه الأمة المحمدية من

[1]- د/ فهد عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد: الرياض، ط/1، 1987، ص: 54.

الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم).[1]

وأهل السنة كفرقة مذهبية ذات أسس نظرية، ونسق فكري متكامل لم تظهر إلا في أواخر القرن الثالث الهجري بالضبط، حين انفصل أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال، وذلك بعدما وقعت المناظرة بين الأشعري وأستاذه في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح، وفي هذا يقول الإمام الشهرستاني: (وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية).[2]

ويعني أن فرقة أهل السنة والجماعة جاءت كرد فعل على طغيان التطور الباطني للعقيدة الإسلامية من قبل الشيعة، والتطور العقلاني من قبل المعتزلة: لذا تجد ابن تيمية يحدد مراده في بيان لفظ أهل السنة والجماعة فيقول: (المراد بلفظ أهل السنة والجماعة من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، وأثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة).[3]

وتتمثل أهم عقائدهم:

أ- يعتقد أهل السنة والجماعة جملة بكل ما ثبت في كتاب الله تعالى وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وبالصفات على وجه يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل إلا ما دل الدليل على وجوب تأويله ،ويؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

1- الشيخ ابن تيمية، العقيدة الواسطية، دار أضواء البيان، جدة، ط/2، سنة 1999م، ص: 31.
2- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 54.
3- الشيخ تقي الدين ابن تيمية، منهاج السنة، مكتبة المعارف، الرباط، ط/2، سنة 1998م، ج/2، ص: 152.

ب- يؤمنون بالكتب السماوية كلها، وأنها منزلة من عند الله، وأن آخرها نزولا هو القرآن الكريم، وأن كلام الله حقيقة لا كلام غيره، منه بدأ وإليه يعود كما قال الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة.

ج- يؤمنون بالرسل كلهم وأن أفضلهم وآخرهم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

د- يؤمنون بأن الساعة آتية لا ريب فيها، فيصدقون بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما سيكون بعد الموت، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالبعث والموازين والدواوين والحساب والعرض والحوض والصراط والجنة والنار.

هـ- يؤمنون بالقدر خيره وشره، فالله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، ولهم إرادة والله خالقهم وخالق إرادتهم وقدرتهم.

و- يعتقدون أن أفضل هذه الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ويمسكون ألسنتهم عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم، وهم مع ذلك غير معصومين عن كبائر الذنوب وصغائره، كما يؤمنون بأفضلية الخلفاء الراشدون على سائر الأمة، ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ز- يعتقدون أن الإيمان عقد القلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالسيئات، ولكنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، وإنما يكلون أمره إلى الله تعالى إن شاء غفر له وذلك فضله وإن شاء عذبه وذلك عدله[1] وظل هذا الاتجاه العقدي سائدا في كوت ديفوار حقبة من الزمن إلى أن بدأت بعض العادات والتقاليد والخرافات السيئة والمبالغات في تعليم الأسرار والتعاويذ والأحجية تأثر على هذا الاتجاه، ومن هنا بدأ ظهور

[1]- مقتبس من اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د/ فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ج:1، ص: 56.

فرقة أخرى، وهي: (الفرقة الوهابية) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب ويطلقون على أنفسهم (أهل السنة أو السلفيين).

وهذا الاتجاه – الوهابية أو السلفية – يمتاز بكونه اتجاها إصلاحيا يدعو بالعودة إلى الأصول الإسلامية النقية الصافية، والابتعاد عن البدع والخرافات، وفي بداية دعوتهم حصل بينهم وبين التقليدين صراعات ومصادمات عنيفة في كل من بماكو ب"جمهورية مالي" وكانكا ب "جمهورية غينيا" وبوبو جولاسو ب"جمهورية بوركينا فاسو" وبؤاكي ب "جمهورية كوت ديفوار" وذلك أن دعاة السلفية أو الوهابية اعتبروا التقليدين مشركين خارجين عن الملة والتقليديون بدورهم اعتبروا السلفيين أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وسبب هذه المجابهة يرجع إلى عاملين أساسيين:

أولهما: الصراع بين القديم والجديد: فالتقليديون صمدوا أمام الفكر الجديد واعتبروه مضلا خارجا عن الإسلام الصحيح الذي ورثوه عن آبائهم جيلا عن جيل. وثانيهما: أن الرواد الأوائل من دعاة السلفية لم ينتهجوا مسلك الحكمة في الوعظ والإرشاد، فقد كانوا يستعملون في كثير من الأحيان أسلوب الشتم والتوبيخ والهجوم على المخالفين، لأن أكثرهم لم يكونوا علماء متفقهين، وإنما تأثروا بالسلفية في أثناء أداء فريضة الحج، أو الإقامة القصيرة بمكة المكرمة، وأول من دعى الناس إلى المذهب الوهابي السلفي في كوت ديفوار هو الحاج تيكورو توري (El Hadj Tiekoro Touré) من مدينة مرابا جاسا (Marabadiassa) الذي قام بمكة سبعة أعوام 1940–1947م، وبعد عودته بدأ يدعو الناس إلى المذهب الوهابي، وجاب البلاد واعظا، وكان من أبرز أتباعه الحاج ياو كوم (El Hadj Yao KOUM) وماماد سيسي (Mamadou Cisse) الذي كان معلما ومدرسا في مدينة تنغريلا إلى وفاته عام 1954م رحمه الله تعالى.

وفي عام 1975/02/04م تقدم مامادو سيسي والحاج ياو كوم بطلب تصريح من وزارة الداخلية للاعتراف بحركتهم كجمعية إسلامية تحت المسمى (جمعية المسلمين الأرثوذكسيين بكوت

ديفوار) (Association des Musulmans Orthodoxes de Côte-D'ivoire) وفي عام 197605/28م حصلت الجمعية على التصريح الرسمي لمزاولة نشاطها تحت رئاسة الحاج ياو كوم.[1]

2- الاتجاه الشيعي:

الشيعة هم الذين شايعوا عليا –رضي الله عنه– على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله[2] وقد اختلف الباحثون والمؤرخون في تحديد نشأة الشيعة، هل كانت بدايته في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم كانت عند ظهور الفتنة والتحريض أو الاستقرار في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أو بعد وقعة صفين؟

ومهما يكن الخلاف في نشأة هذه الفرقة الضالة فإنها باعتبارها فرقة لها أصولها وآراؤها الكلامية لم توجد إلا بعد أن توالت أحداث الأمة، من مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحادثة كربلاء إلى أن وضعت مذهبها النهائي في عهد جعفر الصادق.[3] وقد وصل المذهب الشيعي إلى كوت ديفوار على يد مجموعة من كبار التجار اللبنانيين الذين يديرون المتاجر الكبيرة مثل: سيبير ماركت (Super Market) وشركة "نور الحياة" وغيرهما.

وتنتشر اليوم هذه الفرقة في مدن كوت ديفوار، وعلى رأسها مدينة أبيدجان، ثمّ بواكي، وكوروغو، وياموسوكورو، ودالو، وغيرها من المدن الكبرى، ويوجد مركزهم الأساسي بالعاصمة "أبيدجان" ويزداد نفوذها يوما بعد يوم لما لهم من نشاط كبير في مجال الدعوة إلى مذهبهم وبنائهم

[1]- Les Musulmans d'Abidjan. P: 51-55.

[2]- الشهرستاني: الملل والنحل، ج/ 1، ص: 146.

[3]- د/ سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، بيروت، ط/ 5، 1977، ص: 12.

المدارس والمساجد والمراكز التعليمة الخاصة باتجاههم الفكري والعقدي والمذهبي، وتدريب دعاتهم بالامتياز، من تعليم الفلسفة والمناظرة، حتى لا يستسلموا أمام منافسيهم من أهل السنة والجماعة.

3- الاتجاهات المنتسبة إلى الإسلام:

ومعلوم أن الإسلام منذ فجره حتى يومنا هذا، ما يزال له أعداء ناقمون عليه، يقفون له بالمرصاد، ويمكرون بشتى الوسائل للقضاء عليه أو لتقويض أركانه، أو تسميم عقيدته، فبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت فتنة الردة ومدعو النبوات، ونهض الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقمعهم حتى أخمدت الفتنة في مهدها، وتألب الملوك والأمراء في أوروبا على الإسلام والمسلمين في الحرب الصليبية، وبعد أن فشلوا في استخدام القوة لجأوا أخيرا إلى الغزو الفكري لزعزعة عقيدة المسلم.

واليوم نجد أن أخطر هذه الوسائل وأشدها أثرا على الإسلام والمسلمين الفرق المنحرفة في عقائدها وتشريعاتها المنتسبة إلى الإسلام زورا وبهتانا.

وفي هذه الدراسة سأقتصر على القاديانية نظرا لكونها أكثر الفرق الضالة وجودا ونشاطا في كوت ديفوار.

القاديانية/ الأحمدية:

هي حركة دينية وسياسية نشأت سنة 1900م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في الهند، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمرين باسم الدين.[1]

وكان ميرزا غلام أحمد القادياني الذي عاش في فترة ما بين 1839-1908م، أداة في التنفيذ الأساسية لإيجاد هذه الفرقة ومركزها الرئيس الحاضر في باكستان.[1]

[1]- الحسن علي الندوي، القادياني والقاديانية، دراسة التحليل، مطبع ندوة العلماء، ط/2، 1972، ص: 13.

وتتلخص أهم مبادئهم وعقائدهم:

أ- يعتقدون أن النبوة لم تختم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعا.

ب- يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد، ويوحي إليه، وأن إلهاماته كالقرآن وسموا كتابهم المنزل "الكتاب" وهو غير القرآن الكريم، وقالوا: لا قرآن الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام) ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعاليمه ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

د- يعتقدون أن مدينة قاديان مثل المدينة المنورة، ومكة المكرمة، بل وأفضل منهما، وأرضها حرام، هي قبلتهم وإليها حجتهم.

هـ- يرون إلغاء فريضة الجهاد ويطالبون بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية.

و- يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.[2]

وفي عام 1961م دخلت طائفة من القاديانيين إلى أبيدجان باسم الإسلام، واتخذوا مركزهم الأساسي في الحي الشعبي أدجامي (AdJamé) وبدأ يدعون الناس إلى مذهبهم باسم الإسلام، مما جعل الناس لم يرتابوا في أمرهم، لأن مظهرهم الخارجي مظهر إسلامي من حيث الملبس، وتلاوة القرآن الكريم، والاحتجاج بالسنة النبوية، والاحتكاك بالمسلمين، مدعين أنهم جاءوا لتجديد الفكر الديني، ولا شك أن هذا المظهر هو ما غر بعض المسلمين الأبرياء بسبب قلة الوعي الديني الإسلامي لديهم، وعدم وقوفهم على حقيقة عقيدتهم، حتى إن المرحوم السيد الحاج بيما كوليبالي، رئيس الاتحاد الثقافي الإسلامي في كوت ديفوار- أقدم الجمعيات الإسلامية في الدولة – التبس عليه أمرهم، مما جعله يكتب شهادة اعتراف في أبيدجان نصها:

[1]- أحمد بن عبد الله الدربوش، محاضرات في المذاهب المعاصرة، سلسلة نشاطات الندوة الثالثة للندوة العالمية للشباب الإسلامي، عام 1998م، ص: 280.
[2]- أحمد بن عبد الله الدربوش، محاضرات في المذاهب المعاصرة، ص: 420- 421، بتصرف.

(أنا الموقع أدناه السيد الحاج بيما كوليبالي، أشهد بأني معترف بالحركة الأحمدية الإسلامية في كوت ديفوار منذ واحدة وعشرين سنة تحت حماية الاتحاد الثقافي، وبناء على طلب رئيسهم حررت لهم هذه الوثيقة لينتفع).[1]

ولم يقتصر الالتباس على السيد بيما كوليبالي فقط، بل تطور حتى إلى كبار المسلمين الذين كانوا يتعلمون عبر الكتب المترجمة إلى الفرنسية، وفي هذا يروي لنا الأستاذ الحاج تيجان باه – رحمه الله – مفتي الدولة سابقا، أنه في عام فوجئ لما أخبره السيد عبد الكريم فاديغا – أحد كبار الموظفين في وزارة الداخلية– بعد حديثه مع بعض الباكستانيين بمكة في أثناء أداء فريضة الحج أن أغلبية المسلمين من الطبقة المثقفة في الدولة ينتسبون إلى الأحمدية ومن واجبه أن يضع خطة مناسبة لتصحيح هذا المفهوم لديهم. وقد تمكن الأحمديون من بناء بعض المساجد في بعض المدن، وأنشأوا بعض المدارس والمستشفيات لتقديم المساعدة للمنتمين وغير المنتمين إليهم لإغراء المسلمين على أتباعهم، ولهم كذلك نشاط بارز في المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرهما.[2]

ثانيا: المذاهب الفقهية

دخل الإسلام إلى إفريقيا الغربية على يد التجار الوافدين من المغرب العربي الذين كانوا يتمذهبون بمذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس – رضي الله عنهما – فجاءوا إلى إفريقيا بهذا المذهب، ونشروه بين المعتنقين للإسلام هناك، فصار هو المذهب السائد في تلك البلاد، وكانت الفتاوى والمحاكم الإسلامية وخاصة في إمبراطورية مالي وسنغهاي، وفي سلطنة كانم، والمملكة الإسلامية التي أسسها المجاهد الشيخ عثمان بن فودي في شمال نيجيريا، والشيح أحمد بابا التنمبكتي تتداول وفق أصول هذا المذهب وقواعده.

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، "رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة" بجامعة أم القرى بملكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، سنة: 1998م، ج/2، ص: 456.

[2]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 180-181.

ولما كانت كوت ديفوار جزءا لا يتجزأ عن إفريقيا الغربية، كان من البديهي أن يكون هذا المذهب هو المذهب السائد والمنتشر بين المسلمين في هذه الدولة، وقد ساعد في توطيد هذا المذهب وتثبيته ونشره في هذه المنطقة عوامل عدة من أهمها:

1- عدم وجود مذهب آخر ينازعه.

2- كون ينسجم مع طبيعة الأفارقة، ويتلاءم مع عاداتهم وتقاليدهم.

3- إن الأغلبية المطلقة من الكتب الإسلامية التي كانت تصل إلى هذه المناطق كانت مالكية.

4- إن الفقهاء لم يكن لهم تكوين موسع خارج فروع المذهب المالكي.

5- إن المفردات المقررة للدراسة أنداك كانت كلها مالكية.[1]

وفي هذه الآونة الأخيرة بدأت تصل إلى هذه المنطقة بعض المذاهب الفقهية الأخرى تزاحم المذهب المالكي، وخاصة المذهب الحنبلي والشافعي، وتخرج عدد كبير من الجامعات العربية والإسلامية عاملا قويا في انبعاث الوعي الديني، وظهور الانتساب إلى المذاهب الفقهية الأخرى، وأصبحت طائفة من الشبان المتعلمين يعتبرون المذهب المالكي مذهبا تقليديا مناسبا لزمن الآباء والأجداد التي كانت غاية مبتغاهم هو نشر الدين بين أهل المنطقة.

وعليه أصبحت المقررات الدراسية في المدارس الإسلامية تغطيه المذهب الحنبلي والشافعي، أو يظهر عليها خلطا بين المذاهب الفقهية، وأصبحت الكتب المالكية تنعدم شيئا فشيئا.

وكل هذا يعني أن المذهب المالكي بعد أن كان هو المذهب السائد بدأ يتراجع ويترك المجال للمذهب الحنبلي والشافعي، أو عدم التمذهب بمذهب معين.[2]

[1]- كوني أرنا، مدرسة الرشاد ونظامها التعليمي بين الأمس واليوم، ص: 43.
[1]- كوني عبد الرحمن، أزمة التعليم الإسلامي في إفريقيا بين الأمس واليوم، شركة دار الأشعار للطباعة، القاهرة، ط/1، 1989م، ص: 13.

ثالثا: الطرق الصوفية

يوصف دور التصوف عموما في أغلب العصور عبر التاريخ الإسلامي بالسلبية، ولعل مما يساعد على هذا الفهم ما يلاحظ اليوم من انحراف كثير من أصحاب الطرق الصوفية التي أصبحت في جوهرها مؤسسات وكيانات سياسية اقتصادية أقرب إلى المادة منها إلى الروح. وعلى نقيض ذلك، سجل تاريخ حركات الصوفية في غرب إفريقيا دورا رائدا يختلف بكثير عن دور الطرق الصوفية في المشرق، فلم يكن لها مأرب سوى تكثيف الجهود لإصلاح المجتمع من كل جوانبه بالتعليم والتربية والجهاد، وهذا ما جعله يتسم بالإيجابية والسعي الدائب لنشر الإسلام بين الشعوب، كما استطاع أن يقف سدا منيعا أمام تيار السيطرة الأجنبية حيث قام رجاله بمقاومة الاحتلال الأجنبي أمثال الشيخ الحاج عمر الفوتي في مالي، والشيخ أحمد بمبا في السنغال والإمام ساموري توري والشيخ حماه الله وغيرهم.

ولاشك أن هذا يفسر عدم التعارض بين الانتساب إلى أهل السنة والجماعة إلى طريقة في غرب إفريقيا، كما يفسر اعتبار التصوف ظاهرة سائدة في أنحاء إفريقيا بين العوام والمتعلمين على السواء.[1]

ومن أهم هذه الطرق الصوفية المنتشرة في كوت ديفوار:

1- الطريقة القادرية: وهي منتشرة في شمال البلاد، ولها أتباع من السنغاليين والماليين المقيمين في كوت ديفوار.

2- الطريقة التيجانية: وهي منتشرة في الجنوب وخاصة بين الوافدين من جمهورية مالي والسنغال والنيجر، وهي منقسمة إلى عدة فروع :

[1]- د/ حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام الدولة الفولاتي في مطلع القرن الثاني عشر الهجري – التاسع عشر الميلادي- مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المجلس العلمي، رقم: 16، بدون تاريخ، ص: 125.

أ- تيجانية الحاج عمر تال الفوتي: وكان من أتباعه المشهورين المرحوم الحاج أبو بكر ساكو بمدينة "أبيدجان.

ب- تيجانية الحاج مالك سبحي السنغالي.

ج- تيجانية الشيخ إبراهيم نياس وأكثر أتباعه من قبيلة هوس.

د- تيجانية الشيخ حماه الله، وهي محدودة الانتشار، وكان يمثلها الشيخ باكوبا سيلا بمدينة ب "غانيو"

3- الطريقة المريدية: أسسها أحمد بمبا السنغالي، وأتباعه من السنغاليين المقيمين في كوت ديفوار، وهي متفرعة عن الطريقة القادرية.

وتنبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أنه لا يوجد في كوت ديفوار مشايخ طرق الصوفية من أصحاب النفوذ القوي ممن يلتفت الناس حولهم، كما لا توجد فيها أضرحة للأولياء أو شيوخ الصوفية التي يقوم الناس بزيارتها كما هو الحال في البلدان المجاورة.[1]

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 179.

المبحث الرابع: التعليم العربي الإسلامي والجمعيات الإسلامية

أولا: التعليم العربي الإسلامي

يعتبر التعليم العربي الإسلامي في المجتمعات الإيفوارية قديما قدم وصول الإسلام إليها، فقد كانت اللغة العربية قبل الاستعمار الفرنسي هي لغة الدين والعلم والثقافة[1].

وقد ازدهر التعليم الإسلامي في هذه الفترة، وسجل تقدما وتطورا ملحوظة من بوندوكو وأجيني وتوبا وسيغيلا ومنكونو وكونغ وغيرها.

وكان التعليم في هذه الحقبة في المدارس القرآنية التقليدية والكتاتيب، حيث يجمع "كراموكو"[2] أولاد المسلمين في زاوية من زوايا المساجد أو في داره أو تحت ظل شجرة في الخلاء لتعليمهم القرآن الكريم، الذي كان يكتب على الألواح الخشبية، وإذا ما أظهر التلميذ تفوقا في الحفظ والفهم يوجهه للعلم إلى دراسة الحروف الأبجدية، ثم بعض الكتب الفقهية واللغوية، ثم إلى دراسة تفسير القرآن الكريم، وكان من أهم المقررة في الفترة:

1- في مجال الفقه الإسلامي:

أ- المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الفاسي.

ب- الأخضرية للعلامة الشيخ عبد الرحمن الأخضري.

ج- متن العشماوية.

---

[1]- المؤلفات التي تناولت الإسلام والثقافة العربية في هذه الفترة كثيرة من أهمها ما يلي: أ- سلسلة اليونسكو (تاريخ إفريقيا العام) فهي أوفي وأشمل من غيرها ب- حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: د/ شيخو أحمد غلادن، ط2، الرياض 1993م.

[2]- كلمة "كراموكو" في لهجات قبائل جولا تعني "المعلم" وهي في أصلها مركبة من كلمتين: "كرا" وتعني: القراءة، و"موكو" تعني الإنسان، ومعنى المركب "الإنسان القارئ" وهي مصطلح تطلق على من تجاوز المراحل التعليمية الأربعة: مرحلة قراءة القرآن الكريم، ومرحلة قراءة الحروف الأبجدية، ومرحلة قراءة الكتب الفقهية واللغوية، مرحلة تفسير القرآن الكريم، وهذا الشخص يجب عليه أن يتميز بسجاياه خلقية رفيعة، ومزايا علمية واسعة مما تكسبه مكانة مرموقة، ومنزلة محترمة لدى العامة والخاصة. انظر: مدرسة الرشاد ونظامها التعليمي بين الأمس واليوم، كوناتي أرنا، ص: 32 .

د- رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

هـ- أقرب المسالك.

و- فتح الجواد في شرح الإرشاد.

ز- مختصر خليل للشيخ خليل بن إسحاق.

ح- المدونة الكبرى لسحنون وغيرها من الكتب المعروفة في هذا المجال.

2- في مجال أصول الفقه:

أ- الورقات لأبي المعالي الجويني.

3- في مجال اللغة العربية:

أ- بردة المديح للإمام محمد البوصيري.

ب- مقصورة ابن دريد.

ج- ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور ب "ابن المهيب".

د- نيل الأماني في شرح التهاني المشهور ب"الدالية" لليوسي.

هـ- مقامات الحريري.

و- المعلقات السبع.

ز- ميزان الذهب.

ح- الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضري الجزائري.

4- في مجال قواعد اللغة العربية:

أ- متن الآجرومية لابن آجروم الصنهاجي.

ب- ملحة الإعراب لأبي القاسم بن علي الحريري البصري.

ج- تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب للإمام محمد بن عمر الحضرمي.

د- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري.

هـ- ألفية ابن مالك.

و- لامية الأفعال لبدر الدين ابن مالك.

5- في مجال تفسير القرآن الكريم:

أ- تفسير الجلالين للسيوطي وجلال الدين المحلي.

ب-حاشية الصاوي على تفسير الجلالين للعلامة الشيخ أحمد الصاوي المالكي[1].

6- في مجال الحديث:

أ- الألفية لجلال الدين السيوطي.

ب- صحيح البخاري وصحيح مسلم.

ويستمر الطالب في دراسة هذه الكتب حتى يبلغ المستوى الذي ينشده لنفسه، أو ينشد له أهله، فيعطي إجازة لينخرط في سلك التعليم، فيدرس كما كان يدرس هو، وقد كان لبعض هؤلاء

[1]- كوناتي أرنا، مدرسة الرشاد ونظامها التعليمي بين الأمس واليوم. ص : 36.

شأن عظيم في تطوير التعليم الإسلامي حتى أصبح لسان دواوين الحكم والأمراء في بعض البلدان.[1]

وبعد أن تسرب الضعف والاضمحلال إلى المدارس القرآنية عرف التعليم العربي الإسلامي مشاكل جمة، استمرت في البحث عن الحلول لها حتى الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، حيث بدأ نسيم التغير والتطور تهب على هذا التعليم بفضل رجوع الفوج الأول من أبناء كوت ديفوار الذين هاجروا من أجل التحصيل إلى الدول العربية، فبدأت جذور نظام المدارس الأهلية الحديثة تظهر في جميع ربوع الدولة على مستوى أعلى وأحسن تنظيما من مستوى التعليم التقليدي، إلا أنها لم تجد قبولا حسنا لدى المسلمين في ذلك الوقت، نظرا إلى أنها كانت تحاكي في جميع أبعادها المدارس التبشيرية والتنصيرية من جلوس التلاميذ على الكراسي أمام الطاولات، واستخدام السبورة والطباشير وغيرها، ومع تقدم الزمن، وظهور الثمار الأولى لهذا النظام الجديد، أدركوا مقاصدها، وعرفوا نواياها، فاتجهوا صوبها، وتعاونوا في محاولة استقرارها وازدهارها وتطويرها إلى أعلى المستوى[2].

وكان أول من قام بإنشاء مدرسة على النظام الحديث هو المصلح الشيخ كابيني جاني بمدينة بواكي، وكان سلفي الاتجاه من دعاة إصلاح العقيدة، فسبب له ذلك متاعب كثيرة حتى رفضوا إمامته للمسجد الكبير في بواكي تفاديا للمصادمات التي كانت تحدث بين أنصاره والجماعات الأخرى فعاد إلى وطنه الأصلي بغينيا، وقام بتأسيس المدرسة الثانية الشيخ الحاج أحمد حماه الله يتبارى في أبيدجان، ولم يمكث طويلا، ثمّ رجع إلى موطنه الأصلي ب "مالي" بسبب خلافات عقدية.

ثمّ جاء بعدهما المفتي العالم المثقف الأستاذ أحمد التيجاني باه، فأسس مدرسة التهذيب الإسلامي في أبيدجان عام 1957م.

[1]- كوني عبد الرحمن ، أزمة التعليم الإسلامي في إفريقيا بين الأمس واليوم، ص: 13.

[2]- L'homme et l'érudit. P: 22.

ولما لم يكن افتتاح المدرسة يخضع لأي شرط أو قيد أو تصريح تتابع افتتاح المدارس بشكل مدهش حتى يومنا هذا، ونتج عن ذلك سلبيات ومشاكل كثيرة من أهمها:

1- كثرة هذه المدارس وانتشارها بشكل غير منظم، فكل من أحس في نفسه ميلا إلى الإسلام، أو لم تساعده ظروف الحياة لمتابعة دراسته في إحدى الدول العربية، عمد إلى فتح محل وأطلق عليه اسم المدرسة، وإن لم تتوفر فيها أدنى الشروط المطلوبة.

2- عدم الانسجام والتنسيق بين المناهج المتبعة في هذه المدارس، فهذه لديها مقررات سعودية وأخرى كويتية أو لبنانية أو مغربية إلخ.

3- سوء الإدارة، وعدم ملائمة المباني الدراسية.

4- التنافس المذموم وسوء التفاهم بين مديري هذه المدارس، فكل يعمل منفردا في دائرته سواء في مدينة واحدة أو في حي واحد.

5- عدم كفاءة المدرسين.

6- عدم رعاية التلاميذ والتخطيط لما يضمن لهم مستقبلا سليما.

وقد ترتب على هذه السلبيات مصيبة عظيمة تكمن في:

1- يأس الآباء من جدوى هذه المدارس، حيث أصبحوا يفضلون إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، حكومية كانت أو تبشيرية أو شيعية أو قاديانية نظرا لحسن تنظيمها وعنايتها بالمنهج المقرر من الحكومة.

2- ضعف وتدني مستوى التعليم في تلك المدارس.

3- عندما ينتهي الطالب من المرحلة الإعدادية أو الثانوية، فإن صاحبه الحظ وأتيحت له الفرصة لمتابعة دراسته في إحدى الدول العربية، وهم قليلون، أما الباقون فليس أمامهم خيار إلا أن يكونوا مدرسين أو ينشئوا مدارس أخرى بهذا المستوى أو يتعلموا مهنة لكسب قوتهم، مثل: السياقة،

والميكانيكية، وممارسة التجارة، أو تدفعهم ظروف الحياة للبطالة وأحيانا للانحراف، فتلتقطهم الشوارع ليكون مصيرهم السجن.

ومع هذه المأساة ينبغي الاعتراف والإشارة إلى ما تبذله بعض المدارس من جهود لتخرج من الحضيض، وتحاول إصلاح منهجها الدراسي وفق ما يتطلبه النظام الحديث، وهي وإن كان سعيها بطيئا إلا أن نواياه الحسنة تعطي أملا ورجاء في المستقبل، ومن أهم هذه المدارس:

1- مدرسة "دار الحديث" بمدينة بواكي: أسسها المرحوم الشيخ الحاج موري موسى كمار عام 1960م وهي مدرسة سلفية الاتجاه، ولديها إمكانيات ضخمة، تحتوي على روضة الأطفال، والمراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، ويديرها اليوم الشيخ عبد الله سدبي، ومعظم مدرسيها من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتعتبر هذه المدرسة مشعل نور العلوم السلفية، ولها فروع في معظم المدن والقرى بكوت ديفوار.

2- مدرسة "الثقافة الإسلامية" بمدينة بواكي: أسسها أبناء المرحوم الشيخ الحاج عثمان سيلا سنة 1972م وهم: الشيخ يوسف عثمان سيلا، وإخوانه الشيخ أبو بكر عثمان سيلا، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ محمود عثمان سيلا، خريج الأزهر الشريف، قسم اللغات والترجمة، والشيخ مصطفى عثمان سيلا، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

3- مدرسة "المقاصد الإسلامية" بمدينة بواكي: أسسها الشيخ عبد الرحمن وتارا خريج المملكة المغربية.

4- مدرسة "هداية الناشئين" بمدينة أبيدجان: أسسها الشيخ إسحاق جراسوبا، خريج كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

5- مدرسة الرشاد بمدينة كروغوا: أسسها الشيخان: الشيخ عبد الرحمن كوليبالي خريج معهد الدراسات الإسلامية بأبي ظبي (الإمارات العربية المتحدة) والشيخ الحاج محمد كوناتي.

6- مدرسة الجديدة الإسلامية بمدينة كروغو: أسسها جماعة من أهل السنة ويديرها اليوم الشيخ عمر كمارى، خريج كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

7- مدرسة سبيل النجاح بمدينة لا كوتا: أسسها الشيخ محمد كوناتي، ويديرها اليوم السيد كوناتي برهان الدين، خريج كلية الدعوة الإسلامية العالمية.

8- مدرسة "دار السلام" بمدينة دالو: أسسها المرحوم، زكريا توري وأخوه سعيد توري، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

9- مدرسة "أنصار القرآن والسنة المحمدية" بمدينة دالو: أسسها الدكتور مصطفى سي يعقوب، أول من حصل على درجة الدكتوراه من أبناء كوت ديفوار في الدراسات الإسلامية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

10- مدرسة الثقافة الإسلامية والعقيدة الصافية بمدينة أبيدجان: أسسها الشيخ كراموكو فاروق، خريج كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

11- مدرسة سبيل النجاح بكوماسي أبيدجان: أسسها الشيخ بابوا سيسي.

وغير ذلك من المدارس التي لا يسع المقام لذكرها بالتفصيل، وهي مع مشكلاتها الاقتصادية والمنهجية استطاعت أن تحتفظ لنا بثقافة إسلامية صافية، وسد الثغرات أمام أطماع الاستعمار الذي لم يأل جهدا في القضاء عليها، وإخماد روح الدين لدى أبناء المسلمين.[1]

ثانيا: الجمعيات الإسلامية

استجابة لنداء الصحوة الإسلامية الكبرى التي بدأت تلوح أفق سماء الفعل الإسلامي، وتضيء معالم الطريق لمسلمي كوت ديفوار منذ بداية الاستعمار بدأ المسلمون ينتظمون في سلك الجمعيات واتحادات إسلامية مختلفة من حيث النوع والاتجاه، ومتفقة من حيث الأهداف والغايات.

[1]- كوناتي أرونا، مدرسة الرشاد ونظامها الإسلامي بين الأمس واليوم، ص: 45

وهذه الجمعيات أثرت تأثيرا هاما في تغيير مسار الدعوة والحركات الإسلامية، وفرضت وجودها على الساحة، ومن أهم هذه الجمعيات:

1- الاتحاد الثقافي الإسلامي (Union Culturelle Musulmane)

أسس عام 1953م بدكار، قصد جمع المسلمين تحت قيادة واحدة، ومحاولة تحقيق مطالبه،والدفاع عن الثقافة الإسلامية، برئاسة الشيخ توري، ليشمل جميع المستعمرات الفرنسية بغرب إفريقيا، وفي عام1957م، أسس فرعه في كوت ديفوار برئاسة الشيخ موري سيلا، وبعده تمّ تعيين السيد بيما كوليبالي رئيسا له.[1]

2- جمعية المسلمين الأرثوذكسيين بكوت ديفوار

(Association des Musulman Orthodoxe de côte d'ivoire)

أسست عام 1979م برئاسة الحاج ياو كوم، وكانت الجمعية تهدف إلى إيجاد حرية تامة في تطبيق شعائرها كما تريد، والدفاع عن حركة أهل السنة أينما وجدوا في كوت ديفوار، ومقرها الرئيسي في أبيدجان، وأخيرا تمّ تغيير اسم الجمعية إلى "جمعية المسلمين بكوت ديفوار **(Association des Musulmans de Côte-D'ivoire).**

3- اتحاد مدرسي اللغة العربية في كوت ديفوار:

(Union des enseignants de la langue Arabe en Côte d'ivoire)

أسس عام 1975م بهدف توحيد مناهج المدارس الإسلامية ورفع مستوى المدرسين، ومحاولة تحسين أدائهم في مجال التعليم، وكان رئيسه الأول هو السيد الأمين سيسي ومقرها الرئيسي بأبيدجان.

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ص: 99.

4- جمعية التلاميذ والطلبة المسلمين بكوت ديفوار:

(élevés et étudiants musulmans de côte d'ivoire Association des)

أسست عام 1974م برئاسة السيد فاسريكي توري، وكان الهدف من تأسيسها نشر الوعي الديني والفهم الصحيح في الأوساط الطلابية، وهي تعتبر من الجمعيات الأم، إذ يرجع إليها الفضل في إثارة الصحوة الإسلامية التي يعرفه المجتمع الإيفواري اليوم، ونشر الإسلام بين الطبقات المثقفة، وتأسيس الجمعيات الأخرى ومقرها الرئيسي في أبيدجان.

5- المجلس الأعلى الإسلامي: (Conseil Supérieur Islamique)

أسس عام 1979م برئاسة الشيخ موسى كوماري، وكان الهدف من تأسيسه هو وجود

جمعية مركزية تهيمن على جميع الجمعيات الإسلامية وتكون همزة وصل بين المسلمين والحكومة والمؤسسات الإسلامية الأخرى خارج الدولة، وهي في آخر مطافها أصبحت أقرب إلى السياسة منها من الإسلام، وإلى الحكومة منها من المسلمين، مما أفقدها شعبيتها وهيمنتها وقلل من فعاليتها في المجتمع، وخاصة بعد سيطرة السيد مصطفى جابي عليه.

6- الرابطة الإسلامية للدعاة في كوت ديفوار:

(ligue Islamique du prédicateur en Côte d'ivoire)

أسست عام 1988م برئاسة الأخ إبراهيم بناتي، وهي تهدف إلى تنظيم الدعوة والدعاة، ومحاولة تحسين أدائهم، والتقليل من الانتقادات بين الدعاة وموضوعات الدعوة، ومقرها الرئيسي في أبيدجان.

7- دائرة الدراسات الإسلامية والبحوث الإسلامية:

(Cercle d'étude et de recherche Islamique)

أسست عام 1900م برئاسة إبراهيم كوني، وكان الهدف من تأسيسه هو تنشيط الدراسات والبحث حول الإسلام والمسلمين في كوت ديفوار في جميع مجالاته.

8- المجلس الأعلى للأئمة: (Conseil Supérieur des Imams)

أسس عام1991م برئاسة الشيخ فاسريكي جابي، وتهدف إلى تفعيل رابطة الأخوة بين الأئمة ومحاولة تحسين أدائهم وأوضاعهم الاقتصادية والثقافية.

9- جمعية الشباب المسلمين بكوت ديفوار:

(Association des jeunes musulmans de Côte d'Ivoire)

أسست عام 1992 برئاسة السيد مصطفى سوماهور، وكان الهدف من تأسيس هذه الجمعية هو توجيه الشبان المسلمين إلى التمسك بدينهم، والسعي لنشر الوعي الديني، والفهم الصحيح ومقرها الرئيسي في أبيدجان.

10- المجلس الوطني: (Conseil nationale Islamique)

أسس عام 1992م برئاسة السيد إدريس كوني، وهي جمعية فيدرالية تهدف إلى وجود جمعية مركزية تهيمن على جميع الجمعيات الإسلامية، وتكون همزة بين المسلمين والحكومة والمؤسسة الإسلامية الأخرى خارج الدولة.

11- جمعية النساء المسلمات في كوت ديفوار:

(Association des femmes musulmans de côte d'ivoire)

أسست عام 1994م برئاسة السيدة خديجة كوناتي، ومقرها الرئيسي في أبيدجان.

12- جبهة الأمة الإسلامية: (Front de la Oma Islamique)

أسست عام 1995 برئاسة السيد بكاري شريف، ومقرها الرئيسي في أبيدجان.

13- الإنقاذ الطبي الإسلامي: (Secours médical Islamique)[1]

هذه بعض أهم الجمعيات الموجودة على ساحة كوت ديفوار، وهناك جمعيات أخرى كثيرة ذات طابع وطني تعليمي أو إقليمي.

وهذه الجمعيات وإن استطاعت أن تثير روح الهمة والشرف بالانتساب إلى الإسلام لدى الشباب المسلمين، إلا أنه يبقى على عاتقها أعمال كثيرة في مسارها الإصلاحي والتنظيمي، وخاصة إذا عرفنا أن جل هذه الجمعيات تعاني من سوء التنظيم والتنافس المذموم فيما بينها، واستغلالها في الغالب للأطماع والمصالح الشخصية.

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ص: 105-107.

المبحث الخامس: المسيحية في كوت ديفوار

إنّ المسيحية في أصلها اللغوي: اسم مشتق من المسح: وهو إمرار اليد على الشيء السائل مثل: مسح الرأس من الماء أو الجبين من العرق.[1]

واصطلاحا: تطلق المسيحية على ما يدين به النصارى على اختلاف فروعهم ونحلهم، وهذه التسمية أطلقها أتباع المسيح –عليه السلام– على أنفسهم في القرن الثالث الميلادي، في مجمع نيفة [2] وما زالت تطلق حتى العصر الحالي للدلالة عليهم ويقصدون بها أنفسهم عباد المسيح –عليه السلام– وأتباعه المخلصون في حين أن نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لا تستعمل إلا كلمة "النصرانية" التي وردت في القرآن الكريم باشتقاقها في عشرين موضعا.[3]

فالمسيحيون إذن تضم أولئك الذين يزعمون الانتساب إلى أمة سيدنا المسيح بن مريم عليهما، رسول الله وكلمته، والمبعوث قبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمبشر به في التوراة، وكانت له دلائل قاطعة ومعجزات بينة على صدق دعوته ورسالته من ولادته وإحيائه للموتى وإبرائه الأكمه والأبرص بإذن الله وغيرها.[4] ويرجع لقب المسيح إلى أحد الطقوس الدينية في الشريعة اليهودية، وهو المسح بنوع معين من الدهن، بقصد التقديس والتكريس والاختيار لوظيفة عظيمة أو رسالة سامية، والذي يهم هنا هو معرفة كيفية دخول المسيحية في كوت ديفوار؟ ومعرفة أهم فرقها ونشاطها؟ ومدى تأثيرها على المجتمع الإيفواري؟

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة "مسح" دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، سنة 1988م، ص: 98.
[2]- خواجة كمال الدين، ينابيع المسيحية، منشورات لجنة المحققين، لندن، 1991م، ص: 74.
[3]- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة جمال للنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص: 703.
[4]- د/ مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط/4، سنة 1420 الهجري، ص: 22.

أولاً: دخول المسيحية إلى كوت ديفوار

تعتبر المسيحية في كوت ديفوار وليدة الاستعمار، وطفله الملل، لذا كانت جهودها جزءا لا يتجزأ عن جهود المستعرين، إذ قاموا عن دراية ووعي بأداء دور عملاء المستعمرين، كما كانت الإدارة الاستعمارية تتخذ موقفا إيجابيا من جهود المبشرين، وتقدم الإعانات لمدارس الإرساليات، وتوفر لهم الأمن والحماية المطلقة، ليتمكنوا من أداء رسالتهم على أحسن وجه.

1- دخول الإرساليات الكاثوليكية:

تعتبر الإرساليات الكاثوليكية أسبق الكنائس في الوصول إلى أراضي كوت ديفوار، وقد مر دخولها بمرحلتين أساسين:

المرحلة الأولى: مرحلة المنصرين المغامرين

في عام 1687 وصل شواطئ أسيني (Assini) بكوت ديفوار خمسة رهبان من البرتغال قصد تنصير أبناء المنطقة، وحاولوا التوغل إلى الداخل إلا أنه مات منهم ثلاثة في الحال، ورجع اثنان إلى البرتغال، حيث منيت الحملة بالخيبة التامة.

وبعد عامين وصل الأبوان قونزلفي (Gonzales) وسيرزيه (P. Cerisier) إلى قرية أسيني، ولقيا مقاومة شديدة من قبل الأهالي، وكذلك كانت معاداة الهولنديين شديدة على الذين يتعاملون مع الفرنسيين، وهناك مات الأب (سريزيه) وتوجه الآخر إلى داهومي (بنين حاليا).

وفي تلك الفترة تم تعيين الأب لوير (Loyer) واليا أسقفيا من قبل روما على الغنيتين مع الإقامة في أسيني، ولكن بسبب معاداة الهولنديين رجع إلى فرنسا لطلب العون لمحاربتهم، إلا أن مهمته لم تنجح.

وفي عام 1858م عادت الإرساليات التنصيرية بمدينة ليون (Lyon) بفرنسا الكرة على ليبريا وسيراليون، فكونت فريقا من خمسة وعشرين شخصا برئاسة الأب مريون (P. Marion) ووصلوا إلى شواطئ فريتان –عاصمة سيراليون– وفي إثناء قيامهم بأعمالهم مات منهم أربعة، ومنهم الرئيس، وترأس الوفد الأبيلانك (P. Planque) وبقوا حتى عام 1907م، وبعد أن احتاج

الموت معظمهم ونوى بلانك التوجه إلى كوت ديفوار، صادف ذلك هزيمة جيش نابليون الثالث أمام جيش بسمارك (Prince Otto Von Bismarck) في موقعة سيدان[1] (Sedan) وأدى ذلك إلى انسحاب فرنسا من الشواطئ الإفريقية لذلك لم يستطع بلانك تحقيق أمنيته.[2]

وهكذا بات جميع هذه المحاولات بالفشل، فعرفت تلك المرحلة عبر التاريخ المسيحي في كوت ديفوار بمرحلة الفشل وخيبة الأمل.

المرحلة الثانية: مرحلة المنصرين الرسميين

بعد أن تم احتلال الدولة من قبل الاستعمار الفرنسي وتعيين بنجير **(Binger)** واليا عليها، وجه هذا الأخير في عام 1895م خطابا إلى الأب بلانك لرئيس جمعية الإرساليات الإفريقية بمدينة ليون – فرنسا – **(Société des missions de Lyon)** يطلب منه إرسال بعثة كاثولويكية يقوم بالتنصير والتعليم تحت حماية الإدارة الاستعمارية، وهذا نص الخطاب:

"الجمهورية الفرنسية

حرية، مساواة، أخوة

غران بسام 11/يناير 1895م

من الوالي إلى السيد المبجل الأب

الرئيس العام للإرساليات بليون.

الأب المبجل

لي الشرف أن أعلمكم أنني انشغلت منذ زمن طويل بإمكانية تأسيس إرساليات في كوت ديفوار.

والاتصالات التي قمت بها لدى الآباء المبجلين ورؤساء مختلف الإرساليات أسفرت عن وعود طيبة منهم، الأمر الذي جعلني ألاحظ أن السبب هو عدم تثبت الآباء بوجود المنطقة

[1]- سيدان: مدينة فرنسية، هزم فيها جيش فرنسا في الثاني من سبتمبر 1870م، انظر: الفرق الدينية في ساحل العاج د/ يونس توري، ص: 158.
[2]- Paul Desalemankdx .Histoire de l’éducation en côte d’ivoire p. 98-100.

تحت دائرة نفوذهم، وخلال رحلتي الأخيرة إلى ثبت التقيت بأب مبجل من لوكوجا (Lokoja) استشرته في الموضوع، وذكر أن البلاد الواقعة بين الشاطئ الأيسر لنهر كافانا والشاطئ الأيمن لنهر نجير تقع داخل منطقة نفوذ الإرساليات "ليون" التي تديرونها.

والمستعمرون التي أتشرف بولايتها تقع ما بين نهر كافانا وساحل الذهب الإنجليزي طول الساحل 600 كلم، والطول الداخل بمسافة مائة، ومن الساحل إلى الداخل بمسافة 250 إلى 300كلم، والسكان هنا وثنيون، وفي الشمال يوجد المسلمون في غاية من السماحة، وليس في البلاد أي تأثير تنصيري، باستثناء بعض المحاولات في نهاية القرن السابع عشر، وبداية الثامن عشر، والسكان في حاجة ماسة إلى الإرساليات، والجو أقل إيذاء، وأؤكد لكم أن المنطقة أجمل جزء على الساحل من حيث النبات.

وسيخصص مبلغ من الميزانية المحلية للتعليم العام، ويمكن بكل سهولة تحويل ذلك المبلغ إلى الإرساليات، وأرى إن كنتم على استعداد أن ترسلوا أبا مبجلا على علم بطبيعة إفريقيا، من داهومي أو فرنسا، ليقوم على المؤسسة التي ستقام في غران بسام.

وأرجوا أن تخبروني بما اتخذتم من قرار حيال الموضع.

وتقبلوا مني أيها الأب المبجل فائق الاحترام.

بنجر"[1]

وفي يونيو 1895م تم تعيين كوت ديفوار إلى مقاطعة أسقفية مستقلة.

وفي أكتوبر وصل رائد المجموعة التبشيرية الجديدة الأب همارد (P. Hamard) والأب بونهوم (P. Bonhomme) إلى غران بسام وكانت الاتفاقية بينهما أن الإدارة الاستعمارية تدفع مائة وخمسين فرنك فرنسي شهريا على الشخص الواحد وعلى المدرسة والسكن والإدارة.

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ج/ 2، ص: 326.

وفي العام التالي 1896م وصل غران بسام الأب راي (T.P. Ray) حيث عين واليا رسوليا، فباشروا العمل في دابو (Dabou) وموسو (Moossou) وتم تشييد كنيسة في غران بسام.

وكان نائب الوالي الرسولي لويس موتي (Louis Mouette) يحث المبشرين على مضاعفة الجهود لتكثير المدارس التبشيرية، ولنشر اللغة الفرنسية، وغرس حب فرنسا في النفوس .

وفي عام 1898م وصل إلى غران بسام نسوة من جمعية السيدة العذراء للأخوات الرسوليات (Congrégation des sœurs de notre dame des Apôtres) لكي يشاركن في عملية التنصير وباشرن العمل بمجرد وصولهن.[1]

ورغم بعض المشاكل الطفيفة كان كل شيء على ما يرام حتى عام 1899م، حيث حدث في مدينة غران بسام وباء الحمى الصفراء، قضى على كثير من المنصرين بمن فيهم الوالي الرسولي والأطباء، واحترق مقر البعثة بغية التعقيم، وظن أن الأهالي قد دسوا لهم السم كمحاولة لمقاومة السيطرة الأجنبية.[2]

ومهما يكن الأمر، فإن الكاثوليكية ظهرت في كوت ديفوار منذ نهاية القرن السابع عشر الميلادي، ولكنها لم يكن لها تأثير قوي على السكان، وبقي الأمر حتى عام 1895م، حيث استقبل الوالي بنجير المنصرين الكاثوليكية الذين استدعاهم رسميا ليقوموا بمهمة التعليم والتبشير.

2- دخول الإرساليات البروتستانتية الميثودستية

في عام 1895م حين كان والي المنطقة بنجير يراسل جمعية الإرساليات الإفريقية في مدينة (ليون) غران بسام، لاستعمالهم اللغة الإنجليزية، وفي عام 1924م قام الراعي بلات (Pasteur Platte) رئيس الإرساليات في توغو وداهومي –بنين– بزيارة كوت ديفوار بغية ضم

[1]- Paul Desalemankdx .Histoire de l’éducation en côte d’ivoire p: 105- 107.
[2]- Ibid p : 105.

أتباع هاريس إلى كنيسته، واكتشف في أثناء زيارته الفجوة التي تركها المتنبي هارس، فكتب إلى مركزهم في لندن بأهمية إرسال بعثات تبشيرية تتكلم اللغة الفرنسية قصدا احتواء أتباع هاريس، وبهذا جاءت مجموعة من البعثات البروتستانتية الميثوديستية، منهم القس ليفيل (Lethel) وثلاثة من القسيسين السود، وعشرين من أتباعهم، واستطاعوا خلال فترة زمنية قصيرة أن ينشئوا أربع محطات إرسالية في كل أبيدجان ودابو وغران لاهو وغران بسام[1].

كان في المنطقة الساحلية بعض التجمعات البروتستانتية من العاملين الذين جاءوا من الدول المجاورة:غانا وليبيريا وسيراليون، ولم يكن وجودهم ملفتا لنظر الإدارة الاستعمارية، لأن نشاطهم كان محدودا ودام الأمر على هذا الحال حتى 1922/02/14م حيث أصدرت الإدارة الاستعمارية قرارا يمنع فيه التعليم أو العبادة بلغة أخرى غير اللغة الفرنسية، وبناء على ذلك تم إغلاق الكنائس البروتستانتية في غران بسام لاستعمالهم اللغة الإنجليزية.

3- دخول الهارستية:

في يونيو عام 1913م جاب شواطئ كوت ديفوار المتنبئ وليام واد هارس (William Wade Harris) من أهل ليبريا، مدعيا أن جبريل عليه السلام أوحى إليه ليدعو الناس إلى المسيحية، فوجدت دعوته نجاحا كبيرا بين سكان الشواطئ، وخاصة في إقليم غرات لا هو (Cercle de grande Lahou)[2]

1-دخول إرسالية الكتاب المقدس (Mission Biblique)

قام الدكتور مارك هيفورد (Dr/ Mark Hay Ford) بزيارة كوت ديفوار في الأعوام 1906م، 1908م، 1919م، وكان يعمل لضم أتباع هارس إلى الكنيسة التي أسسها في ساحل الذهب – غانا – الكنيسة المعمودية الإرسالية وكان يريد تمديد نفوذ تلك الكنيسة إلى كوت ديفوار، ولكن مرسوم 14/فبرير/1922م منعه من مواصلة عمله، لذلك ذهب إلى فرنسا، واتصل بمعهد الكتاب المقدس التابع لإرسالية الكتاب المقدس في نوجان (Nogent) لطلب منصرين فرنسيين،

[1]- Paul Desalemankdx .Histoire de l’éducation en côte d’ivoire. P: 106.
[2]- M.G. Haliburton. Le prophète Harris. P: 40.

وتمّ الاتفاق مع الشاب دانييل ريشارد (P. Daniel RICHARD) خريج المعهد وزجته الممرضة لوررتشاد (Laure Richard) ليعملا في أي مركز من مراكزه بكوت ديفوار.[1] وفي 21/ مارس/ 1927م وصل الراعي دانيال ريتشاد وزوجته لو ريتشارد إلى دابو، فوجدا أن البعثة الميثودستية قد ضمت جميع مراكز الدكتور مارك إلى نفوذها، وفي رسالته الأخيرة إلى د/ مارك في 9 سبتمبر 1927م، ذكر فيها يأسه لعدم وجود أي أثر له من قبل بعثته في مدينة ساسندرا، وأكد له تأسيس إرسالية الكتاب المقدس في الجنوب الغربي من كوت ديفوار وانه آسف على مفارقته.[2]

2- دخول التحالف المسيحي والارسالي: (Alliance chrétienne)

وصلت هذه الإرسالية إلى كوت ديفوار عام 1925م واتخذت مدينة بواكي مركزا لها، وركزت جهودها في أوساط قبائل باولي في وسط البلاد.

هذا هو تاريخ وصول أهم الكنائس إلى كوت ديفوار، وإلى جانبها توجد كنائس أخرى حديثة، منتشرة في أنحاء البلاد – وخاصة في أبيدجان – وصلت بعثتها في هذه السنوات الأخيرة.

ونستنتج مما سبق، أن الإسلام هو أسبق الأديان السماوية وصولا إلى كوت ديفوار، وكانت تحظى بمساندة ودعم الإدارة الاستعمارية، وأنها كانت تحتكر مجال التعليم كلها، وتوجه حسب رغباتها. والفرق المسيحية كثيرة ومتنوعة، لكل منها تاريخها الخاص بها.

ثانيا- الفرق المسيحية في كوت ديفوار

يتضح فيما سبق أن المسيحية لما جاءت إلى كوت ديفوار، جاءت مع طوائفها وفرقها الكثيرة المتنوعة، ونظرا إلى استمرار استحداث الكنائس مع الزمان والمكان، يصعب اليوم حصر هذه الفرق، لكن ذلك لا يمنع من عرض أهم هذه الفرق الموجودة في كوت ديفوار.

[1]- Jean. Les matins de dieu. p: 22.

[2]- د/ يونس توري، "الفرق الدينية في ساحل العاج، ج/ 2، ص: 335.

1- الكاثوليكية الرومانية: (Catholicisme romain)

وتسمى كنيستهم بـ (الكنيسة الكاثوليكية، أو الغربية اللاتينية، أو البطروسية الرسولية).

ومعنى الكاثوليكية: العامة، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية لاتينية لأن امتداد نفوذها تغلب على الغرب اللاتيني خاصة، كإيطاليا وبلجيكا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا، وسميت البطروسية الرسولية لاعتقادهم أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول، كبير الحواريين، والباباوات في روما خلفاؤه[1]، وقد وصل هذا الدين إلى كوت ديفوار منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر، ويعتبر اليوم أهم الفرق المسيحية وأكبرها، لقوة نفوذها ونشاطها، ولكونها الفرق التي احتضنتها الحكومة الاستعمارية منذ نشأتها، ولم تزل –حتى يومنا هذا– تتمتع بعناية الحكومة ورعايتها، ويمثل أتباعها 4، 19 نسمة من السكان.[2]

وغالبيتهم في المناطق الجنوبية، ويكفي دلالة على أهمية الكاثوليكية ومكانتها في كوت ديفوار ما تم لها من إنجازات في السنوات الماضية، وأذكر منها الكنيستين المشهورتين عالميا كما يلي:

أ- كاتدرائية القديس بولس في أبيدجان:

كانت فكرة إنشاء كاتدرائية نموذجية في كوت ديفوار تراود حكومتها منذ عهد الاستعمار، ولم يتحقق ذلك إلا في عهد الرئيس فليكس هوفويت بوانيه الذي أمر بجمع التبرعات من المواطنين قصد بناء معابد للمسلمين والكاثوليك والبروتستانت، فجمعوا ما بين عام 1963– 1963م مبلغا وافرا، وتم اختيار حي بلاتو في قلب أبيدجان لبناء كاتدرائية بولس، واغتنم زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للبلد في مايو1980م، لوضع حجر الأساس، وبهذا تمّ تنفيذ المشروع في عام 1983/02/15م، وكان المسؤول عن تنفيذه هو المهندس المعماري الإيطالي، ألدو سبرتو (Aldo Spirito) وجاء البناء على شكل مثلث، يستند سقفه على قاعدة من المدخل

[1]- مانع بن حماد الجهني، الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج/2، ص: 60.

[2]- Recensement Général de la population et de l'habitat. p : 4.

الرئيسي ثمّ يأخذه في الصعود بانحناء مستندا على أعمدة جانبية على طول ثلاثين مترا، حيث حيال الصواري على عامود الناقوس، وهذا العمود منفصل من الكاتدرائية، ومكون من ثلاثة أعمدة مجوفة ضخمة مائلي لتكوين حزمة، ويبلغ طول العمود الرئيسي سبعون مترا، ويعضده عمودان طولهما ثمان وثلاثون مترا، وفي الأعمدة سطحان: سطح عند تلاقي الأعمدة بعلو 38م، يمثل صليبا، والسطح العلوي 70م، وتتصل قممها بالمصعد الكهربائي وبالدرج، كما استخدم المهندس الرموز ذات الدلالات المسيحية في تصميمها:

فالثلث يمثل الثالوث المقدس، وتصعيد السقف إلى عمود الجرس يمثل البحث عن الحقيقة والإيمان بالله من خلال المقدسات السبعة.[1]

تتسع الكاتدرائية لأربعة آلاف مقعد، والفناء لتسعين ألف شخص، كما اشتمل البناء على ملحق يمثل رئاسة الأسقف، وهو يتألف من جناح خاص لرئاسة الأساقفة، وجناح خاص للضيوف، وجناح خاص للإدارة، وقاعة واسعة للاجتماعات، ومكتبة للمطالعة ومتحف.

وتم افتتاحها يوم السبت من شهر أغسطس 1985م بحضرة البابا يوحنا بولس الثاني.[2]

ب- الباسيلسق سيدتنا للسلام:

تعتبر الباسليق سيدتنا للسلام بكوت ديفوار أكبر كنيسة في العالم، وقد صممت هذه الكنيسة على غرار كنيسة بيير في روما، إلا أنها أكبر وأوسع من كنيسة بيير بنحو 106 هكتار[3]، وكان المشرف على المخطط هو المهندس المعماري بيير فاخوري، إيفواري الجنسية ولبناني الأصل، واستمرت عملية بنائها ثلاث سنوات، ابتداء من سبتمبر 1986 إلى 10 سبتمبر 1989م، اشترك فيها واحد وعشرون شركة وطنية وإيطالية وفرنسية وإسرائيلية، وبلغ عدد العاملين في المشروع 2000 عامل ومهندس يصلون الليل بالنهار ليصبح المشروع جاهزا مع زيارة البابا لافتتاحها.

[1]- مجلة رسالة الجهاد، إصدار جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، العدد: 02/25/ م1991، ص: 5.
[2]- المرجع نفسه، ص: 7.
[3]- تقدر مساحة الباسيليق روما ب 4 هكتار، بينما تقدر مساحة الأخرى بياموسوكرو ب 250 هكتار، وقد خصت لها هذا القدر من الساحة لتلحق بها جامعة كاثوليكية ومستشفى.

وتتألف الكنيسة من 250 عمودا، طول كل واحد منها 30م، و25 ألف قدم من الزجاج الملون، إَضافة إلى قبة تزن 28 طنا من المعدن، ترتفع إلى 225 قدما، بزيادة مائة قدم عن كنيسة روما التي تعتبر معلما دينيا في العالم المسيحي، وتضم كذلك 36 نافذة زجاجية تصور مناظر من الإنجيل، منها: 12 نافذة حول القبة تمثل الحواريين، وهي تسع لنحو عشرين ألف شخص في الداخل، وخمسة وثلاثين ألف في الفناء، وثلاث مائة ألف شخص تحت الرواق، وقد وصلت تكلفة البناء المعلن عنها إلى أربعين مليار فرنك سيفا، ما يعادل اليوم ثلاث مائة مليون يورو، وأطلق عليها اسم الباسيليق سيدتنا السلام.[1]

2- البروتستانتية: (Protestantisme)

وهي فرقة مسيحية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية، إذ يعترضون على كل أمر خالف الكتاب وخلاص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية أيضا، إذ يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل فرد الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه.

وقد بدأت البروتستانتية على أساس أنها حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثمّ تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقدية مستقلة ومناهضة لها، ومن أبرز مؤسسيها مارتن لوثر (Martin Luther)[2].

ونتيجة للحرية الفردية في فهم تفسير الكتاب المقدس لكل فرد من المؤمنين بالمذهب البروتستانتي، انقسمت الحركة إلى كنائس عديدة وطوائف مختلفة.[3]

وقد وصلت هذه الكنيسة إلى كوت ديفوار في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ويمثل أتباعها بمختلف طوائفها 6،6% نسمة من السكان، تتمركز أغلبيتهم في جنوب الدولة، ولها فرق كثيرة ومتنوعة، حيث لا زال أتباعها يحدثون الكنائس بصورة ملفتة للأنظار.[1]

---

[1]- Jeune Afrique n / 54 Décembre 1988. P : 45.

[2]- Fraternité Matin/ n / 14-15 ; Août. p: 6.

[3]- مانع بن حما الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص: 61.

وغير ذلك من الفرق الكنيسة الأخرى التي تعطي مساحة للدولة، وهي مع كثرتها تجد كل واحد منها تختلف بها عن الأخرى.

ثالثا: أوجه الأنشطة المسيحية

بعد الحديث عن المسيحية من حيث وصولها إلى كوت ديفوار، وأهم فرقها المنتشرة في المجتمع الإيفواري، أستعرض الآن أوجه الأنشطة التي يقوم بها المسيحيون في كوت ديفوار، لكثرة الفرق المسيحية وتنوعها، وسأركز في هذه الدراسة على أنشطة الكنيسة الكاثوليكية، نظرا لوزنها وأهميتها وقوة نفوذها بين سائر الفرق المسيحية، ولا يمنع ذلك من التطرق إلى الأنشطة بعض الطوائف الأخرى إذا اقتضت الحاجة أو الضرورة ذلك كما سأحاول أن اقتصر في عرض هذه الأنشطة في مجال التعليم والخدمات الاجتماعية والمنظمات المسيحية.

أ- التعليم:

لقد اعتنى الكاثوليك والبروتستانت بالتعليم والثقافة اهتماما بالغا، وذلك منذ حضورهم إلى كوت ديفوار، حتى يومنا هذا، ولا شك أن خبرتهم في المجال وحسن تخطيطهم مكنهم من الوصول إلى الطبقات العليا والمراكز الهامة للدولة، وقد سلكوا اتجاهين في التعليم:

1- التعليم الديني في المدارس الحكومية:

تجيز كوت ديفوار التعليم الديني في مدارسها إذا ما تقدم ما لا يقل عن عشرة من التلاميذ بإبداء رغبتهم فيه، إلا أنها تشترط عليهم تنفيذها خارج الدوام الرسمي.[2]

ولما كان المرسوم رقم 66-128 بتاريخ 1966/03/13م الذي ينظم هذا الشأن قد أعطى الأهلية للقيام بهذه المهمة للكاثوليك والبروتستانت دون سواهما من الأديان، انتهزا الفرصة، فقاما بتنظيم هذا النوع من التعليم في المدارس الحكومية، ولم يقتصر الأمر على هذا النمط، بل في عام 1984م تم إبرام الاتفاقية بين الدولة وإدارة التعليم الكاثوليكية لضمان دعم

[1]- La Côte d'ivoire su C/d 1996 Fenêtre des religions monothéisme.
[2]- Décret N/ 66-128 du 31 mars 1966 relatif à l'organisation de l'enseignement religieux dans l'établissement scolaires.

مالي لهيئة التعليم 66% إلى 80% بمعدل رواتب قطاع التعليم الحكومي العام، وقد تضمنت الاتفاقية كذلك الحرية لتعليم الكاثوليك وتشاطر الدولة واجبات التفتيش ومراقبة المناهج.[1]

2- التعليم في المدارس الخاصة:

بادر المسيحيون في أنشطتهم الدينية والثقافية إلى بناء المدارس الخاصة لجميع المستويات والمراحل والتخصصات، وكذلك بناء المدارس المهنية، والمراكز التدريبية المختلفة في المدن والقرى، وفيما يلي توضيح بعض ذلك.

- طور ما قبل السن القانوني للتعليم الرسمي:

اهتم المسيحيون الكاثوليك بالمرحلة التي تعتني بالأولاد الصغار قبل بلوغهم السن القانوني للتمدرس الرسمي، فأسسوا الحضانات والمدارس الأمومة، وقد وصل عدد مؤسساتهم في هذه المرحلة إلى ما يزيد على ثلاثين مؤسسة حسب الإحصائيات التي سجلها الدليل السنوي للكنيسة الكاثوليك في غرب ووسط إفريقيا عام 1985.[2]

- مرحلتا الابتدائي والإعدادي:

تتميز المدارس الكاثوليكية خاصة عن غيرها من المدارس الدينية وغير الدينية بدقة التنظيم، والالتزام بالمنهج المقرر من قبل الدولة، والاعتناء بالتعليم اللاهوتي المسيحي وآدابه وأخلاقه، وهذا ما جعلها تحظى بثقة أتباعها، والدعم المادي والمعنوي من الدولة، كما أنها مفتوحة على مصراعيها لجميع أبناء الدولة بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي أو الجنسي، شريطة أن يكون التلميذ أو المسئول عنه في مستوى يمكنه من تغطية المصاريف الدراسية، وأن يلتزم التلميذ باحترام القوانين الداخلية للمؤسسة بما فيها إلزامية التعليم اللاهوتي الكاثوليكي لجميع التلاميذ فيها.وقد وصل عدد مدارسهم في هاتين المرحلتين إلى ما أزيد من

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ج:2، ص: 260.

[2]- Annuaire de l'église catholique l'œuvre pontifical de la propagation de la foi et du comité permanente des religieux de France tome 2. 1985 . Edité par L'O.N.P.C.Paris.

مائة وأربعة وثلاثين مدرسة، موزعة على مدن الدولة وقراها، كما أن منها ما هو داخلي خاص بالفتيات أو الشبان.[1]

- **المرحلة الثانوية:**

اهتموا كذلك بالمرحلة الثانوية وبأقسامها الثلاثة العلمي والأدبي والمهني، دائما مع العناية بالعقيدة وتعليم المسيحيين، ويصل عدد مدارسها الثانوية إلى أزيد من خمسين ثانوية.

- **المدارس المهنية ومراكز التدريب المختلفة:**

لم تغفل الكنيسة الذين لم تتسن لهم مواصلة التعليم العالي فأنشأت لهم مدارس مهنية ومراكز تكوينية مختلفة في المجالات الآتية:

- مراكز تعليم الخياطة.
- مراكز تعليم السكرتارية.
- مراكز التوعية الصحية.
- مراكز تكوين الرهبان الجدد.
- مراكز تكوين المنصرين.
- مراكز محو الأمية لكبار السن رجالا ونساء.

وغيرها من المراكز التكوينية المعروفة وغير المعروفة التي يصل عددها إلى ما أزيد من ثمانين مركزا موزعة في أنحاء الدولة.[2]

[1]- Annuaire de l'église catholique l'œuvre pontifical de la propagation de la foi et du comité permanente des religieux de France tome 2. 1985 . Edité par L'O.N.P.C.Paris.

[2]- سانو، قطب مصطفى: النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا، قراءة في البديل الحضاري، ص: 98.

– المدارس اللاهوتية لتكوين الرهبان والراهبات والمنصرين:

ومن أهم هذه المدارس:

– المدرسة اللاهوتية الكبرى في مدينة أنياما (Grande séminaire d'Anyama)

وهي تسمى بالمدرسة الاكليركية الكبرى، يتأهل الطالب للدراسة فيها بعد المرحلة الثانوية، وتستغرق الدراسة فيها سبع سنوات بعد البكالوريا، فيقضي السنوات الثلاثة الأولى في دراسة الفلسفة، ويتعمق في دراسة الفلسفة الحديثة والماركسية، وفي السنوات الأربعة الأخيرة يدرس علوم اللاهوت والأخلاق والطقوس، وفيها يرتقي في السلم الكهنوتي كالآتي:

– إكليريكي (Cleye) ثم شماس (Diacre) ثم قسيس (Prêtre) ثم أسقف (Vicaire) ثم كاهن (Curé) ثم بعد خمس سنوات يرتقي إلى رتبة مطران المساعد (Evêque Auxiliaire) أو مطران العادي (Evêque Ordinaire) وقد يتولى رئاسة دير حسب الحاجة والمقام فيسمى ب"رئيس الأساقفة" (Archevêque) ومنه يرتقي إلى الكاردينال (Cardinale) خيرا رتبة البابا.

– الاكليركية الصغرى بمدينة غانيوا (Petit séminaire de Gagnoa) لصغار السن، ويتأهل الطالب للدراسة فيها بعد المرحلة الإعدادية .

– المدرسة اللاهوتية المستوى الأول: – أ– في الحي الشعبي يوبوغون أبيدجان.

– المدرسة اللاهوتية المستوى الثاني – ب– في مدينة بواكي

– الجامعة الكاثوليكية لإفريقيا في أبيدجان "U .C.A.O" (Université catholique de l'Afrique de l'ouest)

وهي تحتوي خمس كليات مع مختلف التخصصات الدقيقة فمن كلياتها:

– كلية علوم اللاهوت، كلية علوم الاقتصاد، كلية علوم القانون، كلية الآداب، كلية الهندية.[1]

[1]- Annuaire de l'église catholique l'œuvre pontifical de la propagation de la foi et du comité permanente des religieux de France tome 2. 1985. Edité par L'O.N.P.C.Paris.

ونستنتج من هذا التنظيم العلمي المنهجي الشامل المتكامل أن الكاثوليكيين استطاعوا السيطرة على مجتمعهم علميا وثقافيا ودينيا وخلقيا، مما قلل وجود الأمية والانحراف والبطالة في أوساطهم، ونتج عن ذلك بطبيعة الحال السيطرة على المرافق والمنافذ الهامة في الدولة ولذلك نجد نفوذهم أكثر من حجمهم.

وبالتالي إذا كانت جميع هذه المؤسسات التكوينية تابعة للكاثوليكية فقط، فماذا تكون النتيجة إذا أضفنا إليها أنشطة الفرق المسيحية الأخرى في كوت ديفوار ؟ ولا شك أن النتيجة تفرض علينا أن نتساءل إلى أين وصل المسلمون في نشاطهم؟ وما الذي حققوه في مقابل أنشطة المسيحية؟

ب- الخدمات الاجتماعية والثقافية:

اشتغل الكاثوليك في كوت ديفوار بالمجال الاجتماعي اشتغالهم بالتعليم، فمنذ وصولهم إلى الدولة اتخذوا الخدمات والمساعدات الاجتماعية وسيلة للاقتراب من المواطنين، تنوعت هذه الخدمات، واختلفا حسب الحاجة والمقام، ومن أبرز المراكز هذه الخدمات الاجتماعية ما يأتي:

1- العلاج:

تضافرت جهود الكاثوليك وتكاثرت في مجال التطبيب والعلاج، وقد وصل عدد مستشفياتها إلى ما أزيد من خمسة عشرة مستشفى، ومستوصفاتها إلى ستين مستوصفا، وهي منتشرة في جميع أنحاء الدولة، ويعتبر بعضها في بعض المناطق أغنى مستشفى المنظمة وأجملها، كما أن أغلبها متخصصة في علاج النساء، من حيث متابعة الحمل في جميع مراحله، الولادة وصحة الطفل وأمه وغيره.

وتتميز هذه المستشفيات والمستوصفات عن غيرها من حيث تفاني أطبائها في العناية بالمريض، وتقديم الأدوية له بعض فحص طبي متمكن إما بالمجان أو بسعر رمزي، ولم تقتصر جهود الكاثوليك على ما ذكرنا آنفا، بل يقومون بين الفينة والأخرى بزيارة المرضى ومواساتهم في المستشفيات الحكومية، فيدعون الله لهم بالصحة والعافية ويقدمون لهم الهدايا،

كما يتكلفون بتحمل كلفة علاج بعض الضعفاء والفقراء منهم. هذا بالإضافة إلى ما يقومون به من تنظيم أيام العلاج المجاني في المدن الأخرى.[1]

2- العناية بالسجناء:

يقوم الكاثوليك بزيارة المسجونين، قصد مواساتهم والتخفيف عليهم، فيشاطرونهم آلامهم وأحزانهم، ويقدمون لهم الهدايا، ويكونون همزة وصل بينهم وبين المحكمة، فيرفعون إليها ملف المحبوس الذي تأخر تحكيمه لعرقة ما، أو من لم تكن جريمته شنيعة لإعادة النظر في قضيته.[2]

وإلى جانب العناية بالعلاج والمسجونين، هناك بعض المراكز الأخرى تقوم بخدمات اجتماعية ضخمة منها:

1- المعهد الإفريقي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، الذي تم تأسيسه من قبل اليسوعيين في أبيدجان عام 1962م، ولديه مراكز ومكتبة ضخمة، وتقيم المحاضرات، ويعتني بالتدريب المهني للنساء.

2- مراكز رعاية الشباب.

3- النوادي الرياضية.

4- النوادي الكشافة.

5- النوادي الخاصة في الخدمات القروية.

6- مراكز خاصة في الخدمة السوية.

وتضاف إلى هذه الخدمة الاجتماعية خدمات أخرى تثقيفية، حيث توجد في كل ولاية أسقفية مكتبة ضخمة، ومعاهد لتعليم الكبار، وكذا الصغار الذين لم تسعفهم شروط الولوج إلى المدارس الحكومية بالمتابعة.

---

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في كوت ديفوار، ج/2، ص: 285.
[2]- بامبا يوسف، مشكلات التعليم في كوت ديفوار، دراسة تحليلية تقويمية، ص: 45.

ولا شك أن هذه المعاملة الطيبة والتصرفات الإنسانية الحسنة كانت عاملا أساسيا في نشر الكاثوليكية في الدولة في فترة زمنية قصيرة جدا، إذ تركت بصمات طيبة في قلوب الناس تجاه المسيحيين.

رابعا: المنظمات المسيحية

توجد في كوت ديفوار منظمات مسيحية دولية ووطنية كثيرة ومتنوعة يحتاج إلى دراسة مستقلة ومن أشهرها:

1- المؤتمر الأسقفي الإقليمي لغرب إفريقيا "C.E.R.A. O"

Conférence Episcopal régionale d'Afrique L'ouest

2- الجامعة الكاثوليكية لغرب إفريقيا "U.C.A.O"

Université Catholique de l'Afrique de L'ouest

3- السكرتارية الدائمة للاكليروسية الإفريقية " S. P. C. A "

Secrétariat Permanent du Clergé Afrique

4- هيئة المدرسين في المؤسسات الكاثوليكية

5-جمعية البرفي كوت ديفوار: وهي فرع لجمعية البر العالمية في رومان، وتقوم بإغاثة الطوارئ، وتشجع المشاريع الإنمائية الصغيرة.

6- المجلس الدائم لأساقفة كوت ديفوار.

7- اللجنة الأسقفية للمدارس اللاهوتية والأكلروس (رجال الدين)

8- جمعية قساوسة كوت ديفوار.

9- اللجنة الأسقفية لتعليم الكاثوليك.

10- اتحاد كبار رجال الدين.[1]

[1]- يوسف بغايوغو، الدليل السنوي للكنيسة الكاثوليكية في غرب ووسط إفريقيا الفرنسية، ص: 195.

الفصل الثالث:

النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي في كوت ديفوار

في إفريقيا عامة وكوت ديفوار خاصة تحتل قضية التعامل والتعايش السلمي بين الأديان السماوية والوضعية مكانة الصدارة في خطب السياسيين، وعلى منابر أهل الملل والنحل، وفي صفحات الإعلام بجميع أنواعها وأشكالها، مما يفسر مدى الحاجة إلى التعامل، بل إن التنوع الديني والثقافي والعرقي ثمّ الحزبي التي يعرفها هذه البقاع، وكذلك تداخل الثقافات والحضارات، وتحويل العالم إلى قرية صغيرة واحدة بفعل التكنولوجيات المعاصرة، حتم على كبار المسؤولين والمفكرين المهتمين بالدراسات المستقبلية في هذه المناطق بصفة خاصة، إيجاد آفاق مشجعة للتقارب والتفاهم والتحاور بين الثقافات المكونة للمجتمعات بغية تحقيق حياة مشتركة تمكن جميع الأطراف مهما كانت انتماءاتهم العرقية أو القبلية، وتوجيهاتهم الروحية أو الإيديولوجية أو السياسية أن ينعموا بالتعامل السلمي في ظل التنوع الثقافي والتعدد الإثني والاختلاف الفكري.

ولما كان الإسلام والمسحية يمثلان الديانة التي يدين بها السواد الأعظم من هذه المناطق فإن التعامل السلمي الذي عرفته الطائفتين في تساكنهما يحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى تدبير سليم، ومحافظة ورعاية فائقتين، وتنمية مستمرة حسب الزمان والمكان، ولا يستغل الدين لتأجيج نيران الصراعات الحزبية، أو النزعات القبلية، حتى لا تؤدي السياسية والتعصب الديني الأعمى والفوارق الاجتماعية إلى جعل أبناء الوطن الواحد أعداء، متحاربين متباغضين، فيصبح الدين الذي يمثل همزة الوصل بين البشر وربهم، ورمز الألفة والمودة بين الأفراد، أداة تفرقة واختلاف، أو عنصر إعاقة أمام تناسق فئات المجتمع.

ولا شك أن هذا التدبير والرعاية والتنمية المطلوبة لضمان استمرار التعامل السلمي بين الإسلام وغيره من الديانات في إفريقيا عامة وفي كوت ديفوار خاصة يتطلب الوقوف على ماضي الأديان السماوية والوضعية، لإصلاح الحاضر، ثمّ التطلع إلى بناء مستقبل مشرق يشعر فيه كل طرف بمكانته عند الآخر وتقديره له.

وفي هذا الإطار يأتي هذا الباب ليحاول إبراز العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار خلال فترتين حاسمتين في تاريخ هذه الدولة كما يأتي:

الفترة الأولى: التعامل السلمي الإسلامي المسيحي خلال فترة الاستعمار وموقف المستعمرين من الديانتين.

الفترة الثانية: التعامل السلمي الإسلامي المسيحي بعد الاستقلال وموقف الأنظمة السياسية المتعاقبة من الأديان.

المبحث الأول: موقف الاستعمار الفرنسي من الإسلام والمسيحية

بعد أن تمّ إعلان كوت ديفوار مستعمرة فرنسية في سلك دول إفريقيا الغربية الفرنسية[1] كان من الأهداف السياسية التي سعى المستعمرون إلى تحقيقها في هذه الدول، فرض الثقافة الأوروبية على السكان المسلمين وغير المسلمين على السواء، اعتقادا منهم أن تحقيق التطور والتنمية يلزمهم رفع مستوى معيشة رعاياهم في تلك المستعمرات عن طريق نقل مزايا الثقافة الفرنسية إليهم، وهذا يعني –بطبيعة الحال– تعديل الثقافة الإفريقية، إن لم يكن تدميرها تماما.

ورغم إمكانية القول بأن اهتمام الإدارات الاستعمارية كان ينصرف في المقام الأول إلى تحقيق السيطرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على مستعمراتها، فإن الأمور المتعلقة بالدين لم يكن يمكن عزلها عن اهتماماتهم الأساسية في تحقيق أهدافهم.

فاقتضى ذلك أن تكون للإدارة الاستعمارية موقفها الخاص تجاه كل من الإسلام والمسيحية والأديان التقليدية، وقد ترك ذلك أثرا بارزا لا يمكن تجاوزه أو الاستغناء عنه في معرض الحديث عن التعامل بين المسلمين والمسيحيين في هذه البقاع.

أولا: موقف الاستعمار الفرنسي من المسلمين

إن ما كان يعرف بالسياسة الفرنسية تجاه المسلمين في إفريقيا السوداء (Politique musulman de la France) تميز تطبيقها في إفريقيا الغربية الفرنسية عموما، وفي كوت ديفوار خصوصا بحالات من الاضطراب والغليان والصعود والهبوط، ذلك أن الاستعمار حين وصل إلى هذه الأراضي لم يصادف قوة منظمة تعترض سبيله في تحقيق أطماعه الواسعة، وسعيه كذلك إلى فرنسة الشعوب المغلوبة على أمرها عدا قوة الإسلام، التي كانت قد

[1]- كانت إفريقيا الغربية الفرنسية، تتألف من: كوت ديفوار، وبوركينا فاسوا، ومالي، والسنغال، والنيجر، وكانت عاصمتها دكار.

حققت نجاحا كبيرا في أوساط الوثنيين، وتمكنت من نشر الوعي الديني والروح الوطنية في نفوس المسلمين، مما جعل منها حاجزا منيعا أمام الأطماع الاستعمارية، بل إنها رفعت علم الجهاد، ودعت إلى مقاومة الاحتلال الأجنبي لأراضيهم، كما هو واضح في دعوة الشيخ الحاج عمر تال، والشيخ عمر أحمدوا، والإمام ساموري توري وغيرهم، وكان كافيا للمستعمرين ليقفوا من الإسلام موقف عداوة وكراهية، وليعلنوا ضده حربا صليبية لا هوادة فيها، وقد اعترف الكاتب الفرنسي ديشام (Deschamps) بأن القائدين العسكريين أرشينارد (Archinard) ومدجين (Magin) كانا يقودان حروبا صليبية ضد كل من الإمام ساموري توري، وأحمدو، والحاج عمر تال.[1]

ويلقي هذا القول مصداقيته من خلال الرسالة التي رفعها الجنرال فيدرب (Faidherbe) رئيس المستعمرات الفرنسية بالسودان الغربي إلى وزير المستعمرات بتاريخ 1855/03/10م حيث جاء فيها: (إن الشعوب السوداء – كما يبدو عل وجه الاستثناء – غير قادرة على إدارة شؤونها بأنفسها، فهي إما منقادة بشكل فظيع إلى عبادة الأوثان والاعتقاد في الأشياء المسحورة، وإما مستغلة من طرف إسلامية مفسدة مفجعة، لذا يجب عليها من أجل مصلحتها أن تستسلم للشعوب المسيحية، والتي – على الأقل – ستهيئ لها مصيرا موفقا إن لم تقودها دوما إلى المعرفة وتطبيق الدين الصحيح).[2]

وكذلك من خلال التقرير الذي رفعه عبدون إيجين ماج (Abdon Eugen Mage) إلى الحكومة الفرنسية بعد رحلته الاستكشافية في السودان الغربي خلال سنوات 1863–1866م حيث جاء فيها: (إن أغلب مساوئ إفريقيا تأتي من الإسلام، ولذلك لا ينبغي تشجيعه في أي ظرف من الظروف، سواء في مستعمراتها الحالية، أو تلك التي سنؤسسها مستقبلا، حتى لو كان يبدو في مظاهر أكثر جاذبية، كما يظهر ذلك أحيانا في السنغال، ويمكن أن تكون مبارزته علانية وخيمة، أما تشجيعه فهو أخطر، وفي رأيي إن ذلك التشجيع جريمة التواطؤ)[3].

[1]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص: 84- 85.
[2] - Pr: Samba Diara Islam sous le colonisation et la république en côte d'ivoire. P: 3.
[3] - Eugen Mage. Voyage au soudan occidental édition Karthala. Paris. P: 303.

وهكذا يتبين موقف الاستعمار من المسلمين ولكن مجال التعامل بينهما اتسم بمرحلتين:

المرحلة الأولى: انتهاج سياسة العنف والقمع ضد المسلمين

كانت المبادرة الأولى التي توجهت إليها القوات الاستعمارية بعد سيطرتها على السودان الغربي الفرنسي هي وضع حد لحركة القوة التي واجهت المستعمرين بالجهاد دفاعا عن أراضيها ودينها، ثمّ محاولة استئصال هذه القوة بتجريدها من آلياتها الدفاعية ومصادر قوتها حتى يتمكن بكل سهولة من فرض حكم وثقافة فرنسية، غايتها تحويل القوم إلى فرنسيين.

وفي سبيل تحقيق هذه المهمة وضعت خطوات وأساليب مختلفة ومحكمة، كان من أهمها:

–السعي إلى الحيلولة بين المسلمين وبين اتخاذ الإسلام سبيلا إلى جهاد أعدائهم، وذلك بالتخلص من القيادات الدينية التي شاركت بالفعل في مناجزة المستعمرين وباتباع أسلوب العنف والشدة والعداوة والظاهرة ضد كل ما له صلة بالإسلام، وبمعاقبة كل مسلم متهم بإثارة الفتنة أو الدعوة ضد الأفكار المستعمرة، وذلك بالقتل، أو النفي، أو المحاصرة أو الاعتقال.

– السعي إلى إخماد روح الدين لدى المسلم الإفريقي وذلك عبر خطوات محكمة كما يأتي:

أ– الفصل بين المسلمين في السودان الغربي الفرنسي وبين العالم الإسلامي:

ذهب المستعمرون مذاهب شتى في خلق إسلام خاص للأفارقة السود، فادعوا أن الإسلام في السودان الفرنسي مختلف في حقيقته وجوهره عن الإسلام في العالم العربي، بل زعم بعضهم أن دين الإسلام يتعارض مع طبيعة الإنسان في القارة السمراء وفي هذا يقول بول مارتي (Paul Marty) : (إن ثوب الإسلام أيا كانت بساطته ولباقته لم يفصل للسود، فهؤلاء يفصلونه من جديد لمقاييسهم، ويزينونه حسب ذوقهم... إن الإسلام الأسود بحكم اختلاف البيئة والمحيط الاجتماعي مغاير لإسلام العرب).[1]

[1]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص: 85.

وكذلك يدعي بريفي (Brevie) (أن الإسلام قد فرض على السود، إذ لم يختاروه عن طواعية منهم، وإنما فرض عليهم بالقوة، سواء أكان ذلك بعد فتوحات البربر المسلمين في الصحراء، أو كان بيد الملوك الذين كانوا يقهرونهم لاعتناقه).[1]

وإلى جانب هذه الادعاءات والافتراءات في اختلاق ما يسمونه ب "الإسلام الأسود" جاء تشجيع حاكم المستعمرات الفرنسية بغرب إفريقيا على قطع التواصل، وكل علاقة بين المسلمين وإخوانهم في شمال إفريقيا أو في الشرق الأوسط، وذلك من خلال تعليمات وجهها إلى الحكام المحلين سنة 1911م جاء فيها: (إن كل نشرة تمثل شكلا معاديا أو تكون مشجعة لنشاط الشيوخ يجب تحطيمها، إذ لا ينبني دورنا بطبيعة الحال على تشجيع نمو العقيدة الإسلامية، ولا على مساعدة الجامعة الإسلامية، بل العكس، ولا ينبغي بالخصوص أن يطلع الأفارقة المسلمون على ما يجري في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، حتى لا تصل إليهم عدوى الأفكار الهدامة من النهضة الإسلامية، ونريد كذلك أن نبعد التشجيع على استخدام اللغة العربية).[2]

وبناء على هذه التعليمات صدر مرسوم خاص يحدد الكتب والمنشورات التي يسمح بإدخالها إلى هذه الأراضي، وتمّ إنشاء محاكم تفتيش للقيام بهذه المهمة، فكانوا يرسلون أي كتاب أو نشرة باللغة العربية إلى مركز المحكمة بمدينة دكار–عاصمة المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا أنداك– كي يتم النظر فيه، فإذا عثر على أن الكتاب يتضمن موضوعا يوقظ الوعي الديني أو الثوري لدى المسلم حجزوه وقاموا باستجواب المرسل إليه، وإن كانت الكتب عبارة عن القرآن الكريم أو دلائل الخيرات، أو كتب رموز الشعوذة أو التاريخ أو التصوف أو الأدب أو علم الكلام رد إلى صاحبه.

وأما الصحف اليومية والمجالات، فإنها حظيت بحالة استثنائية في شدة المراقبة والحظر، حيث لما تناسبت تلك الفترة وجود المستعمرين في دول العالم الإسلامي، كانت معظم الجرائد والمجالات القومية تدعو إلى الحرية والاستقلال، ومقاومة الاحتلال الأجنبي، فخوفا من اطلاع المسلمين على هذه النهضة الثورية أصدرت محاكم التفتيش قائمة الجرائد المحظورة

[2]- المرجع نفسه، ص: 87.
[2]- المرجع نفسه، ص: 90.

تداولها داخل المستعمرات، وكذلك الجرائد المشبوهة فيها.[1] وقد حدث في عام 1922م أنه تمّ العثور على صحيفة "الأحوال" مع شخص يدعي بابادي كمارا في قرية بكوت ديفوار، فأخذت منه وأرسلت برقية إلى الحاكم في "بنجيرفيل" –عاصمة كوت ديفوار آنذاك– لينظروا فيها إن كانت مسموحة التداول أو لا ؟ كل هذا من أجل فصم الإسلام في إفريقيا الغربية من روابطه الدولية وخصائصه العالمية.[2]

ب– مراقبة العلماء المسلمين في حركاتهم وسكناتهم:

وضمانا لنجاح المستعمرين في مهمتهم الثقافية والحضارية عمدوا إلى مراقبة العلماء المسلمين في حركاتهم وسكناتهم وفي حلهم وترحالهم، وفي هذا جاء تنبيه الضابط كلوذيل **(Clozel)** حاكم أعالي النيجر على أهمية مراقبة العلماء ضمانا لنجاح مهمتهم الثقافية والحضارية من خلال برقية أرسلها إلى بقية الحكام في المستعمرات الفرنسية بغرب إفريقيا بتاريخ 1911/08/12م.

وبناء على هذا التنبيه بادر الحاكم العام على المستعمرات إلى إنشاء شرطة دائمة داخل المصلحة الخاصة بشؤون المسلمين في إفريقيا الغربية، وكانت مهمة هذه الشركة تكمن:

أولا: في التعرف على هؤلاء العلماء، وفي ذلك بإحصائهم ووضع بطاقة خاصة لكل واحد منهم فيها يتم تسجيل اسم العالم ولقبه وأسرته ومولده وعمره ومسكنه، والطريقة الصوفية التي يتبعها، ودرجته العلمية، ومدى وعيه وشعبيته وتأثيره في المجتمع، ثمّ تحديد وجهة نظره من الاستعمار الفرنسي، وإذا أمكن أن تضاف إلى البطاقة الخاصة صورته الشخصية فذلك حسن.

ثانيا: ترصد حركاته وسكناته وخطبه ومقالاته، وإذا ما عثر من خلال هذا الترصد أن لدعوته تأثيرا سلبيا بالنسبة للمستعمرين على الشعب والسكان فإنه يتعرض لبعض المضايقات،

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في كوت ديفوا، ص: 416-417.
[2]- المرجع نفسه، ص: 418.

قد يصل إلى منعه من تصريح التنقل، أو اعتقاله أو نفيه إلى مكان ناء، وقد كان من العلماء الذين تعرضوا لمثل هذه المضايقات على سبيل المثال:

1- الحاج فودي مامادو كابا: وكان عالما ورعا وإماما في مدينة أغبوفيل (Agboville) بكوت ديفوار، وقد أسلم على يديه كثير من الوثنيين، وللقضاء على نشاطه الدعوى، وتمّ نفيه إلى مدينة كوناكري عاصمة جمهورية غينيا الحالية.[1]

2- الشيخ حماه الله: وكان شيخاً صوفيا تيجانيا، وإليه تنسب الطريقة التيجانية الحماهية، وقد لقيت دعوته نجاحا بارزا في كل من: مالي، والسنغال، ونيجيريا، والنيجر، وموريتانيا، لكنه نظرا إلى مواقفه لم تكن تتفق مع الاتجاهات الاستعمارية تمّ نفيه سنة 1930م إلى مدينة "أدزربي" (Adzopé) بكوت ديفوار، ثم منها إلى مونت ليسون بفرنسا، حيث توفي في 1943/06/01م.[2]

3- الشيخ يا كوبا[3] سيلا: وكان تلميذا بارعا ومريدا للشيخ حماه الله، فتم نفيه من مدينة "غانيو" **(Gagnoa)** إلى مدينة ساساندرا بكوت ديفوار.

4- الشيخ أحمد بمبا امبكي: هو العالم الورع، مؤسس الطريقة المريدية بالسنغال، وقد تعرض لأصناف من المضايقات من حظر وإقامة جبرية، واعتقال على يد المستعمرين إلى أن توفي سنة1927م.[4]

ولا تسأل عما كان يتعرض له هؤلاء العلماء على يد جنود المستعمرين من اضطهاد وتعذيب وتنكيل، وفي هذا يروي لنا بعض الشيوخ حيث كان يقبض على العلماء والأعيان ويقتادون إلى مدينة "غران بسام" (Grande Bassam) ويقطعون رؤوسهم في البراميل المملوءة بالماء لفترة من الزمن، طالبين منهم حث باقي المسلمين على طاعة أوامرهم، وعدم العصيان في دفع الضرائب عن النفوس.

---

[1] - Paul Marty. Etude sur l'islam en côte d'ivoire. p: 49.

[2]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ص: 412.

[3]- "ياكوبا" محرف من لفظ يعقوب.

[4]- د/ عامر صمب، الأدب السنغالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط/1، 1978م، ج، 2، ص: 218.

ج- تهميش المؤسسات الدينية الإسلامية:

امتدت سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه المسلمين في إفريقيا إلى المؤسسات الإسلامية، فسعى إلى تهميش تلك المؤسسات وتعطيل فاعليتها في حياة الدولة والمجتمع، حتى لا يعيش المسلمون إسلامهم في شموليته وحركاته، ولا يحسون بوجود الإسلام إلا في دور العباد، وعلى هذا حددوا نطاق إنشاء المساجد، فكانوا لا يسمحون ببناء المساجد إلا لأفراد يحظون بثقتهم، وهم القلة بطبيعة الحال، وذلك اعتبارا منهم أن بناء أي مسجد جديد يعني تقدم الإسلام وازدهار سلطته، لذا لم يخف "فيدرب" –الحاكم العام للمستعمرات الفرنسية– تخوفه من هذا التقدم، حيث ورد في خطاب له سنة 1855م (إن الإسلام لدى السود أمر معرقل أمامنا... ولكنه في النهاية إن وجد المسجد فلا رجوع بعدئذ).[1] وأما المدارس القرآنية فإن محاولة تضييق الخناق عليها ظلت معركة حامية الوطيس بين المستعمرين والمسلمين، حيث إن المستعمرين اعتقدوا أنه بدون تلاشي تلك المدارس الحامية للغة القرآنية، والمعدية لكيان المجتمع بالإسلام، لا سبيل له إلى تمكين ثقافته وحضارته بما في ذلك دين المسيحية، فسعوا إلى تهميشها لتقليص جهودها، والحيلولة دون أدائها وظيفتها البنائية الأساسية، وعلى هذا فرض الحاكم "فيدرب" سنة 1957م على كل من يرغب في فتح مدرسة عربية أن يتقدم لامتحان خاص يهدف إلى معرفة مستواه في هذه اللغة، وذلك بدعوى تحسين التعليم الإسلامي واختيار المعلمين الأكفاء له، غير أن الهدف الحقيقي في الواقع هي الحيلولة دون انتشار لغة القرآن الكريم، بل القضاء عليها عن طريق فرض شروط مفرطة في التقعيد والصعوبة، ثم تلت تلك القرارات المجحفة الأخرى، علقت فتح المدارس الإسلامية بالحصول المسبق على إذن من السلطات الاستعمارية، ولم يجد "فروليش" صاحب كتاب "مسلمو إفريقيا السوداء" مندوحة من الاعتراف بأن الرخصة التي كان يخضع لها أولئك الذين كانوا يترشحون لفتح مدرسة عربية، كانت مرفوضة حينما تظهر سوابق طالب الرخصة ممثلة خطورة النظام.[2]

[1]- يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ص: 215.
[2]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص: 89.

وهذا الكلام لا يعني سوى أن الرخصة التي كانت مرفوضة لكل مسلم، لأن المستعمرين كانوا يشكون فيهم جميعا، إذ كانت موافقتهم في نظر المستعمر ممثل خطرا على نظامه، وفي هذا الصدد يحكي لنا الشيخ تيجاني باه ما حصل له قائلا: (إنه منذ أن رفضت طلب مدير المخابرات العامة في تولي ترجمة المواضيع الحساسة من الجرائد والمجلات العربية إلى الفرنسية، لم تتخل عن تتبعي في حركاتي وسكناتي، وعن خلق العراقيل أمام كل مشروع أردت القيام بها، فأولا: منعوني من تأشير الخروج إلى الجزائر لطلب العلم، وثانيا: منعوني من رخصة تأسيس مدرسة عربية إسلامية، بدعوى عدم إخلاص نيتي وموافقتي من الحكومة الاستعمارية).[1]

وللعلة نفسها عزل المستعمرون التعليم الإسلامي عن حركة المجتمع الفاعلة، وحصروه في الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية، وأقاموا بجانبها مؤسسات تعليمية حديثة، ربطوا بها تقدم المجتمع ومصالح الناس، وفي كوت ديفوار خاصة فتحوا المجال أمام البعثات التبشيرية لتتولى مهام الدولة في مجال التعليم والرعاية الاجتماعية، مما ازداد في نفور المسلمين من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس. ولم يكتف المستعمرون بتجاوز المؤسسات الدينية وإهمالها فحسب، بل حاربوا خريجيها، وخلقوا لهم بطانة، حيث وضعوهم في حالات تبرز هوان أمرهم بالقياس مع أوضاع خريجي مدارس الاستعمار، الذين يجدون الأبواب مفتوحة أمامهم بعد تخرجهم للانخراط في السلك الوظيفي، بينما كان خريجو المدارس الإسلامية يعتبرون أميا مهما كانت درجاتهم العلمية.

ولما كان التقدم في الحياة والحصول على مركز مرموق في الدولة والمجتمع رهين بما يحرزه خريجو المدارس الحديثة من تفوق في الهندسة أو الطب أو الحقوق أو الاقتصاد، أو اللغات أو ما إلى ذلك من تخصصات تحتاجها دواوين الحكومة، وأن المدارس الإسلامية لا تكاد تتعدى تعليم الدين والثقافة الإسلامية إلى علوم العصر، بدأ المسلمون يتكيفون مع الواقع، وينتظمون في محاولة الحفاظ على دينهم، مع الاستفادة من خبرات المستعمرين في مجال التعليم والتربية.

[1]- El hadj Ahmed tidjan ba L'homme et l'érudit. p: 20- 21.

ومهما يكن الأمر، فإن المسلمين صمدوا أمام تحدي المستعمر، ولم يفتروا في بذل الجهود تجاه الدين الإسلامي ومؤسساته، بل إن المستعمر رغم خبراته وحداثة مناهجه وربط نظامه التعليمي بمستقبل مشرق وعيش رغد كريم، كان يستغرب ويتساءل حين يرى التزام تلاميذ المدارس القرآنية يذهبون ويعودون، ويتساءلون: ما مصير هؤلاء الشباب الذين يقفون عتبة المستقبل؟ وماذا يكون وضعهم الاجتماعي بعد بضع سنوات؟[1].

د- شق صفوف المسلمين لتمكين السيادة الاستعمارية:

قد أدركت السلطات الاستعمارية أن نشوء حركة إسلامية جامعة يشكل خطرا وتهديدا لسلطانها، فسعت إلى منع ذلك بشكل الوسائل، مصممة على تفريق المنظمات الإسلامية الكبيرة منها والصغيرة، وعلى خلق عداوة وكراهية فيما بينها باسم التنافس والحرية، وتحديث فجوة عميقة بين الشيوخ المتشبثين بالتقاليد مع الإسلام، والشبان الحداثيين الذين رجعوا إلى البلد بعد إكمال دراساتهم في الدول العربية، حيث وقفوا إلى جانب الشيوخ ليضخموا أمامهم مخاطر النظم الجديدة التي يتمسك من نظم تعليمي جديد (أي المدارس الإسلامية الحديثة) وفهم عميق للدين وقواعده، لكن الشيوخ لقلة وعيهم صدقوا المستعمرين، ودخلوا في صراعات مع بني عقيدتهم مما سبب حوادث دامية ومؤسفة من هنا وهناك.

وهكذا أيضا رفض المستعمرون الاعتراف بخليفة واحدة لجميع أعضاء التيجانية في غرب إفريقيا، إلى غير ذلك من التصرفات الاستعمارية التي أدت إلى تفكك إمبراطورية التوكولور، وإلى تكاثر الطرق الصوفية وخلق جدال عقيم ونزاع عنيف بين الطرق الصوفية.

ولا شك أن المستعمرين استفادوا من هذه التفرقة في تمكين سيادتهم، حيث جاء في تقرير أحد الإداريين المستعمرين: (هذه التفرقة كانت تمثل الجانب الأساسي لسيادتنا، فبواسطتها كانت سياستنا سهلة وممكنة).[2]

المرحلة الثانية: سياسية الرفق والتظاهر بالتعاون مع المسلمين

[2]- عبد الرحمن كوني، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 71.

[2]- Daniel. L'islam en haute- volta à l'époque colonial. p: 40-41.

في هذه المرحلة فهم المستعمرون أن سياسية العنف والقمع الشديد والعداوة المحكمة لن تفيده في تحقيق أطماعه، ورغم انتصاره العسكري ونفيه وتنكيله بالزعماء المسلمين، لم يتمكن من احتلال قلوب الشعب، فاستيقن أن نجاحه في توطيد سلطانه مرهون بالاستعانة بالفئات ذات النفوذ في المجتمع، بل إن استغلال ثروات المستعمرات وتسخير أهلها، وإيجاد سوق محلية تستوعب السلع الفرنسية للمستهلكين في المستعمرات، للتموضع خيارا أمام المستعمر في تغيير سياسته تجاه المسلمين الذين كانوا يمثلون قطب الرحى في تلك المستعمرات، وخاصة التجار المتنقلون جولا (Dioula) الذين كانوا يتمتعون بخبرات عميقة في ترويج البضائع وتسهيل توزيعها حيثما حلوا، فقد جاء في رسالة وزير المستعمرات الفرنسية إلى حكام الدوائر سنة 1895م (إن الأمر يتعلق باكتساب مودة وصداقة هذه الطائفة المهمة من السكان الأصلين من أجل درجتهم الثقافية والفكرية، وروح البسالة والشجاعة عندهم في السيطرة والتغلب، وقوة تماسكهم وتضامنهم العاطفية التي ترابط فيما بينهم رغم اختلافاتهم وتعدد طوائفهم وكثرة الانشقاقات في الأسرة الكبيرة للأمم الإسلامية)[1].

هذا بالإضافة إلى أن الإداريين العسكريين الذين سبق لهم الخدمة في شمال إفريقيا كانوا يجدون سهولة في التعامل مع المسلمين بينما كانوا يلاقون نفورا طبيعيا من الأرواحيين، وفي هذا يقول فروليش: (بحثنا عن زعماء لديهم لمساعدة أعمالنا الإدارية فلم نجد – بسبب الاستحالة – سوى المسلمين، فاضطررنا إلى الاعتراف بهم في المجتمعات التقليدية غير الإسلامية).[2]

نعم اضطرت الإدارة الاستعمارية إلى الاعتراف بالمسلمين من أجل تحقيق مصالحها مما لا يعني أنها غيرت موقفها العدائي من الإسلام، بل إنما غير تكتيكها وطريقة تعاملها مع أهدافها.

وابتداء من سنة 1914م تطورت علاقة الإدارة الاستعمارية مع المسلمين والعلماء وخاصة بين 1937–1940م، وكانت سياسة التقرب إلى المسلمين والتظاهر بتشجيعهم

[1]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص:91.
[2]- المرجع نفسه، ص:93.

والتعاون معهم من أجل اكتساب ثقتهم وأمانتهم وجعلهم حلفاء للمستعمرين بارزة في مجالات كثيرة من أهمها:

أ- في أعياد المسلمين:

اتخذت السلطات الاستعمارية أعياد المسلمين فرصة مناسبة لإبراز تضامنهم واحترامهم للمسلمين ودعمهم وتشجيعهم للإسلام، فكان المسؤول الإداري الاستعماري في كل مدينة يحضر صلاة العيدين، ويقدم تهاني الحكومة إلى جماعة المسلمين، وكذلك الهدايا إلى الأئمة وزعماء الإسلام، كما كان البعض منهم ينظم حفلة تكريمية لكبار العلماء والزعماء الدينين، ليتم خلالها إبراز احترام الإدارة الاستعمارية وتقديرها للإسلام والمسلمين، ثمّ تشجيع المسلمين على المواظبة في احترام سلطاتهم، والتعامل معها قصد استتباب الأمن والسلام في المنطقة، ومن الأمثلة الشاهدة على مثل هذه المناسبات، تلك الرسالة التي وجهها الحاكم العام ب "دكار" إلى حكام الدوائر التابعة له، والتي كان مضمونها موجهة إلى جميع المسلمين المقيمين في إفريقيا الغربية الفرنسية، حيث قدم فيها الحاكم آخر تهانيه إلى المسلمين، وعبر لهم عن احترامه العميق وتقديره للأمة الإسلامية، وطمأنهم بدعمه وتشجيعه وحسن رعاية لشؤونهم، ثم طلب من حكام الدوائر والضابط الجمهوريين والإداريين في المدن والقرى أن ينظموا حفلة تكريمية للزعماء المسلمين ليبلغوهم خلالها مضمون رسالته، وفي أثناء هذه المناسبة بجمهورية توغو عبر لاميدو جيرالدو (Lamidou Deraldo) – الأمين العام للجنة المسلمين آنذاك بمدينة لومي- عن انتظار المسلمين لمثل هذا اليوم قائلا: (.. إننا نحن المسلمين طالما انتظرنا ورؤوسنا على أيدينا لنرى ديننا في يوم من الأيام مختلفا عما كان عليه، على الأقل أن يحظى بالاعتراف من قبل الإدارة الاستعمارية ومن قبل فرنسا).[1]

ب- في تنظيم السفر إلى الحج:

إلى جانب اعتماد صداقتها مع المسلمين في مناسبة الأعياد اتخذت الإدارة الاستعمارية تنظيم السفر إلى الديار المقدسة بوسائل عصرية ومريحة عما كان عليه الأمر سابقا، خطوة

[1]- Kwamé Seeti sidza-Discoure de monsieur LAMIDOU GERALDO Secrétaire de la communauté musulmane de Lomé. 22/02/1937, L'islam et relation islamo – chrétienne au TOGO. P: 118.

ثانية لاكتساب ثقة المسلمين ومودتهم، ولتبين لهم أن الاستعمار لا يعادي الإسلام، وإنما يساعد في تنظيمه، ويسعى إلى كل ما يحق راحة مستعمريه في ظل الأمن والسلام والاستقرار، إلا أن الهدف الأساسي الذي كان يضمره المستعمر خلال تصرفاته، هو الفوز باكتساب قلوب المسلمين، والتمكن من جعل العلماء البارزين حلفاءه، ولكي يقوموا بدورهم في توعية الشعب إلى طاعته، والاعتراف به، والخضوع له، لذا كان الترشيح للحج يخضع لشروط معينة صعبة للغاية، حيث لم يكن يكتفي فيه النظر إلى الثروات الهائلة للمترشح، ولكن إلى سوابق تصرفاته ومواقفه من الأفكار الاستعمارية، وبهذا كان بعض العلماء مقصورون قبل الترشح، أمثال الشيخ أحمد بمبا وغيره نظرا إلى مواقفهم من الاستعمار[1].

ج- توظيف العلماء المسلمين لتوعية الشعب إلى احترام المستعمرين:

إن ما كان يتمتع به المسلمون عامة، وعلماؤهم خاصة في إفريقيا الغربية من درجة ثقافية عالية، ونظم اجتماعية متقدمة، وهيبة ونفوذ لدى الشعوب، حتى في أوساط غير المسلمين منهم، أوجب على المستعمرين التقرب إليهم، والاستعانة بهم في إدارة بعض المناطق والأقاليم الإسلامية وغير الإسلامية، واستخدامهم في بعض الوظائف: كوكلاء وأدلاء وكتبة وجنود وترجمان وغير ذلك من الوظائف، وبهذه السياسة عرفت علاقة علماء المسلمين مع المستعمرين تقدما وتطورا بارزا، حيث نجح المستعمر في اكتساب قدر من تأييد المسلمين، كما لقي المسلمون أكبر قدر من التشجيع، وحصلوا في أحايين كثيرة على امتيازات رسمية، مثل: الأوسمة الشرفية، والجوائز الوطنية، وفازوا كذلك بمساهمة بعض حكام المستعمرات في إنشاء بعض المساجد، وبمعونات مادية ومعنوية لأداء فريضة الحج، وبلوازم القيام بجولات دراسية ودعوية داخل المستعمرات تحت رعاية السلطات الاستعمارية، وأهم شاهد على مثل هذه الجولات ما كان يقوم به "الحاج سعيد نور تال" في المدن والقرى داخل المستعمرات الفرنسية تحت رعاية الحكام وتشجيعاتهم[2].

[1]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص: 95.
[1]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص: 96.

وقد اعترف أحد الموظفين الاستعماريين بأمانة المسلمين وامتنانهم عام في قوله: (إن الزنوج المسلمين بصفة عامة أناس وديعون يشعرون بالامتنان لما وجدوه في ظل سلاحنا من أمن واطمئنان، وهم لا يفكرون إلا أن يعيشوا في ظل سلطاتنا)[1].

لكن الملاحظ في قضية علاقة المستعمرين مع المسلمين هو أنه رغم هذه العلاقات الطيبة والاحترام والتقدير الذي كان يحظى به العلماء لدى المستعمرين لم يمنع ذلك من التشدد في مراقبتهم ومتابعتهم، بل كان المنطلق الأساسي عند المستعمرين هي القاعدة "الأمانة لا تمنع المراقبة" وفي هذا جاء في برقية الحاكم العام ب "دكار" إلى حكام الدوائر سنة 1914م (يجب عليكم أن تقوموا بمراقبة مركزة ومستمرة لحركات العلماء المسلمين في دوائركم، الكبار منهم والصغار على السواء، والمشكوك فيه وغير المشكوك، ويمكن لكم في أثناء القيام بهذا العمل أن تستخدموا جواسيس أمناء من أتباعهم ليحيطوا علما بمن يلتقي بالعالم ونوع الخطاب الذي يدور بينهم).[2]

وخلاصة القول: إن موقف الاستعمار من الإسلام والمسلمين في إفريقيا الغربية عامة وفي كوت ديفوار خاصة، ظل موقفا عدائيا وإن تعددت الطرق التي سلكوها في سبيل تحقيق أهدافهم، كما ظلت المعاملة بينهما متأرجحة بين القسوة والليونة والصعود والهبوط تبعا لسياسة الحكومات الفرنسية المتباينة وشخصية الحكام العاملين في المنطقة.

[1]- المرجع نفسه، ص: 98.
[2]- أساري أوبوكو، الدين في إفريقيا خلال فترة الاستعمار، ص: 520.

ثانيا: موقف الاستعمار الفرنسي من المسيحية

تكاد تكون محاولة إبراز موقف الاستعمار من المسيحية في إفريقيا الغربية الفرنسية شبه حديث عن الاستعمار، وذلك أنهما يمثلان شيئا واحدا، فرجال الإدارات الاستعمارية والمبشرون يشتركون في الإيمان والاعتقاد المسيحي الواحد، كما يشتركون في النظرة نفسها إلى العالم، وينتمون إلى الثقافة الواحدة التي ظلت الكنيسة في عهد الاستعمار تتبني نشرها، وتسعى إلى طمس هوية الإنسان الإفريقي بتحويله إلى الثقافة الغربية المشبعة بالمسيحية إلى أبعد الحدود، كل هذا بالإضافة إلى المصالح المشتركة بين الجهتين جعل الإدارة الاستعمارية تتخذ موقفا إيجابيا من جهود المبشرين، وتقدم الإعانات اللازمة للمدارس والمراكز الصحية الإرسالية، وتكفل لها الأمن والحماية والنظام الذي يطمئنون في ظله إلى إقامة أنشطتهم، مما يعني أنه بوجه عام كانت المسيحية في إفريقيا الغربية حليفا ومعينا للإمبريالية الأوروبية، وأن نشاط المبشرين كان جزءا لا يتجزأ عن الحركات الاستعمارية.

هكذا نجد تحدد موقف الاستعمار من الإسلام والمسحية، ولا شك أن هذا النظام الاستعماري الذي آزر المسيحية وآواها ونصرها وحماها وأعطاها جميع أنواع وسائل النهوض والسيطرة والازدهار، وهمش الإسلام ومؤسساته، وسعى إلى شق وحدة المسلمين، والفصل بينهم وبين تراثهم وأصول ثقافتهم الدينية، قد غرس بذور البغض والكراهية بين الطائفتين، وجعلهم أعداء لدودا، مما يعني أن الاستعمار قد دنس بداية العلاقة الطيبة والتعامل السلمي بين الإسلام والمسيحية في إفريقيا الغربية الفرنسية عاما وكوت ديفوار خاصة، وذلك بعدم اعتداله بين الديانتين، وبتعطيله لقانون عام 1905م، الذي يدعو إلى علمنة الدولة، وفي هذا ورد استنكار السيد "ألبرتو فودجري" (Fodjire Alberrto) أحد الباحثين المنصفين من المسيحيين أنفسهم في كتابه "إفريقيا الثائر" حين قال: (إن العدالة ليس لها حدود.. وأقصد بقولي هذا خاصة المسلمين الذين تمنعهم السلطات من فتح المدارس، وإذا سمحت لهم فإنها لا تدخل مدارسهم في باب المساعدات المالية الحكومية التي تعطي للمدرس النصرانية، وإنها قضية إنصاف علينا مواجهتها بجرأة وشجاعة، وإذا تجاهلنا أن الإسلام دين الأغلبية في إفريقيا

السوداء وأكدناه بوسائل ملتوية فإن ذلك لن يكون بأي شكل من الأشكال في مصلحة إفريقيا والإسلام).[1]

وبعد معرفة موقف الاستعمار من الديانتين فإنه يبقى هناك تساؤلات مفادها: ما دام المسلمون والمسيحيون مجبرون على أن يتعاملوا جنبا إلى جنب داخل الدولة أو المدينة الواحدة، وداخل الحي أو المؤسسة التي تضمهم جميعا، وما دامت مصلحتهما تقتضي وجود تعامل سلمي واحترام متبادل بينهما، فماذا كان موقف المسلمين تجاه المستعمرين والمسيحيين في الفترة الاستعمارية؟

[1]- عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال، ص:103.

المبحث الثاني:

موقف المسلمين من الاستعمار والمسيحيين

أولا: موقف المسلمين من الاستعمار

كان موقف المسلمين من الاستعمار موقفا عدائيا، حيث كان المسلمون يرون الاستعمار من جهة العائق الأساسي أمام انتشار دين الله تعالى، إذ تزامنت فترة ظهور الاستعمار في المنطقة مع صعود الحركات الإسلامية، فقد كاد أن تكتب لها النجاح لولا تصدي القوي الاستعمارية لمشروعها، ومن جهة أخرى كانوا يرون من الاستعمار وجها لفرض التنصير على الشعوب، إذ اصطحب المستعمر معه المبشرون إلى المنطقة وأمدهم بكل الوسائل اللازمة ليتمكنوا من القيام بعملية التبشير، وبث الثقافة الأوروبية في المنطقة على أحسن وجه.

ثمّ لما اقتضت طبيعة الأسس التي انبنى عليها نظام الاستعمار من استغلال ثروات المستعمرات، وتسخير أهلها، وإنشاء المرافق العامة المتهيئة لاستقطاب مختلف النشاطات التي ظهرت بعد بروز المدن العصرية إلى حيز الوجود، وتطوير وسائل النقل المختلفة في المنطقة، وتغيير سياسة المستعمر وطريقة تعامله مع المسلمين، ترتب على ذلك تغيير طريقة تعامل المسلمين معهم، إذا لم يرفضوا التعامل مع المستعمر في كل ما لا يتصادم مع دين الإسلام، وينبغي الاعتراف هنا أن المسلمين استفادوا من المستعمرين في هذه المرحلة بقدر ما استفاد هذا الأخير منهم أو أكثر، حيث بواسطة توظيف المسلمين في الإدارات والجند والمرافق الحكومية، إضافة إلى تطوير وسائل النقل المختلفة، وتأمين الطرق، ازداد الاحتكاك بين المسلمين والوثنيين الذين كانوا ينفرون بطبعهم من المستعمرين، ويلجئون إلى الإسلام الذي كانوا يجدون فيه الوسيلة المثلى للاندماج بيسر في المجتمع الحضري، والانفتاح على آفاق

أوسع مع الاحتفاظ بشخصيتهم وثقافتهم.[1] وتمكن التجار المسلمون من التنقل بسرعة ويسر إلى الأماكن النائية المختلفة، وبهذا عرف الإسلام انتشارا ملحوظا، لم يعرف له مثيل قبل الاستعمار، بل بواسطة الاستعمار استطاع الإسلام أن يخترق أدغال الغابات التي كانت بمثابة سور أمامه كي يصل إلى الجنوبيين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الانفتاح من المسلمين على الاستعمار في هذه المرحلة لم يكن سوى تكيفا مع الواقع، إذ إنهم لم يكونوا يجهلون ما يضمره لهم المستعمرون، وأن كل ما يقوم به من خدمة في صالحهم إنما يقوم به بعد ألف حساب، مما يعني أن الموقف العدائي منهم تجاه المستعمرين ظل مستمرا، وإن تغيرت طرق التعامل والاستفادة من النظام، وهذا الموقف يمكن اكتشافه من خلال رفضهم جميع المظاهر الأوروبية، وخاصة في الملبس، حيث لم يكونوا يسمحون لأنفسهم ولا لأبنائهم بلبس البنطالون، وقد وصل الأمر ببعض المتشددين منهم إلى منع أبنائهم من قص شعورهم، وكانوا يرفضون إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، سواء كانت تابعة للإرساليات التبشيرية أو الحكومية، وإنما كانوا يرسلونهم إلى المدارس القرآنية حفاظا على دينهم وعقيدتهم.

ولما كان من غايات التعليم في عهد الاستعمار: تكوين الأطر المساعدة للقيام بالأعمال الوسيطة في الجهاز الحكومي تحت قيادة كبار الموظفين الأجانب، والتي ستنوب عن المستعمر بعد الاستقلال، ترتب على مواقف المسلمين هذه أن تمّ إقصاؤهم عن الحكم ومرتكز القرارات بعد الاستقلال، في دولة كانوا فيها بالأمس القريب القدوة في العلم والثقافة والتقدم والازدهار، بل أدهى وأمر أن أصبح المسلم بثقافته وتبحره في العلوم الإسلامية والأدبية وتمكنه في زمام اللغة العربية يعتبر أميا جاهلا لعدم إتقانه لغة المستعمر، وربما يعتبر البعض هذه المواقف من المسلمين تجاه المستعمرين ورفضهم من إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية سخافة، وسببا لكل الويلات والمتاعب التي عرفها المسلمون بعد الاستقلال، لكن الذي عنده أدنى غيرة على دينه إذا نظر نظرة تدبر وتفحص يدرك أن الآباء كانوا محقين ومصوبين في

[1]- وفي هذا يروى أنه في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كان المسلمون يقولون لشعب "موسى" الوثني العليا فولتا العليا (بوركينا فاسو حاليا) أن الأبيض سيغادرون بلادهم بمجرد أن يتحولوا إلى اعتناق الإسلام.. انظر: "تاريخ إفريقيا العام"، ص: 532.

ذلك الوقت، إذ ببركة مواقفهم هذه لم يذب الإسلام وهو يعرف اليوم في كل غرب إفريقيا يقظة وصحوة على أيدي أبنائهم وأحفادهم الذين وفقهم الله لتلقي العلوم الإسلامية.

ثانيا: موقف المسلمين من المسيحيين خلال عهد الاستعمار

لم يكن للمسلمين في إفريقيا الغربية الفرنسية قبل احتكاكهم بالمسيحيين موقف خاص يتفردون به عن موقف الإسلام والمسلمين عامة من المسيحية والمسيحيين، من حيث الإيمان برسالة سيدنا عيسى عليه السلام، وبالإنجيل الذي أنزل معه، وبشرعية التعبد بملته قبل مجيء الرسالة الخاتمة، رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان مبلغ علم خواص علماء الإسلام في هذه المنطقة قاصرة على ما يحكيه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبعض أقوال المفسرين عن المسيحية وتصرفات بعض المسيحيين، ولما جاء الاستعمار حمل معه المسيحية إلى هذه المناطق، حيث لا تقتصر عملية تقريب الشعوب وفرنستهم على الجانب الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، ولكن لتكون الديانة المسيحية متممة لهذه العملية، فكمل الكمال في تحويل شعوب المنطقة إلى فرنسيين جملة وتفصيلا.

ومن هنا جاء تشجيع المبشرين لجميع تصرفات المستعمرين على أساس أن المهمة التي من أجلها يتصرفون مثل هذه التصرفات تجاه الأفارقة لها ما يبررها، وهذا التشجيع حمل أبناء المنطقة عامة والمسلمين خاصة –الذين كانوا يعانون من ألوان الذل والهوان والسخرية والتجنيد الإجباري، والضرائب الباهظة على يد المستعمرين– على تبني مواقف خاصة تجاه المسيحية والمسيحيين كان من أهمها:

1– نبذ كل ما يمثل ثقافة النصارى، وعلى هذا رفضوا إرسال أبنائهم للالتحاق بالمدارس الفرنسية التي كانت في جملتها تابعة للإرساليات التبشيرية كما سبق بيانها، وقد وصل الأمر بالبعض منهم إلى رفض المدارس العربية الإسلامية الحديثة بحجة أنها وجه لتنصير أبناء المسلمين، حيث كانت تلك المدارس تحاكي في كثير من أبعادها المدارس التبشيرية، من جلوس التلاميذ على المقاعد أمام الطاولات، واستخدام الكراريس والأقلام، وكذلك الطباشير والسبورة، الأمر الذي لم يألفوه ولم يشاهدوه إلا في المدارس الاستعمارية والتبشيرية.

2- عدم الثقة بالمسيحي مهما تحلت به من سجية، والابتعاد بقدر ما أمكن عن كل ما يمثل حركة المبشرين وخدماتهم، خوفا من الوقوع في شبكة مكرهم وخداعهم.

3- اعتبار المسيحية كفرا وضلالا مبينا يقتضي مقاطعة من يعتنقها من أبناء المنطقة وحرمانه من جميع أنواع الدعم الاجتماعي، والحصانة الأسرية أو القبلية، مما يعني إقامة حظر اجتماعي على صاحبه داخل المجتمع، فلا يؤكلونه ولا يشاركونه في أفراحه وأحزانه، كما لا يصلون عليه بعد موته، وبهذا يصير إنسانا غريبا داخل المجتمع.

وتجد الإشارة إلى أن اتخاذ مثل هذه المواقف من المسلمين تجاه المسيحيين لم يكن خاصا بالمسلمين فقط، بل كان غير المسلمين وبالأخص معتنقي الديانات التقليدية أشد من المسلمين في نبذ كل ما كان يمثل ثقافة المستعمر أو المبشر، حتى الأفارقة الذين اعتنقوا المسيحية كان لهم مواقف تجاه المسيحيين، حيث كانت المسيحية في نظرة الجميع هو دين الرجل الأبيض الذي جاء ليسلب الإنسان الأسود حريته وكرامته وقيمه الإنسانية والروحية، فاعتناقها يعني: توقف الشخص من أن يكون إفريقيا، واستخدامه للثقافة الأوروبية مرجعا لحياته، وعلى هذا ترددت على ألسنتهم اتهامات ساخرة ومؤلمة تجاه المبشرين وحركاتهم، وكان من تلك الاتهامات قولهم: (إن المبشرين جاءوا إلينا قائلين: نريد أن نعلمكم حسن العبادة، قلنا حسنا ذلك ما نبغي، فطلبوا منا أن نغمض أعيننا، ففعلنا ذلك، وتعلمنا العبادة، وحينما فتحنا أعيننا وجدنا الأناجيل في أيدينا وأراضينا قد اغتصبت) ومنها قولهم: (إن الحركات التبشيرية تسعى جاهدة إلى إخماد الروح الإفريقية، ولقد حاولت تحويل الأفارقة إلى أوروبيين مسيحيين، فركلت مدينتنا لتظهر لنا مع أي جانب يقف الرب) وقولهم أيضا: (حينما يكون الرجل الأبيض اليد العليا فإن المبشرين يتقبلون برضا غريب التفرقة العنصرية، وإنهم يتثاقلون حينما يكون الأمر متعلقا بتدريب أحد الإفريقيين لتولي الرئاسة والسلطة داخل الكنيسة).[1]

وقد أدى تبني هذه المواقف ببعض المسيحيين الأفارقة إلى إنشاء ما يعرف اليوم بالكنائس الانفصالية أو المستقلة، وذلك تعبيرا عن رغبتهم في إيجاد مكان داخل الكنيسة

[1]- جال مندلسون، ترجمة إبراهيم أسعد محمد، الأديان في إفريقيا المعاصرة، دار المعارف، ط/ 1، بدون تاريخ، ص: 20- 23.

يشعرون أنهم في بيتهم، فقاموا بإدراج جرعة من العقائد والممارسات الإفريقية المتفوقة بكثير ما كان تسمح به الكنائس الخاضعة لسيطرة المبشرين وسلطانهم، فتخلصوا بذلك من احتكار المبشرين للكنيسة في جميع أبعادها.

ومن هذا المنطلق جاء في إعلان المرحوم "أحمد سيكو توري"[1] في 1961/08/27م (لن يعتمد في غينيا أي أسقف كاثوليكي ما لم يكن إفريقيا).[2]

وكذلك في كوت ديفوار جاء استقلال الكنيسة المثيودية عن الكنيسة الأم في بريطانيا، بعد أن دامت ولاؤها لمدة (60) ستين سنة، ابتداء من عام 1926م تاريخ الانضمام إلى دائرة الكنيسة المثيودية لغرب أفريقيا إلى 1985/02/09م تاريخ التوقيع على ميثاق الاستقلال.

إن موقف المسلمين من المسيحين خلال الفترة الاستعمارية ظلت عدائية، وأن المسلمين قاسوا للمسيحيين بنفس المقياس الذي قاسوا به على المستعمرين، إلا أن تعاملهم مع المستعمرين كان ظاهرا في مجالات كثيرة بينما لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للمبشرين، ولم يختلف موقف المسيحيين وتصرفاتهم تجاه المسلمين عن موقف المسلمين تجاههم.

ثالثا: حالة التعامل بين المسلمين والمسيحيين في ظل الحكم الاستعماري

إذا كان كل من الإسلام والمسيحية في إفريقيا الغربية الفرنكوفونية قد اتخذ مثل المواقف تجاه الآخر فإن للسائل أن يسأل: كيف تمكن المسلمون والمسيحيون من التعامل مع هذه النظرة العدائية جنبا إلى جنب دون الدخول في نزاعات ومصادمات؟

والتي يمكن الميل إليها في الإجابة عن هذا السؤال هي: أن النزاعات والاشتباكات الداخلية بين الديانتين في هذه المجتمعات لم تكن تؤدي إلى نتيجة مثمرة، بل إن مصلحة الجميع كانت تقتضي وجود سلم واستقرار في المنطقة، فالمستعمر بجديده وناره اضطر من أجل تحقيق مصالحه إلى الحوار والتعاون مع المسلمين الذين كانوا يمثلون معارضيه، وأوجبت

[1]- الرئيس الأول لجمهورية غينيا بعد الاستقلال.
[2]- جال مندلسون، ترجمة إبراهيم أسعد محمد، الأديان في إفريقيا المعاصرة، ص: 175.

الأوضاع الاقتصادية، والبحث عن الشخصية المفقودة على المسلمين أن يتكيفوا مع سياسة المستعمر ويتعاملوا معها بقدر ما يحقق لهم مصالحهم ولا يعطل عليهم دينهم، وكذلك لم يكن من مناص أمام المبشر في أن يتظاهر ببشاعة واعتراف ومسالمة أمام المسلم، وكان الانتساب إلى الوطن الواحد يوجب على مختلف الطوائف، وخاصة المسلمين والمسيحيين التعاون والتعامل والاشتراك في خدمة الوطن الواحد، وأن يلتقوا في شتى مجالات الحياة اليومية، يجمع بينهم رابطة الوطنية ثمّ الإخوة والألفة والصداقة، إذ لم يكن اختلاف الدين عائقا أمام تضامن الأسر الواسعة وترابطها، بل كان ذلك شيئا عاديا في سجية أثناء هذه المنطقة، حيث كانت الأسر تمثل أول مجال للقاء بين الإسلام والمسيحية، ولا أدل على ذلك من السيد فليكس هوفويت بوانيه –أول رئيس للدولة بعد الاستقلال– كاثوليكيا ومتزوجا من مسلمة تسمى "كادي" أي خديجة، وكان له أيضا عمات وأخوات مسلمات ومتزوجات من المسلمين، وكذلك في السنغال حيث كان "السيد ليوبول سيدار سنغور" –أول رئيس لجمهورية السنغال بعد الاستقلال– كاثوليكيا، بينما كان له أخوات مسلمات، وفي جمهورية مالي كان الأسقف "لويك سنغاري" (Luc Sangaré) ينحدر من أب وأم مسلمين، إلى غير ذلك من الأمثلة الشاهدة على الاختلاط والتعامل السلمي بين الإسلام والمسيحية داخل الأسرة الواحدة في إفريقيا الغربية.

وكذلك ساعد في الحفاظ على السلام والتعامل السلمي في هذه الفترة بالذات وعي بعض المسؤولين من المسلمين والمسيحيين والسياسيين بأن المشكلة دينية سيؤدي إلى اختلاط الموازين وتعطيل كل ما تمّ بناؤه من استقرار ومجاملة بين الأديان، ولهذا لم يتأخر ردود الفعل على مقال أسقف دكار السيد "مارسيل لوفيقر" الذي هاجم فيها المسلمين، واتهم الإسلام بدين الشيوعية والعبودية والتخلف، فجاء أول الرد عليه على لسان الوزير المسلم السيد "تيجاني توري" في1960/01/13م في إذاعة مالي حين قال: (إننا لم نكن ندري أن الإسلام يقود إلى الاستقلال وإلى الشيوعية، ولم نكن نعرف أن التوافق بين الإسلام والحضارة الغربية غير ممكن، وأن الإسلام غير قادر على نشر السلام بين أصحاب الإرادات الحسنة على وجه الأرض).[1]

[1]- جال مندلسون، ترجمة إبراهيم أسعد محمد، الأديان في إفريقيا المعاصرة، ص: 179.

وفي عام 1960/06/05م أرسل الشيخ العلامة إبراهيم نياس الكولخي السنغالي برقية باللغة العربية إلى الأسقف "لوفيفر" رداً على مقالته، وكان مما تضمنته تلك البرقية: (يتعرف على الرجال بانتسابهم إلى الحق، ولا يتعرف على الحق بانتسابه إلى الرجال، ثمّ شرع يبين عدم التوافق بين الإسلام والشيوعية، وكذا عدم إمكانية اعتراض السبيل أمام حركات الاستقلاليين الوطنيين، ثمّ نفى نفيا كليا اتهام الإسلام بالعبودية متسائلا عما إذا كان المسلمون هم الذين انتقصوا من حرية الأوروبيين المحتلين لإفريقيا واستقلالهم؟ وفي آخر البرقية بين خشيته من أن تكون الكراهية والبغضاء والتعصب قد أعمى بصر القسيس لوفيفر عن رؤية الحقيقة، مما يقوده إلى تصنيف الإسلام تحت حالات وتصرفات تشخص حالات وتصرفات دينه).[1] وفي1960/02/05م، قامت جماعة من الطلبة الجامعيين الكاثوليكيين بالاحتجاج ضد مقالة لوفيفر مبينين أن ضمائرهم لا تمكنهم من التراضي أو الاعتراف بهذا النوع من التعصب العمياء وبالعبودية التي ينسبها إلى الإسلام.[2]

ورغم تباين مواقف السياسة الاستعمارية بين الإسلام والمسيحية ورغم حالة الحذر بين الديانتين، وعدم وجود ثقة متبادلة بينهما فإن التعامل السلمي بين معتنقيهما كان يسير في مساره الطبيعي، فالمسلم كان يلتقي بالمسيحي في رحاب أسرة واحدة يربطهما رابطة القرابة أو المصاهرة كما كان كانا يلتقيان في الوظائف داخل الإدارة الواحدة، وأحيانا يتقاسمان المكتب الواحد، يؤلف بينهما رابطة الوطنية والألفة والصداقة، فيشارك بعضهم بعضا في الأفراح والأحزان، وكذلك كان يلتقيان في محلات البيع والشراء، وعلى الشوارع، وفي النوادي والمقاهي وداخل المواصلات، وغير ذلك من مجالات اللقاء بين المسلمين والمسيحيين في هذه الفترة هي أن رابطة العلاقة التي يقوم عليها في قضية التعامل والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في هذه الفترة هي أن رابطة العلاقة التي كان يقوم عليها ذلك التعامل السلمي لم تكن صلبة ومتماسكة، فقد كان هناك تخوف دائم على هذه الرابطة من أن تنفصم فتدخل أبناء الوطن الواحد في صراعات دينية لا طائل وراءها، وخاصة إذا ما علمنا أن المستعمرين وإن لم

[1]- المرجع نفسه، ص: 181.
[2]- المرجع نفسه، ص: 182.

يفلحوا في صرف الناس عن دينهم ومنابع حضارتهم إلا أنهم نجحوا في شق المجتمع إلى شمال إسلامي وجنوب مسيحي، مع تفاوت النسبة العددية بين هؤلاء وأولئك.

ولا شك أن هذا التخوف الذي كان يعتري المهتمين بالسلام والاستقرار بين الحين والآخر، يدعو إلى طرح تساؤل مفاده : كيف تعامل الحكومة الإيفوارية مع قضية التعامل السلمي والحوار البناء بين المسلمين والمسيحيين بعد المستعمرين؟ وكيف صارت العلاقة بين الديانتين بعد الاستقلال؟

المبحث الثالث: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي أيام الرئيس "فليكس هوفويت بوانيه"

(Félix Houphouët Bobigny) 1960-1993

قد بينا سابقا أنه كان من الغايات التي يرمي إليها التعليم في عهد الاستعمار إيجاد طبقة مشبعة بالثقافة الفرنسية من أبناء الوطن لينوبوا عن المستعمرين بعد الاستقلال، وبالفعل بعد استقلال الدولة كانت هذه الطبقة هي التي ورثت المستعمر في الحكم، وبالتالي كانت أكثر حراسة على ما تركه المستعمر من نظم ومخططات استعمارية، إذ تمّ تنفيذ كل ما حاوله المستعمر وفشل فيه أو تركه خشية الاصطدام بالشعور الوطني على أيدي خلفائهم من الحكام الوطنيين، الذي وقف معظمهم بحكم تكوينهم الثقافي دون انتقال مرحلة الاستقلال من مجرد تحرر سياسي إلى تحرر ثقافي وحضاري، مما يفيد أن النظام السياسي المتبني في كوت ديفوار بعد الاستقلال كان عبارة عن مسلسل النظم والقواعد القانونية المستعمل بها في أيام الاستعمار، لذا ظلت الدولة جمهورية لائكية ديمقراطية اجتماعية.. جاء في الدستور:

1- إن جمهورية كوت ديفوار واحدة، لائكية ديمقراطية واجتماعية، وجميع سواسية أمام الدستور دون تفرقة عنصرية أو عرقية أو قبلية أو جنسية أو دينية، وهي تحترم جميع الاعتقادات.[1]

2- إن شعب كوت ديفوار واع بحريتها وبشخصيتها الوطنية، وبتنوعها العرقي والثقافي والديني، واع أن الاتحاد في ظل هذا التنوع يضمن تطورا اقتصاديا وحالة اجتماعية حسنة.[2]

3- كل دعاية يهدف أو يشعر بارتقاء طائفة اجتماعية على طائفة أخرى ممنوعة.[3]

[1] - Constitution Ivoirienne . Art : 30 de chapitre 11.
[2] - Ibid. P : 15.
[3] - Constitution Ivoirienne Art: 10 de chapitre 1.

ومن خلال هذه النصوص الدستورية يتبين أن كوت ديفوار بقيت من حيث النظام السياسي كما كانت في عهد الاستعمار، دولة ديمقراطية لائكية، تعترف بتنوعها العرقي والثقافي والديني، وتسعى إلى بناء وطن واحد متضامن ومزدهر، في ظل احترام هذا التنوع وجميع الاعتقادات والمساواة بينها أمام القانون، ولم يتغير النظام السياسي الاستعماري بعد الاستقلال تغييرا إلا في تعددية الأحزاب السياسية، حيث تم إلغاء هذه التعددية وتبني نظام وحدانية الأحزاب السياسية، لينسجم جميع تلك الأحزاب في حزب واحد، وهو "الحزب الديمقراطي في كوت ديفوار" (P.D.C.I) ولتتقوى بذلك الوحدة الوطنية التي كانت السياسة بعد الاستقلال تسعى إلى تحقيقها والمتمثلة في الشعارات المرفوعة آنذاك: "رئيس واحد، حزب واحد، شعب واحد،" وفي هذا الخصوص كتب كل من انطوان غلازي (Glaser Antoine) وستيفان سميث (Stéphane Smith) (قبيل أوان الاستقلال كانت تتعامل وتتعايش مختلف الأحزاب السياسية مع الرئيس الجنرال ديغول (De gaulle) إلا أن الأفارقة تلقوا وصية صارمة من المستعمرين – أوان الاستقلال– حثهم على بناء دولة قوية ذات نظام صلب ومتين في ظل حزب موحد، كي يتم تجنب تمركز القوات العرقية على السلطة، وكذلك المكافحة ضد الشيوعية).[1]

واستمر العمل بنظام الحزب الواحد حتى إلى عام 1990م، حين هب نسيم التغيير الذي أوجب على الدولة تبني الديمقراطية الغربية بتعدديتها الحزبية، وحرياتها الواسعة النطاق، وسلطاتها المنفصلة، والموزعة بين الحكومة والبرلمان، والقضاء والرأي العام، وبهذا بدأ تأسيس دولة جديدة، دولة الحق والقانون، التي تفرض احترام الحقوق والواجبات، والمساواة بين المواطنين، والأحزاب السياسية والطوائف الدينية وغيرها من القواعد التي تقوم عليها الديمقراطية.

[1]- Le chrétien face à la politique conférence épiscopale de côte d'ivoire/ p:35- 36 secrétariat général de la conférence 1999 Abidjan côte d'ivoire.

أولا: موقف النظام السياسي من الإسلام والمسيحية في ظل نظام الحزب الواحد:

في ظل نظام الحزب الواحد استمرت علاقة النظام مع الإسلام والمسيحية كما كانت في عهد الاستعمار، حيث رغم تبني الدولة اللائكية في سياستها، إلا أنها جاءت دولة مسيحية مثل ما كانت في أيام الاستعمار، إذ تمكنت المسيحية هي الأخرى من تحقيق كل ما لم تنجح في تطبيقه خلال الفترة الاستعمارية، بينما ازداد تهميش الإسلام والمسلمين وتجريدهم من حقوقهم، وكل ذلك نلمسه من خلال موقف النظام السياسي تجاه مظاهر عديدة من أهمها:

1- في الأعياد الدينية:

استمر اعتبار أعياد المسحيين وطنية ورسمية كما كانت في أيام الاستعمار، تعطل فيها مؤسسات القطاع العام والخاص، بينما ظلت أعياد المسلمين أيام شغل وعمل للموظفين والطلبة في المدارس الحكومية والمسيحية، ولم تكن أعياد المسلمين تحظى باعتبار من الحكومة سوى إحضار بعض المسؤولين إلى المصلى في صلاة العيدين لتمثيلها، ولم يحدث التغيير في موقف الحكومة إلا بعد إنشاء المجلس الوطني الإسلامي، والذي جاء الاعتراف الرسمي به في عام 1992م، وكذلك قبولها ببعض مطالبه والتي كان منها اعتبار عيدي الفطر والأضحى وصبيحة ليلة القدر والمولد النبوي الشريف أعيادا وطنية مثل أعياد المسيحيين.

2- العلاقات الدبلوماسية:

بخصوص العلاقات الدبلوماسية مع الدول الإسلامية والمسيحية، استفادت المسيحية من الحكومات أكثر من المسلمين، حيث عشية الاستقلال مباشرة، فتحت الحكومة سفارة كوت ديفوار في الفاتيكان، وكان أول سفير ممثل للدولة هو السيد "جوزيف أميشا" واستقبل كذلك السيد "جستو مولور غراسيا (Justo Mullor Gracia) أول سفير بابوي في أبيدجان، وتم اعتماده رئيسا لجميع السفراء والشخصيات الدبلوماسية، بينما لم تفتح ممثلة دبلوماسية في المملكة العربية السعودية إلا بعد عام 1990م، وذلك بعد إلحاح شديد من المسلمين، ومن المملكة

أيضا قصد تسهيل مهمة الحجاج في الديار المقدسة، إضافة إلى هذا كان على المسلمين أن ينتظروا حتى عام 1993م لتناول الحكومة تنظيم الحج، بل تنظيم مراقبة الحجاج في تصرفاتهم، وترخص للمسلمين تنظيم حجهم بأنفسهم، مثلما ينظم المسيحيون حجهم بدون مراقبة حكومية.

3- المساهمة في المشاريع الدينية:

أ- المعابد الدينية:

في عام 1970م فرضت السلطة قسيمة اشتراكية على جميع العمال والموظفين، سواء في القطاع العام أو الخاص، قصد بناء معابد عصرية وجذابة للأديان، وبعد جمع الاشتراكات لم يبن أي معبد للأديان سوى كاتدرائية القديس بول، بالحي الإداري في أبيدجان لتكون معبدا خاصا للمسيحيين الكاثوليك.

ثمّ في عام 1985م شرع الرئيس فليكس هوفويت بوانيه في إنجاز مشروع بناء أكبر كنيسة في العالم وهي الكنيسة التي تمت تسميتها ب "البازليق سيدتنا للسلام" وفي يوم افتتاح هذه الكنيسة كان من جواب السيد الرئيس حينما سأله صحافي من إذاعة فرنسا الدولية عن أهم الأسباب التي دفعته إلى بناء هذا المشرع قوله:(توجد اليوم على مساحة الكرة الإفريقية ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة، وبين هذا العدد مائة وخمسون مليون مسلما، بينما مائة مليون منه مسيحيون كاثوليكيون، وفي كوت ديفوار توجد عشرة ملايين نسمة 23% منها مسلمون 15% منها كاثوليكيون.. إن الإسلام يعدو، فلا بد من إيقافه، والمسيحي الذي أنا هو، البازليق سيدتنا للسلام طريقتي الخاصة في إيقاف المد الإسلامي وانتشاره في الجنوب)[1].

هذا بالإضافة إلى المحراب المريمي المسمى ب "سيدتنا لإفريقيا أم جميع البركات" (Notre dame d'Afrique mère de toute grâces) والتي من أجلها تمّ نصب تمثال السيدة العذراء فوق ربوة المدخل الغربي الرئيسي لمدينة أبيدجان، فتظهر المدينة نصب عينها وتحت قدميها كأنها راعية أمامها قطعانها.

[1]- Jeune Afrique n 54 décembre 1988. p: 75- 67.

وكل هذه الكنائس بحكم مواقعها الإستراتيجية لا يضع مجالا للشك بالنسبة للناظر إليها من أن الدولة مسيحية كاثوليكية، بينما الواقع يخالف ذلك.

وأما بالنسبة لمعابد المسلمين فإن رئيس الدولة السيد فليكس هوفويت بوانيه كان يساهم بصفته الخاصة في بناء بعض المساجد، والتي على رأسها مسجد ريفيرا (Riviera) ب "كوكودي" إذ لما شرع مسلمو تلك المنطقة بجمع التبرعات لمشروع بناء مسجد جامع ذات طراز معماري متميز يصل مجموع كلفته إلى ثلاثمائة مليون فرنك سيفا، ما يعادل اليوم تسعين ألف يورو قدم الرئيس مائة وثمانين مليون فرنك سيفا، أي ما يعادل خمسمائة وأربعين ألف يور، مساهمة منه في إنجاز هذا المشروع النبيل، وبين أن هذا المبلغ الذي قدمه ليس من جيبه، بل هو من زوجته المسلمة المتوفاة، وإنما قام بهذه المساهمة عنها لتكون لها صدقة جارية تستفيد منها في حياتها الأخروية، وفي مناسبة افتتاح المسجد ألقى الرئيس خطابا انشرح به صدور المسلمين حيث أكد فيه بقوله: (إذا منّ الله عليّ بطول العمر، فلن يكون هذا المسجد آخر مسجد أبنيه للمسلمين، ففي ياموسوكرو – مسقط رأسي والعاصمة السياسية– حيث تتواصل أعمال بناء البازليق سيدتنا للسلام، حجزت مساحة واسعة لبناء أكبر مسجد على مستوى القارة الإفريقية)[1].

هذا بالإضافة إلى المساجد التي ساهم الرئيس بصفته الشخصية في بنائها، مثل: الجامع الكبير بحي "أجامي" في أبيدجان، والمسجد الجامع في مدينة ياموسوكرو، والمسجد الجامع في مدينة كوروغو، وكذا في مدينة بواكي وبندوكو وغيرها... وما يخص النظام السياسي والمعابد تجدر الإشارة إلى أن مساهمة الرئيس في بناء المساجد لو جمعت كلها لا يعادل نصف كلفة بناء كاتدرائية القديس بولس، ناهيك عن البازليق ب ياموسوكرو، وغيره من كاتدرائيات أخرى وكذلك الجانب البروتستانتي.

ب– المدارس الدينية:

[1]- Relation Islamo- chrétiennes n 49 octobres. p: 7.

لم بكن للمدارس العربية الإسلامية نصيب في المساعدات الحكومية، بل إنها لم تنل أدنى تقدير من الاعتراف الحكومي، فظلت تابعة لوزارة الداخلية بدلا من وزارة التربية والتعليم، وظل خريجوها مهمشين في بطالة مصطنعة لا يحسدون عليها، بينما ظلت المؤسسات التعليمية المسيحية سواء منها الكاثوليكية أو البروتستانتية أو غيرهما تحظى كل سنة بالمبالغ الباهظة مساعدة لهم في سبيل تطوير مؤسساتهم، إلى جانب هذه الحالة، أصدر مرسوم رئاسي يحمل رقم 66–128 بتاريخ:1966/03/31م، جاء في مضمون هذا المرسوم إعطاء الأهلية للكاثوليك والبروتستانت للقيام بمهمة تنظيم دروس دينية داخل المدارس الحكومية في غير أوقات العمل دون سواهما من الأديان، و في عام 1984م تمّ إبرام اتفاقية بين الدولة وإدارة التعليم الكاثوليكية لضمان دعم مالي لهيئة التعليم تتراوح بين 66% إلى 80% للرواتب، كما تضمنت الاتفاقية إعطاء الحرية لتعليم الكاثوليك، والتشاطر مع الدولة واجبات التفتيش ومراقبة المناهج.[1]

وهكذا تحدد موقف النظام السياسي الإيفواري أيام الرئيس فيلكس هوفويت بوانيه خلال سيطرة نظام الحزب الوحيد من الإسلام والمسيحية.

ورغم تبني السياسة اللائكية انحازت الدولة إلى المسيحية بدعمها وتؤيدها دون غيرها من الديانات الأخرى كالإسلام، ولماذا ظل المسلمون راضين لأنفسهم عن هذا الإقصاء والتهميش؟ أو ساكتين لا يحركون ساكنا؟

وإجابة عن ذلك أقول: إن انحياز الحكومة إلى المسيحيين يمكن أن يفهم من خلال بعض العوامل من أهمها:

1– من جهة أن الأغلبية المطلقة من أعضاء الحكومة كانوا مسيحيين، وتلقوا تكوينهم في المؤسسات المسيحية أو شبه المسيحية على يد القساوسة والرهبان، وكان تكوين المسلمين منهم على هذا النمط أقرب إلى المسيحية منها إلى الإسلام.

[1]- Décret n 66– 128 du 31/03/1966. Relatif à l’organisation de l’enseignement religieux les établissements scolaire.

2- من جهة أن الحكومة بعد الاستقلال، ورثت نظاما سياسيا عن الاستعمار، والذي كان بالطبع يؤيد المسيحية على سائر الأديان، باعتبارها جزءا من ثقافة المستعمرين ووسيلة أساسية لبث سيطرتهم ونفوذهم.

3- من جهة أن الحكومة بعد الاستقلال وجدت التعامل مع المؤسسات المسيحية مريحة ومفيدة، وذلك لما كان يتمتع بها المسيحيون من خبرات عالية وأنظمة فائقة ومؤسسات تعليمية وصحية مزدهرة، مما كانت تساعد الدولة في مشاريعها التنموية، وتخفف عنها عناء التكلف ببعضها، فمثلا: حينما وجدت مؤسسة تعليمية أو صحية مسيحية فإن الدولة تكتفي بدعم تلك المؤسسة وتطويرها، بدلا من أن يتكلف ببناء مؤسسة أخرى، بينما لم يكن للمسلمين مؤسسة تعليمية أو صحية ترقى إلى هذه الدرجة.

4- من جهة أن المسيحيين رغم قلة عددهم بالنسبة للمسلمين كانوا مثقفين، يمتلكون المنظمات والجمعيات في مختلف مجالات الحياة بالإضافة إلى جهة رسمية خاصة تتحدث باسمهم ومعترف بها لدى الحكومة، بينما المسلمون بحكم رفضهم إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، كانت الأغلبية المطلقة من بينهم جهالا وأميين لا يقرؤون ولا يكتبون، ولم تكن لهم جهة خاصة تتحدث باسمهم، بل ظلوا متشتتين فيما بينهم.

وهذه بعض العوامل التي يمكن تفسير انحياز الحكومة الإيفوارية بتأييدها ودعمها للمسيحية دون الإسلام وغيره من الديانات الأخرى كالوثنية، وهي إن كانت لا تصح عذرا للدولة التي كان من واجبها السعي إلى تحقيق المساواة بين الأديان، والأخذ بيد الضعيف والمحتاج حتى تستقيم الحياة فتزدهر وتتقدم الدولة بتقدم أبنائها، إلا أنها كانت تسكت المسلم وتقنعه وإن كان لحكومة اليد الطولي في تهميش الإسلام بعدم اعتدالها بين الديانتين، إلا أن الخلل الأساسي يكمن في المسلمين الذين لم يفهموا أن الدولة مستعمرة فرنسية لغتها الرسمية هي الفرنسية، وفي رؤساء الإسلام من أئمة وعلماء كانوا يرضون بالقليل الذي يهبه لهم رئيس الدولة من الهدايا والمساعدات، فيفنون أعمارهم في الدعاء له طول العمر، بل إن أكثر هؤلاء الأئمة لم يفهموا تهميش الإسلام في هذه الفترة، لما كان يقوم به الرئيس – في سبيل الحفاظ على سمعته ومكانته وتطوير علاقاته الخاصة – من مساهمة في بناء بعض المساجد والتكفل

بالنفقات الصحية لهم وأسرهم، ونفقات حجهم إلى الديار المقدسة، وتوزيع السكر في شهر رمضان، وغير ذلك من الهدايا والمساعدات التي كان يضمنها رئيس الدولة للأئمة والعلماء المشهورين، وربما هذا ما يفسر سبب سكوت المسلمين ورضاهم بالإقصاء والتهميش.

ولم يكتشف المسلمون حقيقة التميز الذي كان يهدف تهميش الإسلام والمسلمين وإبعادهم عن ركب التقدم والازدهار، إلا مع وصول الدفعات الأولى من خريجي الجامعات العربية الإسلامية إلى أرض الوطن، أمثال: الحاج الإمام أبو بكر فوفنا، والحاج الإمام تيجاني باه، والحاج محمد الأمين كابا، وغيرهم من الذين سعوا إلى إيقاظ المسلمين من سباتهم العميق، وتنبيههم على ما يجري في الواقع، عانوا من معارضة الشيوخ وكبار الأئمة، وانتهاك الحكومة وخلقها لعراقيل والمتاعب أمام المسلمين.

ثانيا: موقف النظام السياسي من الإسلام والمسيحية في ظل النظام الديمقراطي:

بعد أن اعتمد النظام الديمقراطي الحزبي كنظام سياسي في كوت ديفوار عام 1990م، انتخب السيد فيلكيس هوفيت بوانيه رئيسا للدولة، ودامت رئاسته لمدة ثلاث سنوات ابتداء من أكتوبر 1990م إلى 12/07/ 1993م.

وأثناء هذه السنوات دخلت علاقة النظام السياسي مع الأديان في مرحلة أخرى، حيث أوجبت متطلبات النظام الجديد التعامل مع الأديان على قدم المساواة، وفتحت كذلك الفرص والوسائل أمام المظلوم للطلب بتغيير النظام، وإيفاء حقوقه، ولما لم تكن الأمور تسير وفق موجبات النظام الجديد اضطرت بعض الأديان– وعلى رأسها الإسلام – إلى أن يطالبوا ببعض حقوقهم، وبينوا عدم جواز حيازة الدولة إلى ديانة معينة دون غيرها في ظل النظام اللائكي وداخل دولة الحق والقانون، وعلى هذا فتحت صفحة جديدة في تاريخ العلاقة بين الإسلام والنظام السياسي والحكام وبيان ذلك كالآتي:

وفي 11/ سبتمبر 1991م اجتمع المسلمون على تأسيس مجلس يضم جميع الأئمة على أرض الوطن، وهذا المجلس يعمل على توثيق الروابط بين الأئمة، وعلى توحيد صفوفهم

حتى يتحدثوا بصوت واحد في كل ما يخص الإسلام والمسلمين، وفعلا انتهى الاجتماع بتأسيس ما يعرف اليوم ب (المجلس الأعلى للأئمة) وهو يمثل أعلى منظمة إسلامية مقبول لدى عامة المسلمين وخاصتهم ومعترف بها من قبل سلطة الدولة.

ولما لم يكن من السهل على الشيوخ القيام بمهام الإمامة ثمّ الاعتناء بكل ما له صلة بالإسلام من قريب أو من بعيد، ونظرا لكثرة الجمعيات الإسلامية والتضارب بينها، عزم المجلس الأعلى للائمة مع بقية الجمعيات الإسلامية على تأسيس منظمة تنفيذية تحت رعاية الأئمة، لتعمل تلك المنظمة على التنسيق بين جميع الجمعيات والمنظمات الإسلامية على مساحة كوت ديفوار، ولتكون هي المؤسسة التي تتحدث باسم الإسلام في جميع المجالات سواء منها السياسة أو الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية، ولتقوم كذلك مقام المجلس الأعلى الإسلامي الذي كان المسلمون يرون من رئيسه السيد "مصطفى جابي" المشهور ب "جابي الكويت" عميلا للحكومة ضد الإسلام والمسلمين، وعلى هذا دعى المجلس الأعلى للأئمة جميع أعضائه إلى عقد مؤتمر في 1992/11/28م في المسجد الجامع بحي "أجامي" (Adjame) مدينة أبيدجان، وذلك بعد الحصول على إذن وزير الداخلية وموافقته على عقد مؤتمر، وفجأة قبل بداية أعمال المؤتمر بساعات تلقى الأئمة تنازل الوزير عن موافقته وإلغائه لعقد مؤتمر إلى أجل غير مسمى، إلا أن الأئمة أصروا على تنفيذ مؤتمرهم نظرا إلى أنهم أعدوا العدة وأحضروا الأئمة من جميع أنحاء الدولة، وأنفقوا أموالا طائلة، ولم يكن من الأمر إلا أن فوجئوا في أثناء أعمال المؤتمر بحضور القوات المسلحة لمنع عقد المؤتمر، مما ترتب عليه تعرض الأئمة للإهانة والاضطراب على أيدي القوات الأمن وهذه الصنيعة من الحكومة حركت حفيظة الأئمة الإسلامية في كوت ديفوار، وأثارت غضاضتها ضدها، وفي هذا كتبت جمعية طلبة المسلمين في كوت ديفوار في صحيفتها: (إن الهدف المقصود من السلطة في منعها هذا الاجتماع هو جعل المجتمع الإسلامي تحت مراقبة مركزة لتتمكن من مراوغته وتدليسه كما يريد، لذا تسلك هذا المسلك لتنصب على رئاسة المجتمع الإسلامي أشخاصا مستعارين، أو دمية يتلاعب بها، وهذا ما يفسره استحواذها، وسعيها لجعل المجتمع الإسلامي تحت وطأة المجلس الأعلى الإسلامي، المفوض إلى عرائس الأطفال يترأسهم رجل لا ديني ولا قانوني يدعي "جابي

مصطفى" الملقب ب "جابي كويت").[1] وعلى كل حال لم يتوقف المجلس الأعلى للأئمة عن متابعة مسارها في التصريح بالإسلام دينا حيا وغالبية بين الأديان في كوت ديفوار، وكذلك الكفاح من أجل إخراج مجلسه التنفيذي إلى حيز الوجود، إلى أن وفقه الله تعالى في سعيه، حيث حصل على الرخصة في تأسيس مجلسه برئاسة الحاج الإمام إدريس قدوس وحظي بالاعتراف من قبل الحكومة في 1993/01/09م، وقبل بعض مطالب الأئمة، حيث اعترفت الحكومة بأعياد المسلمين المتمثلة في العيدين (الفطر والأضحى) وصبيحة ليلة القدر والمولد النبوي الشريف أعياداً رسمية للدولة مثل أعياد المسيحيين، وكانت هذه المناسبة مناسبة فرح وبهجة وسرور للأئمة في كوت ديفوار.[2]

ثالثا: التعامل بين المسلمين والمسيحيين أيام "فيلكيس هوفيت بوانيه"

قد عرفت العلاقات الإسلامية المسيحية أيام الرئيس فيلكيس هوفيه بوانيه تغيرات في بعض مظاهرها، حيث كان الاستقلال وتسليم زمام السياسة إلى أحد أبنائها دفعة قوية لتنبيه ضمائر المسؤولين – وخاصة المسلمين والمسيحيين – رغم اختلافهم كانوا مجبرين على أن يعيشوا ويتعاملوا جنبا إلى جنب داخل الوطن الذي ينتسبون إليه جميعا، كما أن استقرار الدولة وتقدمها كان مرهونا باستقرارهم وتجاوزهم للمآسي التاريخية بينهم، وحسن تدبيرهم لخلافاتهم، وعلى هذا بدأت صيحات التقارب والتسامح تطرح من هنا وهناك داعية إلى طمس التنافر والكراهية وحالات الحذر التي غرستها سياسة الاستعمار بين المسلمين والمسيحيين، وإلى خلق ألفة واحترام وثقة متبادلة فيما بينهم حتى تعم السلام والوئام فتستقر الأوضاع وتهيئ المجالات لخدمة والتطور والازدهار.

وكان من حسن الحظ أن صادفت هذه الصيحات نداء الفاتيكان الثاني في عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين إلى السلام والمصالحة بين الكنيسة والديانات الأخرى كالإسلام واليهودية

[1]- Plume Libre. N 92. Journal de l'association des élevés et étudiants de côte d'ivoire.
[2]- Plume Libre. N 92. Journal de l'association des élevés et étudiants de côte d'ivoire.

على وجه الخصوص، فتحولت تلك الصيحات إلى حركات دينية وسياسية تولدت منها لجنة خاصة للحوار الإسلامي المسيحي، وهذه اللجنة كان لها أدوار في محاولة التقريب بين الإسلام والمسيحية وإيجاد علاقات ودية طيبة بين معتنقي الديانتين، ونظرا لأهمية الأهداف الظاهرة التي من أجلها كونت هذه اللجنة، لنرى سويا أيها القارئ العزيز حياة هذه اللجنة من خلال كيفية نشأتها وأهدافها ومدى تأثيرها على مسار التعامل السلمي بين الديانتين:

1- نشأة لجنة الحوار الإسلامي المسيحي في كوت ديفوار:

قد اقتضت طبيعة المجتمع الإيفواري المكون من المسلمين والمسيحيين ضرورة إيجاد لجنة خاصة تعمل على تحسين العلاقة بين المسلمين من أجل توثيق عرى التعامل السلمي الذي كان تعرفه الديانات التقليدية، وبالفعل تحققت نشأة اللجنة في 1970/10/20م وفي هذا يحكي الإمام تيجاني باه أحد أعضاء اللجنة عن نشأتها قائلا:

ترجع البوادر الأولى لنشأة لجنة الحوار الإسلامي المسيحي إلى:

– ما جاء في البيان الصادر عن الفاتيكان الثاني عام 1962م أيام البابا يوحنا الثالث والعشرين: (وأيضا تعترف كنيسة المسيح جميع المؤمنين وكل أبناء إبراهيم عليه السلام حسب انتماء العقيدة التي تضمنه رسالة هذا الرسول إلى العقيدة الإبراهيمية، لنقل بداية المسلمين الذين يعبدون إلها واحدا، والذين هم أقرب إلينا في المفهوم الديني وفي العلاقات الثقافية والإنسانية الكبرى)[1].

– وبعد هذا البيان الفاتيكاني بنحو سنة انعقد عام 1963م اجتماع الكنائس الإنغليكانية بمدينة "تورينو" ونتج عن هذا الاجتماع بيان إنغليكاني قرأه كارول ماكس وارين على مسامع الناس عقب الاجتماع، وكان مما جاء في البيان: (إن الله تعالى أوحى إلى رسله بطرق مختلفة ومتنوعة، فعلى هذا يجب أن نكون شجعانين وصريحين في مواجهة الاعتراف بأن الله تعالى هو الذي أوحى فوق قمة الجبل خارج مكة).[2]

[1] - L'homme et l'érudit. C ; F Concile Ocuménie Vatican Editions du centurion paris. 1967. p: 107.
[2]- Ibid. p : 109.

وبدأت كلمة الحوار الإسلامي المسيحي انطلاقا من هذه المبادرات الإصلاحية من موقف الأمة الإسلامية تجاهها، تطرح بشكل ملحوظ بين الأديان السماوية على مستوى إفريقيا الغربية عامة وكوت ديفوار خاصة، إلى أن جاءت من توجيهات الفاتيكان إلى الأساقفة في إفريقيا الحث على تأسيس مؤسسات خاصة للحوار الإسلامي المسيحي، تعمل على نشر ثقافة التسامح والاحترام المتبادل بين الديانتين.

وانطلاقا من هذه التوجيهات الفاتيكانية أنشأت المنظمة الكنيسة الإقليمية لإفريقيا الغربية الفرنكوفونية (Conférence Episcopale régional d'Afrique de l'ouest) لجنة إقليمية للحوار الإسلامي المسيحي ولتعمل هذه اللجنة الإقليمية على إيجاد علاقات طيبة بين المسلمين والمسيحيين، وتتكلف اللجنة كذلك بالتفكير والتخطيط في سبيل تحقيق لقاءات إسلامية مسيحية، كما تساعد الجماعات المسيحية في انفتاحهم على المسلمين ونسج علاقات ودية معهم.[1]

وبناء على توصية هذه اللجنة الإقليمية في إحدى مؤتمراتها بإنشاء لجان وطنية في جميع دول إفريقيا الغربية عزم أساقفة كوت ديفوار على تأسيس لجنة للحوار الإسلامي المسيحي، وفي هذا يقول الأب "غينيولي " (père Gwenole) : (كانت البداية في عام 1969م حين طلب مني رئيس الأساقفة بكوت ديفوار "المونسنير برنارد ياغو" أن أشتغل على علاقات الكنيسة مع المسلمين، ولما لم يكن لي لأرفض طلبا منه استجبت لندائه، وبدأت أشتغل على اختيار الأعضاء من المسيحيين الذين وجدت فيهم استعدادا على قبول هذا المشروع.

وفي عام 1970/10/20م تم تأسيس الجانب المسيحي الذي كان يتكون في معظمه من المسيحيين الأوروبيين، ثمّ عمل هؤلاء الأعضاء على استدعاء من يثقون بهم من المسلمين، ويجدون عندهم قابلية الانفتاح على المسيحية والمسيحيين، لكي يشاركوا في تطوير هذا المشروع وتوجيهه، وعلى هذا تكونت لجنة الحوار الإسلامي المسيحي وكان من أهم رجالها:

[1]- Pr / Josef L'Islam en Afrique au sud du Sahara. p: 147.

أ- الجانب المسيحي:

1- الأب "غينيولي زيزيت" رئيسا للجنة ومنسقا لأعمالها.

2- جان فرانسوا ديفور (Jean François Dufour)

3- الأخت سيزان بيرين (Sœur Suzanne Perrine)

4- لابي سيمون أتسين (L'abbé Siméon Atsain)

5- بيير تريشي (Pierre Triechet)

ب- الجانب الإسلامي:

1- الشيخ الحاج أبوبكر ساكو، عميد اللجنة، ورئيسا للجانب الإسلامي.

2- السيدي سيسي ألفا (Mr Cisse Alpha)

3- الإمام تيجاني باه.

4- الحاج الشيخ أمادو همباتي باه (El hadj Amadou Ham pâte ba)[1]

ويمكن الاستخلاص من هذه النشأة والتكوين:

أ- أن المبادرة إلى تأسيس اللجنة كانت من طرف المسيحيين من الفاتيكان أولا، ثمّ منظمة القساوسة في إفريقيا الغربية، ثمّ أساقفة الدولة، ثمّ اللجنة.

ب- أن معظم أعضاء الجانب المسيحي–إن لم يكن جميعهم- كانوا من المسيحيين الأوروبيين.

ج- أن الجانب الإسلامي تمّ اختيار أعضائها من قبل المسيحيين.

[1]- Danielle Raymond. Ami de Dieu et notre ami. p: 41.

2- أهداف اللجنـة:

فيما يتعلق بأهداف اللجنة فإنه يمكن استخلاصها من خلال مقولات الأب: غينيولي زيزت، رئيس اللجنة، وكذلك الشيخ الحاج أبو بكر ساكو شيخ اللجنة ورئيس الجانب الإسلامي في الآتي:

يقول السيد غينيولي في إحدى اللقاءات الصحافية حين سئل عن الهدف الأساسي وراء أعمال اللجنة (إن الهدف الأساسي لأنشطتنا وأعمالنا داخل هذه اللجنة هو التعارف والصداقة والاحترام المتبادل بين المسلمين والمسيحيين، وهذا ليس بصفتنا أشخاصا معينين، ولكن جماعات دينية).[1]

ويقول الشيخ الحاج أبو بكر ساكو: (.. وحسب روح حركتنا هذه للحوار الإسلامي المسيحي فإنه ينبغي أن توجد في الواقع علاقة أخوية، والتعاون على الأساس بين الأديان السماوية، فمستقبلنا يتعلق تفاهمنا.. أليس من المهم اليوم القيام باختبار الطاقات للبحث عما تبقى من آليات التفاهم؟ أو ليس من الواجب أن تضم الأفكار بعضها إلى بعض لنرى إمكانية الانطلاق منها لبناء جسر روحي بين المسلمين والمسيحيين الذي أصبح من المحتوم أن يعيشوا جنبا إلى جنب تعايشا سليما على أسس صلبة ومتينة من الحوار البناء).[2]

ومن خلال هذه المقولتين يمكن استخلاص مجموعة من الأهداف التي كانت لجنة الحوار الإسلامي المسيحي تسعى إلى تحقيقها في الآتي:

1- تحقيق التعارف بين معتنقي الديانتين.

2- إيجاد علاقات ودية وأخوية وحسن تفاهم بينهما.

3- التعاون على خدمة المصالح المشتركة مع تجاوز الفروق والخلافات الطائفية.

4- العمل على نشر السلام وثقافة الحوار المثمر بين المتدينين

[1]- Pierre Trichet- Relation Islam – Chrétienne n 47 mai. p:12.
[2]- Danielle Raymond. Ami de Dieu et notre ami. p: 70.

3- نماذج من أنشطة اللجنة:

وضعت لجنة الحوار الإسلامي المسيحي مجموعة من الأنشطة التي –حسب تقديرها– ستؤدي إلى تعارف وتقارب بين معتنقي الديانتين، وإلى إيجاد ثقة واحترام متبادلين بينهما، حتى يتبين لكل واحد أن الطرف المخالف له في عقيدته لا يمثل عداوة، بل هو أخوه في الإنسانية، وصديقه في الصحبة، وجاره في المواطنة، فالخير كل الخير في اتفاقهما وتعاونهما على تحقيق العيش الرغد والسليم للجميع، والشر كله في أن يختلفا ويتنازعان فتكون عاقبتهما الخسران المبين.

وكان من أهم هذه الأنشطة:

1- تنظيم اللقاءات بين المسلمين والمسيحيين من مختلف فئات المجتمع:

كانت هذه اللقاءات من أهم أنشطة اللجنة وأكثرها مداولة، وذلك باعتبارها أهم وأيسر وسيلة للتقارب والتعارف وخلق ألفة وصداقة بين الطرفين، فكانت اللجنة تسعى إلى تنظيمها أحيانا بين الشبان أو الطلبة أو الأطفال أو النساء أو الموظفين من الجهتين، وعلى العموم يمكن تصنيف هذه اللقاءات حسب اتجاهاتها والأعضاء المكونة لها إلى ثلاثة أصناف:

أ- لقاءات مسيحية:

وهي اللقاءات التي كان ينظمها الطرف المسيحي فيما بين المسيحيين قصد تثقيفهم في انفتاحهم على المسلمين، وقصد تبادل الآراء ودراسة الأوضاع والمواقف التي ينبغي اتخاذها في الحوار مع المسلمين، كما كان أعضاء الجانب المسيحي يجتمعون مرة في كل شهر من أجل تكوين أنفسهم واستطلاع أخبار الحوار الإسلامي المسيحي على الساحة العالمية.[1]

ب- لقاءات إسلامية:

وهي اللقاءات التي كان ينظمها الجانب الإسلامي فيما بينهم قصد تكوين أنفسهم أولا في فهم الإسلام، وفهم المسيحية، وكانوا يلتقون مرة في كل شهر.

[1]- Danielle Raymond. Ami de Dieu et notre ami. p: 75.

ج- لقاءات إسلامية مسيحية:

وهي اللقاءات التي كانت تنظمها اللجنة بين الجهتين، وذلك إما لاجتماع أو محاضرة أو مأدبة أو زيارة أو غير ذلك، ومن أمثلة على هذه اللقاءات:

أ- الاجتماع الأول بين أعضاء اللجنة الذي انعقد عند الأخ "جان فونسوا ديفو" والذي تم خلاله رسم الأسس والضوابط التي ينطلق منها الحوار قصد الحفاظ على النظام واجتناب الصدام بين الديانتين، ولذا تم الاتفاق على اجتناب الموضوعات الحساسة التي تثير غضب الآخر ولا تخدم أهداف الحوار واستمراريته.

ب- وفي عام 1977م نظمت اللجنة لقاء بين المسلمين والمسيحيين من أعضاء الأسر المخلطة أي: المتكونة من المسلمين والمسيحيين، وذلك لمناقشة الإيجابيات والسلبيات والإشكاليات حول الزواج المختلط بين الطرفين.

ج- وفي 1976/03/12م استقبل السيد ألفا سيسي مجموعة من الحاجات المسلمات والمسيحيات قصد تبادل ثقافي حول الحج وشعائره في الديانتين، فالحاجات المسلمات تحدثن عن مكة والمدينة المنورة، وعن مناسك الحج وطريقة أدائه، والمسيحيات كذلك تحدثن عن الروم، وجيروزاليم وما تحتويانه من شعائر ومقدسات عند المسيحيين.

د- وفي شهر ماي عام 1985م عقدت أعضاء اللجنة في حي كوكودي (Cocody) اجتماعا خاصا لدراسة طريقة تحقيق بعض المشاريع المشتركة بين الجهتين في مجال التربية والتعليم والاجتماع والصحة وغيرها.[1]

إلى غير ذلك من اللقاءات الكبيرة التي كانت اللجنة تنظمها بين الفينة والأخرى.

[1]- د/ يونس توري، الفرق الدينية في ساحل العاج، ص: 345.

2- تنظيم المحاضرات والندوات:

كانت اللجنة إلى جانب تنظيم اللقاءات تشتغل بتنظيم المحاضرات والندوات والطاولات المستديرة حول مختلف الموضوعات بين المسلمين والمسيحيين، واستشهادا على ذلك يمكن الإشارة إلى أهم ما سجلته في هذا المجال في الآتي:

أ- محاضرة الشيخ أمادو همباتي باه: وهي التي ألقاها الشيخ ب"نيامي" النيجر (Niamey-Niger) في المؤتمر الرابع لأعمال اللجنة الإقليمية على مستوى إفريقيا الغربية، والتي حظيت بتقدير ملحوظ في الأوساط المسيحية، حيث تم نشرها فيما بعد في كتاب يحمل العنوان (Jésus vu par un musulman).

ب- محاضرة الشيخ الإمام تيجاني باه حول (موقف الإسلام من المسيحية) والتي ألقاها الإمام في ندوة دينية منظمة من قبل مجموعة من البروتستانت، وهي كذلك حظيت بقبول فائق لدى معظم المشاركين في أعمال الندوة، وخاصة كبار الشخصيات الحكومية مما حمل الصحف والمجلات الوطنية على الحديث عنها باعتبارها منطلقا أساسيا لدعم التفاهم والتعاون بين الديانتين.

ج- وفي مناسبة زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للدولة عام 1980م نظمت اللجنة طاولة مستديرة بين مجموعة من المسلمين والمسيحيين حول موضوع "الإمارة في المسيحية وفي الإسلام" تمّ نشرها على شاشة التلفزة الوطنية.

د- وفي عام 1980/01/20م كذلك ألقى مسيحي مصري من الأقباط محاضرة أعقبت المحاضرة بمناقشة حارة شارك فيها معظم أعضاء اللجنة إلى غير ذلك من المحاضرات والندوات والعروض الكثيرة التي نظمها اللجنة في إطار أنشطتها.

3- المنشورات:

كانت اللجنة تعمل أيضا على نشر بعض أنشطتها من أجل تعميم الفائدة وإعطاء يقظة لأعضائها، وصورة لاستجلاب المثقفين إلى المشاركة في أنشطتها، وكان من أهم الوسائل التي اعتمدت عليها اللجنة في نشر أفكارها وأنشطتها:

أ- مجلة "علاقات إسلامية مسيحية (Relation Islamo Chrétienne) وهي مجلة خاصة لأنشطة اللجنة، كانت تصدر في كل ثلاثة أشهر، مع بعض الأعداد الخاصة صدر أول عددها عام 1974م باسم "كشف التواصل" (Bulletin de liaison) ودامت مع هذه التسمية حتى عام 1981م، حيث غيرت تسميتها إلى "علاقات إسلامية مسيحية" وذلك في عددها الرابع والعشرين.[1]

ب- بعض المؤلفات التي نشرها أو نشرت باسم اللجنة أو بتشجيعها ومن الأمثلة على ذلك :

كتاب "عيسى في وجهة نظر الإسلام" (Jésus Vu par un Musulman) الذي في أصله عبارة عن محاضرة الشيخ أمادو همباتي باه. وكتاب "صديق الله وصديقنا الحاج بوبكر ساكو" (Ami de dieu et notres ami hadj Boubacar Sakho) وهو عبارة عن حياة الشيخ وجهوده في مجال الحوار والتقريب بين المسلمين والمسيحيين، وقد قام بجمع مواده الشيخ/ الأب غينيولي، والأستاذ/ ديموندا دانيال، اللذان كانت تجمع بينهما وبين الشيخ علاقات حميمة فريدة في نوعها تعبر عن المثال الحي للتعامل السلمي الإسلامي المسيحي الذي تسعى المجتمعات المزدوجة اليوم إلى تحقيقه بين أفرادها، والأمر الذي حمل الأستاذين على جمع مواد هذا الكتاب ونشره بعد وفاة الشيخ تخليدا لذكره وطريقته الفريدة في تدبير التعايش والتعامل السلمي بين المسلم والمسيحي.[2]

[1]- Relation Islamo- Chrétienne n 45. p: 23.
[2]- Ibid. p: 30.

4- تبادل الزيارات:

كانت اللجنة تشجع أعضاءها على تبادل الزيارات كما كانت تشجع المسيحيين والمسلمين على بناء علاقات ودية وشخصية فيما بينهم، وذلك باعتبار الزيارة عمدة قويمة في إنشاء علاقات الأخوة والصداقة، والشواهد على هذه الزيارات كثيرة ومتنوعة، فغالب رؤساء الكنائس في المدن والقرى يقومون بزيارة إمام المسجد الجامع حينما يحلون بها لخدمة دينهم، كما يحضرون صلاة العيدين لتقديم تهانيهم إلى الإمام والأمة الإسلامية، وليبينوا أننا وإن اختلفنا في العقيدة أو في الدين فإن رابطة الإنسانية ثمّ الوطنية تجمعنا، وإذا كان الله تعالى في عظمته وقدرته قد اختارنا للتساكن والتجاور والانتساب إلى الوطن الواحد فإن ذلك ليس للصدفة أو التجاهل، وإنما لنتعارف ونتسامح ونتعاون في الحياة، فعلى هذا يعتبر عيد المسلمين وفرحهم وسروهم عيدا وفرحا وسروا للمسيحيين والعكس كذلك أيضا.[1]

هذه نبذة يسيرة عن الأنشطة التي كانت اللجنة تسير وفقها لتحقيق أهدافها، وخلال هذه المسيرة عرفت اللجنة فترات صعبة حيث لم تكن حماسة الأعضاء قوية في كل وقت وحين، إضافة إلى المعارضة القوية التي كانت تعاني منها من كلا الطرفين، ومع كل هذا صمدت اللجنة في القيام بأنشطتها، ولم يعتريها فتور ولا اضمحلال إلا حينما بدأت تفتقد كبار المتحمسين من أعضائها، من مغادرة جان فرانسو لكوت ديفوار، ثم وفاته عام 1984م، ثم مغادرة الأخت سيزان بيرين إلى فرنسا، كل هذه العوامل وغيرها دعت إلى ضعف اللجنة وقلة نشاطها حتى توقفت نشاطها مع عام 1990م.[2]

[1] -L'abbé dénis Yacouba. Possibilité de diadoque entre musulmans et chrétiennes en côte d'ivoire. P : 39.
[2] -L'homme et L'érudit. P: 109.

4- مدى تأثير اللجنة في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين:

بعد الوقوف على حياة اللجنة من حيث النشأة والأهداف والأنشطة فإنه من الجدير اختتام الحديث بدراسة تقييمية لأعمال اللجنة، وذلك قصد بيان الايجابيات التي حققتها وجوانب النقصان التي لو تجوزت –حسب تقديري– في عمل اللجنة لجاءت نتيجة أعمالها أحسن بكثير مما توقفت عندها، وليكون هذا التقييم نبراسا لكل ذي همة ينوي السلوك مسلك اللجنة.

1- من إيجابيات اللجنة:

قد تمكنت من تحقيق ما كانت تسعى إليه، حيث استطاعت أن تبين فعلا للمسيحيين مفهوم الإسلام وطريقة تطبيقه عند مسلمي كوت ديفوار، كما تمكنت من إزالة بعض الأحكام المسبقة عند كثير من الناس، وخاصة الطبقات المثقفة من كلا الطرفين، وكذلك نبهت العقول على إمكانية الحوار بين الإسلام والمسيحية، وعلى تحقيق تعامل سلمي مبني على الاعتراف والاحترام والمودة، ويكفي دليلا على ذلك علاقة الشيخ أبي ساكو مع أصدقائه المسيحيين، وخاصة السيد غينيولي، والأستاذ ريموند، والأخت سيزان، وكذلك علاقة الإمام تيجاني باه مع كل من الكاردينال برنارد باغو، وبعده الكاردينال برناد، وأخيرا علاقة السيد سيسي ألفا مع السيد فرانسو ديفو وغيرهم، حيث كانت كل واحدة من هذه العلاقات نموذجا حيا على إمكانية التعامل مع الغير، وبناء العلاقات والإخوة مع احتفاظ الكل بهويته الدينية.

ويضاف إلى هذا كله أن اللجنة تمكنت من إعطاء الاعتبار للطالب أو التلميذ المسلم في المؤسسات المسيحية حيث أصبح معفى من إلزامية متابعة الدروس الدينية المسيحية، بفضل جهودها خصصت بعض المؤسسات التعليمية المسيحية دروسا تكوينيه في دين الإسلام للطالب المسلم يقودها بعض الأساتذة المسلمين.[1]

[1]- L'abbé dénis Yacouba . Possibilité de diadoque entre musulmans et chrétiennes en côte d'ivoire. P : 41.

2- من جوانب النقصان:

أ- اعتماد اللجنة على المسيحيين:

صحيح أن المسيحية كانوا أول من بادر إلى تأسيس اللجنة، ولكنه بعد التأسيس وتكوين الجانب الإسلامي كان ينبغي أن يكون مهام اللجنة بين المسلمين والمسيحين متساوية من حيث التمويل والإدارة والإشراف وغير ذلك، إلا أنه لم يكن للمسلمين شيء من هذا القبيل سوى دور التمثيل الشرفي، وذلك نظرا إلى أن الضرورة تقتضي تكوين اللجنة من ممثلي الطرفين، بينما كانت حركات اللجنة كلها على عاتق المسيحية، فهم الذين يمولون ويشرفون على مجلتها، ويخططون حسب ما تمليه عليهم الكنيسة أو اللجنة الإقليمية للحوار الإسلامي المسيحي.

ب- الاعتماد على الطاقات الأوروبية:

أهملت اللجنة الطاقات الوطنية في مجال الحوار، واعتمدت على الطاقات الأوروبية في حسن تدبير شؤونها وتسيير وفق المسار المرسوم أو المخطط لها من قبل الفاتيكان، بينما كان بإمكانها الاستفادة من خبرات هؤلاء الأوروبيين مع الاعتماد على الطاقات الوطنية، الأمر الذي اشتكى منه الإمام أبو بكر فوفانا عندما كان يشتغل موظفا في إحدى بنوك مدينة بواكي، من عدم وجود من يتحاور معه من إخوانه المسيحيين الإيفواريين، حيث عبر عن تضايقه خلال نشره في صحيفة "الإرساليات" في كونه لا يحاور إلا مع الأوروبيين، وأن غيرهم من المحليين لا يستجيبون لدعوته.[1]

وربما هذا وهو السبب في ضعف نشاط اللجنة وقلة مردوديتها بعد ذهاب هؤلاء الأوروبيين.

[1]- Imam Mamadou Dosso. Diadoque Inter religieux : promesse de paix pour cote d'ivoire. P : 4.

ج- عدم الاعتدال في الموضوعات المتداولة:

كانت معظم الموضوعات المتداولة في اللقاءات بين المسلمين والمسيحيين، وكذلك المنشورات في مجلة اللجنة تدور حول الإسلام والمسلمين، كما كان معظمها من الموضوعات المثيرة للقلق والشكوك حول بعض المواقف الدينية تجاه بعض القضايا، مثل منع زواج المسيحي بالمسلمة، وتعدد الزوجات، والردة والمرأة في الإسلام وغيرها، وأكثر من ذلك أن الذين يمثلون المسلمين ويتحدثون باسم الإسلام في معظم هذه اللقاءات، ليس لهم رصيد معرفي ديني يمكنهم من بيان موقف الإسلام في مثل هذه القضايا كما يريده الإسلام والمسلمين، بل إن أكثر أعضاء الجانب الإسلامي في اللجنة كانوا من الموظفين المسلمين الذي كانت لهم علاقة طيبة مع بعض المسيحيين، الأمر الذي سهل اختيارهم لتمثيل المسلمين.

وهذا ما زاد تخوف المسلمين من شأن اللجنة من أن يكون وراءها وجه خفي يسعى إلى تنصير المسلمين باسم الحوار، وربما لهذا سبب طرح أحد الصحافيين على رئيس اللجنة الأب غينيولي قائلا: هل تريدون تنصير المسلمين من خلال أعمال اللجنة؟ فأجاب قائلا: (إنما نريد إقناع المسيحيين، لا اعتناق الإسلام طبعا، ولكن على أن يكونوا مسيحيين حقيقيين، وأن يكونوا أكثر إنسانية وأخوية تجاه جميع البشر كما يدعو إليه الفاتيكان الثاني، فأول ما يشغلنا من خلال هذه اللجنة هو البيان للمسيحيين أن من واجبهم الديني حب الآخر والتقرب إليه والسعي إلى اكتساب مودته وصداقته، فإذا كان الله –عزوجل– قد منّ علينا بأن وضعنا إلى جانب هذه المجموعة المهمة من المسلمين فليس لنتجاهل أو نتغافل عنهم، ولكن لنتعارف فيما بيننا، ولنعمق عقيدتنا وتديننا من خلال رؤية الغير ونظره إليها، فالأسئلة والشهادات التي تطرح إلينا من قبل المسلمين تدعونا إلى مراجعة أنفسنا، وإلى تجديد إيماننا نكون مسيحيين حقيقيين).[1]

وربما سعيا إلى تحقيق مضمون هذه الإجابة كانت معظم الموضوعات التي تدور حول الإسلام والمسلمين قصد تعريف المسيحي بالإسلام، والأمر الذي أساء إلى اللجنة أكثر، إذ أعطى مصداقية لبعض المعارضين لها، أمثال عبد الرحمن كوني حين قال: (لقد كانت لجنة

[1]- Relation Islam Chrétiennes n 47. p: 12.

الحوار الإسلامي المسيحي باب تجسس على الإسلام والمسلمين في كوت ديفوار، ولأدل على ذلك من أعمال اللجنة وأنشطتها وما ينشر في مجلتها، فالموضوعات المطروحة رغم كون معظمها حساسة بالنسبة للمسلمين لا يمثل الإسلام في مناقشتها إلا من تأتى إجابته وفق ما يريده المسيحيون).[1] ومع كون هذه العوامل وغيرها قد أثرت سلبا على نتيجة أعمال اللجنة وضعف تأثيرها في المجتمع، إلا أنها استطاعت أن تترك لنا صفحات من الخيرات يتطلب المحافظة والاعتماد عليها لبناء مستقبل مشرق بين المسلمين والمسيحيين.

وعلى كل حال عرفت العلاقة بين الإسلام والمسيحية أيام الرئيس فليكس هوفويت بوانيه هدوء واستقرارا، وحالة فضلى بكثير مما كان عليه الأمر أيام الاستعمار، حيث ازدادت خلالها روابط القرابة والمصاهرة والتضامن بين معتنقي الديانتين، بل إن الإسلام والمسيحية عاشا فترات ذهبية لم يعرفا لها مثيل بعد الرئيس بوانيه، ومع هذا الاستقرار لم تكن النفوس خالية من التخوف على مستقبل التعامل السلمي بين المسلمين والمسيحيين، حيث بدأ المسلمون يسعون إلى مراكز القيادة التي كانت حكرا على المسيحيين بسبب إعراض المسلمين عن الثقافة الغربية أيام الاستعمار، وفي هذا يصرح السيد "غوث وتارا" – أحد المسلمين البرلمانيين – لمحمد العبودي في أثناء زيارته مع وفد من المملكة العربية السعودية عام 1982م قائلا: (إننا نخاف أن يحدث هنا في المستقبل ما حدث في لبنان، فالمسيحيون أقلية وهم المتعلمون بيدهم الآن الوظائف والأعمال، وتبلغ نسبتهم 28% والمسلمون هم الأكثر عددا ولكنهم أقل حظا في الوظائف والأعمال الحكومية بسبب عدم تعليمهم، وإذا سارت الأمور في المستقبل كما تسير عليه الآن فإن نسبة المسلمين ستبلغ 60% بعد عشر سنوات، والأولاد سيكونون أكثر تعلما وبالتالي: يريدون المشاركة في الأعمال والوظائف مما قد يؤثر على المسيحيين الذين يدافعون عن مراكزهم فيحصل الصدام).[2]

[1]- Relation Islam Chrétiennes n 47. p : 20.

[2]- كوني عبد الرحمن الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 180.

وهذا التخوف على مستقبل التعامل بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار بقدر ما كان يقلق المسلمين، وكان يقلق المسيحيين أكثر، حيث كانوا يدركون أن فقدان السلطة من أيديهم يعني الخسارة في الصراع مع المسلمين، وبالتالي إذا كان نظام الحزب الموحد يعطي السلطة المطلقة لرئيس الدولة، ويمنع المسلمين من الإلحاح في المطالبة، فإن النظام الديمقراطي سيفتح أبواب المطالبة لا بحقوقهم فحسب، ولكن بالاعتلاء على كرسي رئاسة الدولة، وهكذا أخذ التخوف مسار التعامل يزداد شيئا فشيئا مع قرب نهاية أيام الرئيس بوانيه حتى وفاته سنة 1993م.[1]

[1]- كوني عبد الرحمن الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 182.

المبحث الرابع: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي أيام الرئيس "هانري كونان بيديه"

(Hanri Konan Bedié) 1993-1999

بعد وفاة الرئيس فليكس هوفويت بوانيه تولى السيد هانري كونان بيديه رئاسة الدولة وذلك في: 1993/12/07م كما ينص عليه الدستور[1] ودامت مدة رئاسته ست سنوات تقريبا، تحطم خلالها الواجهة السياسية التي كانت بين الأديان والنظام السياسي في عهد سابقه، وذلك بتدهور العلاقة بين الأديان والنظام السياسي، وخاصة الإسلام، فما السبب في ذلك ؟

إن سبب تدهور العلاقة بين النظام السياسي والأديان يرجع إلى عدة عوامل من أهمها:

1- الأزمات النائمة:

في أيام الرئيس الراحل هوفيت بوانيه كانت هناك عدة أزمات قائمة بين بعض فئات المجتمع، تكفي شرارة كل واحدة منها لإضرام نيران الفتنة بين أصحابها، وهذه الأزمات كانت أولا: بين القبائل الجنوبية من جهة، وبين الجنوبيين والشماليين من جهة أخرى، وثانيا: بين الوافدين والسكان الأصليين في بعض المناطق، وثالثا: بين الإسلام والمسيحية، ولكنه للأسف لم تتم مواجهتها لحسمها ووضع الحد لها، بل فقط تم تنويمها وإخفاؤها عن الناس بسبب سياسة الرئيس بوانيه، ولما تولى الرئيس بيديه السلطة أدرك هذه الأزمات قائمة تنتظر منه حلولا مناسبة ومرضية من جميع الأطراف، فيتم بذلك حسمها، ولكن سياسة نظام السيد بيديه انحازت إلى طرف دون آخر، فجاءت حلوله غير مرضية، والأمر الذي بسببه فقدت حكومته ثقتها ووزنها، وبهذا بدأت أمواج الاضطرابات تتلاطم بين تلك الأطراف.

[1]- كان دستور الدولة ينص على أنه في حالة عجز أو استقالة أو وفاة الرئيس يقوم بأعمال الرئاسة الجمهورية بالوكالة، رئيس البرلمان إلى حين انتهاء مدة رئاسة الرئيس.

2- مشكلة الأراضي الزراعية:

من المعلوم أنه إثر اكتشاف المستعمر الفرنسي للثروات الطبيعية في كوت ديفوار استقدم إليها الأيدي العاملة من الدول المجاورة، وخاصة من بوركينا فاسوا ومالي حيث كانت السكك الحديدية بين الدولتين عاملا مهما لهذا الغرض، وكان هؤلاء العمال الوافدون نواة ازدهار الدولة، إذ هم الذين حولوا الغابات الكثيفة والأدغال الوعرة إلى جنان مثمرة وحدائق خضراء تتفيأ خيراتها بين أبناء الدولة الذين يعيشون في بحبوبة رغيدة، وإذا كان كوت ديفوار يحتل اليوم المركز الأول في تصدير البن (القهوة) والكاو أمام كل من البرازيل وغانا وغيرهما من الأسواق العالمية، والمركز الثالث في تصدير الموز والأناناس والأخشاب، فإن الفضل في ذلك يرجع إلى هؤلاء العمال الوافدين الذين انتهج الرئيس هوفيت بوانيه معهم سياسة متزنة في تشجيعهم على العمل والإنتاج، فقد كان يقول لهم دوما: (إن اقتصاد البلاد يرتكز على الزراعة، وأن الأرض ملك لمن يحييها)[1] كما اتبع سياسة الحياد فيما كان يجري بين هؤلاء الوافدين والسكان الأصليين، والأمر الذي ساعد على نشر السلام والأمن والاستقرار حتى حسب الناس أن جرس الإدماج بين الطوائف قد رنّ، وبهذا عرفت الدولة خلال العقود الثلاثة الأولى بعد الاستقلال نوعا من الرخاء وصار يجذب إليه المستثمرون والعمال من كل مكان.

وفي أيام الرئيس بيديه حين طرحت مشكلة المزارع التي يسعى السكان الأصليون إلى استرجاعها بعد بيعهم لها أو بيع آبائهم لها للوافدين، لم تتوان حكومة بيديه عن إصدار أوامرها لسحب تلك المزارع من أصحابها بحجة أنهم وإن كانوا قد امتلكوها بطريقة شرعية ومع الشواهد الرسمية عليها إلا أنها ليست محفظة مما يعطي الحكومة حق سحبها، ولم تقتصر سياسة حكومة بيديه على سحب أملاك هؤلاء العمال، بل رغم استفادتهم بالجنسية الايفوارية، بحكم تواجد آبائهم على أرض كوت ديفوار منذ عهد الاستعمار، أو بحكم ولادتهم من أحد أبوين إيفواريين خلقت لهم مضايقات من مكان، وأرغمهم على الرجوع إلى بلدهم الأصلي الذي لم يبق لهم معارف، ملغيا جنسيتهم، وفي هذا صرح السيد بيير كيبري أحد وزراء حكومة بيديه في ذلك

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 52.

الوقت قائلا: (إن الجنسية ليست ضمانا للأجنبي إذا لم يبذل جهدا ليتكلم ويأكل ويشرب مثلا لإيفواري الأصيل. فالجنسية لا تعادل إلا بطاقتك الشخصية)[1] أي: أن الجنسية تابعة لشخصية حاملها، فإذا كانت تصرفات حاملها ومكونات شخصية موافقة لما للإيفوري الأصيل كانت الجنسية صحيحة وإلا فهي ملغاة.

ولا شك أن صدور هذا الأمر في مثل هذه الرتبة الوظيفية وهذه الدرجة من الثقافة العالية تجاه الرجل والحكومة التي هي عضو فيها من عنصرية وعرقية وقبلية وغيرها، لذا لم يتأخر تعليق أحد سكان مدينة أبيدجان على مقولته هذه قائلا: (الإنسان الإيفواري هو كل من أسهم بالسخرة في نماء كوت ديفوار بعرق جبينه في مزارع القهوة والكاكا، وهو كل من خلقت سراويله جراء جلوسه على مقاد المكاتب في تسيير الإدارة).[2]

ولما كان معظم هؤلاء العمال مسلمين، لم يستسغوا هذه التصرفات من قبل الحكومة، فسعوا إلى البيان أن هذه الأراضي المسحوبة ملك لهؤلاء العمال، فأجدادهم اشتروها منذ أيام الاستعمار وحولوها إلى مزارع منتجة، وعندهم الوثائق الرسمية على امتلاكها، فكيف تسحب اليوم من أبنائهم أو أحفادهم بحجة أنها غير محفظة، وهل قانون التحفيظ العقاري خاص بأملاك الذين تشك الحكومة في هويتهم وجنسيتهم؟ ولماذا لم تسحب المزارع الأخرى غير المحفظة من أصحابها؟ بل كيف يطرد من كوت ديفوار من ولد ونشأ وترعرع في هذه الدولة؟

3- سياسة الإيفوارية: (Politique de L'ivoirité)

لم تتوقف سياسة حكومة بيديه مع العمال الوافدين على سحب أراضيهم الزراعية، بل كرست جهودها في مضايقة الأجانب، فأنشأ لهذا الغرض خاصة لمطاردتهم وتجريدهم مما كانوا يتمتعون به من جنسية، وبهذا خرجت كلمة "إيفوارية" إلى حيز الوجود بمدلوله أخرى خفية فما المقصود بالإيفوارية؟. إن كلمة الإيفوارية عند أبناء كوت ديفوار حسب المفهوم الأدبي المتبادر إلى الأذهان هي مثل كلمة "المغرب" عند "المغاربة" أو "السعودة" عند السعوديين أو "الفرنسة"

[1] - Fraternité matin des 21-22 janvier. 1995.

[2]- كوني عبد الرحمن الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 190.

عند الفرنسيين أو "الأمركة" عند الأمريكيين، فهي تعني: جعل المؤسسات والدوائر الحكومية خاصة لأبناء الدولة، ومصبوغة بصيغة وطنية خاصة.

وأما المدلول الخفي من الكلمة فهو ما تميز به تطبيقها لدى حكومة نظام بيديه من حصر الإيفواريين على الذين تعود أصولهم إلى القبائل الجنوبية، دون الذين لهم أصول شمالية أو الذين ينحدرون من أباء وفدوا إلى الدولة، وذلك بهدف تجريد الأخيرين عن جنسياتهما ليتم بذلك إقصاؤهم عن التصويت في الانتخابات.

وقد حملت الحكومة هذه السياسة على الدخول في تصفية عرقية واسعة النطاق وفي تفتيش دقيق للبطاقات الوطنية والإقامة، الأمر الذي اكتشف المسلمون منه أن الإيفواري الأصيل في مفهوم الرئيس بيديه وحكومته والذي يتخذ "السيد كيبري" وزير التربية آنذاك طريقة كلامه وأكله وشربه معيارا للجنسية الإيفوارية هو: ذلك الجنوبي المسيحي أو الوثني، بينما الإيفواري غير الأصيل والمشكوك في جنسيته هو ذاك المسلم أو الشمالي، إذ لما كان معظم الذين يتعرضون لمضايقات الشرطة من المسلمين، كان ذلك سببا كافيا لخلق شكوك حول جنسية كل مسلم من أبناء الدولة، وأصبح مجرد لبس الجلباب[1] أو حمل شعار إسلامي من سبحة أو قلنسوة وغيرهما، يجعل المرء عرضة لشبهات عديدة ومضايقات شديدة وتفتيش دقيق، إذا عثر خلاله أنك تحمل اسما إسلاميا مثل محمد، وعبد العزيز، ومريم، ورحمة وغيرها، أو تحمل اسما عائليا شماليا، سيسي، كراموغو، وتارا وغيرها تسحب منك بطاقتك الوطنية أو تمزق بتهمة التزوير.

ثمّ تطاول الأمر إلى المساجد، ففي يوم الجمعة 1994/06/10م تعرضت حرمة المسجد الجامع بحي أبوبو (Abobo) في أبيدجان لانتهاكات، والمسلمون للمضايقات الشديدة على يد رجال الأمن الوطني باسم مراقبة البطاقات الوطنية والإقامة، فالمسلم هو الذي يرتدي الجلباب للصلاة، وخاصة أيام الجمعة، ومرتدي الجلباب مشكوك في هويته وجنسيته الوطنية، فكوت ديفوار في مفهوم الرئيس بيديه وحكومته دولة مسيحية ويجب أن تبقى مسيحية، والإسلام

[1]- اللباس التقليدي لمسلمي كوت ديفوار.

مهما يكن المنتسب إليه فهو غريب ويجب أن يبقى غريبا في هذه الدولة، وفي هذا يقول الإمام "جيغيبا سيسي": (ففي أطراف مساجدنا نتعرض لمضايقات الشرطة حيث تمارس بشكل مباغت التحقيقات في بطاقات الهوية والإقامة فهل هذا هو علمانية الدولة؟).[1]

وبعد دور المساجد جاء دور كبار الموظفين من المسلمين والشماليين، حيث أصدر الأمين العام للحكومة السيد "ألفونس كابو" في 1999/10/02م مذكرة رسمية وجهها إلى الوزارات يطلب من كل موظف في مختلف إدارات الدولة وعلى وجه التحديد مديري الدواوين ورؤسائها والمكلفين بالمهمات العظام والمستشارين والقادة العسكريين والقضاة وغيرهم بتحديد تاريخ ميلاده، والأمر الذي أثار حالة نفسية لدى موظفي الشماليين، ودفعهم إلى اتهام الحكومة بتهيئة أرضية لتصفية عرقية واسعة النطاق، وإبعاد أولئك الذين تشك الإدارة في هويتهم الإيفوارية، وهي تعلم علم اليقين استحالة تمييز أبناء شمال كوت ديفوار من أبناء جمهورية مالي وبوركينا فاسوا وغينيا بمجرد الاعتماد على الأسماء العائلية، لوجود الأسماء نفسها في هذه الأقطار، وكونها متجذرة منها، ولعدم وجود حقيقية بين تلك البلدان وشمال الدولة قبل مقدم الأوروبيين، بل حتى بعد وضع الحدود المصطنعة ظلت الشعائر والقبائل تنتقل من بلد لآخر، وتقيم في قطر ثم لا تلبث أن تهجره لتقطن حيث تشاء، فكيف تسمح الحكومة الإفريقية والحالة هذه بانتهاج سياسية عرقية مبناها التمييز بين المواطنين على أساس واه، ولماذا يقتصر تطبيق هذه السياسة العنصرية على المسلمين والشماليين دون أن تعرفها الشعائر والقبائل الجنوبية التي لها نفس الحالة من الامتزاج والتداخل مع مواطني كل من جمهورية غانا وليبريا؟

إن الأمر في الحقيقة كما ذكره صحيفة (Le patriote) (من الواضح اليوم أن السلطة لن تعين أبدا في الوظائف المهمة في الجيش أو في الإدارة الذين لا ترضى الحكومة بآبائهم للاحتياط، فمهما كانت نجابتك ومواهبك وذكاؤك وإخلاصك ونزاهتك يستشار أولا اسم عائلتك عوضا عن استشارة أحوال خدماتك، هذه هي الجمهورية الأثنية، تقوم على صفاء الدم مطلقا).[2]

4- قضية المترشح المسلم إلى الانتخابات الرئاسية السيد "ألسان درامان

[1]- كوني عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في كوت ديفوار، ص: 85.
[2]- المرجع نفسه، ص: 86.

وتارا" الرئيس الحالي لجمهورية كوت ديفوار:

لا شك أن المطلع على سياسة الرئيس هنري كونان بيديه من خلال هذه الصفحات يتساءل عن أهم الأسباب التي دفعت الرئيس وحكومته إلى انتهاج هذا النوع من السياسة تجاه قبائل وديانة معينة، ولكن الذي يتبين بالتعمق في دراسة الأسباب الظاهرة والباطنة هو أن السبب ليس في أن الرجل يكره القبائل الشمالية، ولا أنه يبغض الإسلام والمسلمين، وحتى بالنسبة للأجانب ليس أن وطنيته جعلته عنصريا إلى درجة أنه لا يرى من الأجنبي إلا ذلك العدو المغتصب، ولكن لسبب واحد فقط، ألا وهو الخوف من منافسة المترشح المسلم ألسان وتارا، الذي أصبح يتمتع بشعبية كبيرة في أوساط المسلمين والشماليين والأجانب، وهذا يقوده بالطبع إلى معرفة الرجل الذي من أجله تعرض الإسلام والمسلمين والشماليون للمضايقات الشديدة من قبل حكومة الرئيس بيديه.

كان الرئيس الراحل بوانيه بعد نجاحه في انتخابات عام 1990م قد عين رئاسة الحكومة رجلا مسلمًا من الشمال يتمتع بكفاءة قيادية عالية، وحنكة سياسية نادرة، وهذا الرجل هو السيد ألسان وتارا، وبعد وفاة الرئيس فليكس بوانيه، تولى ربيبه بيديه رئاسة الدولة شرع في تمهيد الطريق للاستمرارية رئاسته، فعلى هذا سعى إلى سد المنافذ أمام الذين يشجعون ترشيح وتارا ألسان للرئاسة، وذلك بخلق العوائق أمامهم وتجريدهم من بطاقاتهم التي بها يتم التسجيل من أجل التصويب، كما سعى إلى حرمان السيد ألسان من الترشح للانتخابات الرئاسية، وذلك بتعديل قانون الترشيح للانتخابات، ونسج الدسائس واختلاق العوائق أمام ترشيحه.

فأولا: وجهت حكومة الرئيس بيديه تهما إلى شخصية وتارا أنه حاول القيام بانقلاب دستوري إثر وفاة الرئيس هوفويت بوانيه ضد السيد بيديه، ثمّ اتهموه في جنسيته على أنها جنسية مشكوك فيها إذ حصل عليها بفعل عوامل خاصة.[1] وثانيا: ثم تجاوز الأمر مرحلة مجرد التهمة عندما أصدرت الحكومة قرار سحب الجنسية الايفوارية من السيد ألسان وتارا مصحوبة بحكم قضائي بأمر القبض عليه لمحاكمته بتهمة التزوير.

[1]- Revaille Hebdo n 13 du Jeudi 25/11, L: 1993.

فالسيد وتارا ولد من أبوين إيفواريين والذي ينتسب إلى قبيلة وتارا ملوك "كونغ" إحدى المدن التاريخية البارزة في كوت ديفوار، وبعد أن تقلد المناصب العالية داخل الدولة وخارجها، حيث كان رئيسا الحكومة في عهد الرئيس فليكس هوفويت بوانيه 1990– 1993م، وعمل مديرا لبنك المجموعة الإفريقية الغربية ونائب مدير لصندوق النقد الدولي باسم كوت ديفوار، يجد نفسه بعد كل هذه الخدمة مسلوبا من الجنسية ومتهما بتزوير الأوراق للحصول على جنسية بلده، بينما في الوقت نفسه يتمتع إخوانه وأخواتهم بجنسيتهم الإيفوارية، بل شقيقه "غوث وتارا" الذي أصبح الرئيس التقليدي لمدينة كونغ، وكان نائبا برلمانيا في الوقت الذي كان يتهم شقيقه ألسان وتارا بتزوير الجنسية.

وإذا كان مجرد الترشيح للانتخابات الرئاسية يعتبر ذنبا كافيا لإهانة صاحبه وسحب الجنسية منه، فإنه لا غرابة في أن يتعرض كل من يساند هذا المترشح من قريب أو بعيد أو يشترك معه في الدين أو الإقليم لأنواع من المضايقات، وهذا هو سبب وجود الإسلام والمسلمين في قفص اتهام الحكومة ومضايقاتها.

وغاية ما في الأمر: أن علاقة الأديان مع النظام السياسي في عهد الرئيس هانري كونان بيديه قد استمرت على ما كانت عليه أيام سلفه إلا مع الإسلام، حيث إن الرجل لم يستطع التماسك أمام معارضه السيد ألسان درامان وتارا، فرغم التدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي عرفته الدولة في عهده حتى وصلت الأمور إلى طريق مسدود، إضافة إلى البذخ والتبذير وفشوا الرشوة واختلاس أموال العامة بشكل فاحش وفظيع في المحيط المباشر له، وكذلك عجزت الدولة عن دفع أجور الموظفين وعن الوفاء بالتزاماتها الدولية من جراء تراكم الديون الداخلية والخارجية، ولم يحاول المسؤول الأول البحث عن حلول مناسبة لهذه القضايا الأساسية، بل كرس كل جهده في محاربة منافسه السياسي، وبهذا بدأ يتخبط خبط العشواء في ضرب كل ما له صلة من قريب أو بعيد بمنافسه، فلم يسلم من مضايقته مسلم ولا شمالي ولا أجنبي، وهذا ما أسرع إلى أن تأكل نظام الرئيس بيديه وتدمير في الداخل، مما أفضى في آخر المطاف إلى القضاء على سلطته في انقلاب عسكري قاده الجنرال روبرت غيه في عام

1999/12/24م وبهذا تنفس المواطنون الصعداء، وأصبحوا يتطلعون إلى أحوال مشرقة في مستقبل الأيام.

وبعد الرئيس هوفويت بوانيه الذي كان يحظى بتقدير المسلمين والمسيحيين، والذي إليه كان يرجع القول الفصل فيما بين الديانتين، بدأت تساؤلات تطرح من هناك وهناك عن مستقبل التعامل بين المسلمين والمسيحيين، وهل المسلمون سيسعون إلى اعتلاء المراكز العليا؟ وهل المسيحيون سيستلمون للواقع كما تمليه القواعد الديمقراطية ويتقلبون سعي المسلمين مثل ما تقبل المسلمون سعيهم واعتلاءهم مراكز القيادة؟ وهل العلاقة ستستمر على ما كانت عليه أيام الرئيس الراحل؟

على كل لم تتأخر الكنيسة عن إبداء تخوفها وقلقها من سعي المسلمين إلى اعتلاء كرسي الرئاسة، وأثناء جنازة الرئيس بوانيه عام 1994/02/07م، جاء في خطبة أسقف مدينة ياموسوكرو: (صارت الكنيسة الكاثوليكية يتيمة لفقدها أكبر مدافع عنها، والمتمثل في شخصية هوفويت بوانيه، وأصبح التخوف من المسلمين حقيقة بينة من أن يناصروا واحدا منهم لاعتلاء كرسي الرئاسة، وذلك لتفوقهم العددي).[1]

وقد فهم بعض المسلمون من قول الأسقف وخاصة كبار المثقفين أن الكنيسة الكاثوليكية لن ترضى برئاسة مسلم، وأنها ستدافع مهما كلفها التصدي أمام كل مسلم يرشح نفسه للرئاسة، ومع تدهور الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية الذي عرفه نظام الرئيس بيديه تدهورت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، إذ لم يبق الصراع بين الأحزاب السياسية وكذلك بين الرئيس بيديه، ومنافسه الكبير السيد ألسان وتارا صراعا سياسيا، بل تحول إلى صراع ديني، كل دين يناصر المترشح المنتسب إليه ظاهرا أو باطنا، ويجد كذلك ما به يتهم الطرف الآخر، فالمسيحيون خلف الرئيس هانري كونان بيديه، يتهمون المسلمين، ليس لهم ارتباط وثيق بدولتهم، وقد ساقوا المشاكل السياسية إلى الأديان، والمسلمون خلف السيد وتارا يتهمون المسيحيين باحتكار كرسي الرياسة ومنع كل من ليس منهم، وتأجيج نيران الفتنة بين الحكومة

[1]- كوني إبراهيم، الدعوة لإسلامية ومعوقاتها في ساحل العاج، ص: 45.

والمسلمين، ومن هنا بدأت العلاقة بين الديانتين تنتقل من سوء إلى أسوء، حيث اتسعت دائرة الكراهية والبغضاء، فصار الكل يظهر للآخر ما كان يبطنه من كراهية وعداوة، وأصبحت الدعوة إلى إهانة الآخر وعدم قبوله منتشرة بين الطائفتين، وبهذا ازداد التخوف من حدوث اشتباك أو نزاع ديني بين الديانتين، والأمر الذي أدى إلى الإطاحة بنظام الرئيس بيديه، وذلك نظرا إلى أن منبع الفتنة الطائفية يرجع إلى سياسة المبنية على التمييز العنصري والديني والعرقي.[1]

[1]- Le jour de 27- 28 décembre 1999.

المبحث الخامس: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي في ظل الجمهورية الثانية الجديدة

أولا: رياسة الجنرال روبرت غيه: (G. Robert Guéi) 1999-2000

بعد اختفاء نظام الرئيس هانري كونان بيديه بواسطة الانقلاب العسكري الذي قام به "C.N.N.P" (Comité national du Salut Publique) تحت قيادة الجنرال روبيرت غيه، والذي أعطى أملا في المستقبل للشعب الإيفواري حيث عبر الجنرال أنهم جاءوا لتنظيم الأمور ولمهمة إصلاحية وطنية تكمن في:

أ- الإصلاح بين مختلف الشعوب الإيفوارية من كل المساوئ والعداوة والأضرار التي سببه سوء التنظيم والتدبير السياسي.

ب- وضع قانون أساسي جديد تحقق المساواة والعدالة بين أبناء الدولة ومحاربة التفرقة والتمييز العرقي والديني الذي غرسته سياسة النظام السابق.

ج- تنظيم انتخابات نزيهة حرة يترك فيها حق الترشيح لكل من يريد ذلك من أبناء الوطن.[1]

إلا أن أمل الشعب في هذا العمل الإصلاحي لم يدم طويلا، حيث بعد شهر فقط من الانقلاب زاغ الجنرال عن القصد وبدأ يهيئ الرياسة لنفسه، وبهذا بدأت سياسة التمييز العرقي والديني تواصل مسارها كما كان في أيام الرئيس بيديه، وكان أول مشجع لها هو الجنرال نفسه، وذلك أنه في أثناء في قيامه بزيارته الرسمية في أقاليم الدولة، وأينما حل يوزع نسخا من القرآن الكريم على أئمة المساجد دون أن يعطي نسخا من الكتاب المقدس إلى القساوسة والأساقفة من الديانات الأخرى ولما سئل عن سبب هذا التمييز في دولة لائكية فأجاب قائلا: (أدركت أن

[1]-Le Patriote 2000/ N : 680. P: 2.

المسلمين لا يقرؤون كتابهم المقدس جيدا، بل هم الذين يصلون في مساجدهم لاستمرار الفوضى داخل البلد).[1]

يقول الإمام سيكو سيلا في ذلك: (إن الرئيس قام بزيارة رسمية في جميع أقاليم الدولة التي هي لائكية، وخلال هذه الزيارة كان هناك تركيز خاص على المسلمين وأضر ما لم نستسيغه نحن المسلمين، هو القول بأن المسلمين لا يقرؤون كتابهم المقدس، وأنهم يدعون ربهم في مساجدهم لانتشار الفوضى داخل الدولة، وأكثر من ذلك صدور مثل هذا الكلام من رئيس الدولة، فلو صدر من رئيس حزب سياسي أو شاعر فنان لكان أخف ضررا، ولكننا نقول للرئيس كفى من تشويه صورة الإسلام وإهانة المسلمين، وليعلم السيد الرئيس أن سكوتنا عن الإجابة لا يعني ضعفا عن الدفاع عن أنفسنا، وإنما حفاظا على السلام العام داخل الدولة، فديننا الإسلام يأمرنا بالتسامح ونشر السلام فكيف ندعو ربنا للعكس؟ والمسلمون في هذه الدولة لم يسببوا الفوضى في يوم الأيام، ولا حادثة معوقة للدولة، بل إننا نتحدى كل واحد في الدولة أن يذكر ولو حادثة واحدة سببها المسلمون، فلماذا هذا السعي إلى تشويه الإسلام؟ أهل غير المسلم هو الذي سيعلمنا نحن الأئمة كيف نعبد ربنا؟).[2]

وجاء مشروع إصلاح دستور الدولة الذي جعله الجنرال من أحد المهام التي من أجلها أكثر مما كان عليه الأمر، فبدلا من أن يكون الدستور شيئا يجتمع حوله جميع أفراد الدولة ويكون حاكما ومرجعا مرضيا حين الاختلاف كان هو أشد تفرقة وتمييزا بينهم، حيث لا يزال الخلاف قائما بين أبناء الوطن حول بعض المواد والبنود الواردة فيه، وازدادت فجوة التمييز حين تبين للناس حقيقة أن الجنرال يسعى إلى ترشيح نفسه للانتخابات الآتية، ويريد بذلك منع كل من يخشى منافسته في المشاركة، والأمر الذي حمل على السلوك مسلك سابقه في خلق المشاكل الجنسية والبطاقات الوطنية أمام المسلمين والشماليين الذين عرف حق المعرفة أنهم لن يصوتوا له أبدا، وفي هذا جاء في خطبة الإمام أبي بكر فوفنا أمام الجنرال: (أما بالنسبة للمسلمين فإننا –يا معالي الرئيس– لم نميز تمييزا عنصريا في تعاملنا مع مختلف أبناء الوطن،

[1]- Le Patriote 2000/ N : 680. P: 4.
[2]- Ibid. p: 5.

ففي عام 1940م قدم آباؤنا ولاءهم وتأييدهم للسيد هوفويت بوانيه ضد أحد أبنائهم "سيكو سانوغو" كان مسلما ومن شمال البلاد، لأنهم لم ينظروا إلى عرق أو دين أو قبيلة، وإنما نظروا إلى المشاريع السياسية، فوجدوا أن ما يدافع السيد بوانيه من أجلها مناسب لهم، وهكذا بقي المسلمون أوفياء للرئيس بوانيه ابتداء من 1940م إلى 1993م، رغم كونه مسيحيا كاثوليكيا، وانتسابه إلى قبيلة "أكان" من فصيلة "باولي" بل إنهم جاهدوا معه بالنفس والنفيس في تأسيس جمهورية قوية مستقلة حتى تحقق لهم ذلك عام 1960م، وبعد وفاته بدأت الكراهية والبغضاء تتنامى ضد المسلمين بسبب سياسة الرئيس، ففي الإعلام ووسائل النقل العمومي والمكاتب والإدارات أصبح مسلم يتعرض لمختلف مظاهر السخرية والشتائم والتميز العنصري والديني وغيرهما، ولذا حين وقع الانقلاب انتابتنا حرارة عظيمة من الفرح والسعادة حيث شعرنا بجلاء الظلم والاضطهاد اللذين كنا ضحيتهما الدائمة، وكذلك بإمكانية التعايش والتعامل مع إخواننا من الكاثوليك والبروتستانت وغيرهما تعايشا سلميا كما عرفنا من قبل، ولكنه للأسف الشديد لم يدم أملنا أكثر من شهر، إذ بدأت العوامل نفسها تستمر ضدنا، وعلى هذا فإننا نقول بكل صراحة، يا معالي الرئيس خائفون وقلقون، خائفون عندما نسمع قول القائلين بأن المسلمين يجتمعون في مساجدهم للعن المسيحيين، وقلقون حينما نرى المسيحيين يرفضون لحوم أضاحينا في عيد الأضحى، أو يأخذونها لكلابهم أو رميها في المزبلة، قائلين بأنهم إن أكلوا منها سيصبح السيد وتارا رئيسا، وقد تعايشنا سنوات كثيرة وتعاملنا مع بعضنا في فرح الأعياد وسرورها، ومتحيرون كذلك عندما ندرك أن هناك مئات الآلاف من أبناء أمتنا اليوم بدون بطاقة وطنية نتيجة سلبها منهم من قبل رجال الأمن بدون حكم قضائي، وبدون ذنب، لأنهم يحملون أسماء إسلامية، أو ينحدرون من عائلة شمالية، بل إننا –يا معالي الرئيس– نتألم عندما نرى تتهم أمة دينية بأكملها بعملية التزوير، فلو كان التزوير حقا كما يدعون فلماذا لا يتم القبض على حامل البطاقة المزورة وعلى من سلمها له ويساق إلى المحكمة وما دخل الإسلام في شأن البطاقات؟ وفي الختام أود أن أؤكد لك –يا معالي الرئيس– أنه ينبغي أن نقصر الطريق إلى السلام في كوت ديفوار بناء على خبرتنا وكثرة تداخلنا في تسوية الخلافات الداخلية في بعض الدول الإفريقية، والحمد لله توجد عندكم الإمكانية لحل مشكلة المواطنين، وتمثلون الشخص

الوحيد لحل كل مشاكلنا، وذلك بتسوية الأوضاع السياسية، وتنتهي المشاكل بين الطوائف الدينية).[1]

إن مثل هذه التصرفات الصارمة وغيرها من تصريحات الأئمة الذين لم يخفوا معارضتهم لسياسة الجنرال جعلهم في محل الشك والريبة، بل كانوا يتهمون من قبل المؤيدين لنظام الجنرال أن لهم علاقات سرية بالإرهابيين، وأنهم أحضروا الأسلحة من الدول العربية إلى كوت ديفوار قصد القيام بانقلاب ضد الجنرال وحكومته، مما جعل مساكن الأئمة تتعرض للتفتيش والمراقبة الدائمة إلى أن وصل الأمر إلى الجنرال في إصدار أوامره للدرك الوطني باستدعاء كبار الأئمة الممثلين للأمة الإسلامية في كوت ديفوار، ابتداء من الإمام إدريس كوني قدوس، رئيس المجلس الوطني الإسلامي والإمام أبي بكر فوفنا الناطق الرسمي باسم المجلس الأعلى للأئمة، والإمام أبو بكر سماسي، والإمام سيكو سيلا، والإمام سيسي جيغيبا وغيرهم للحضور أمام مركز الدرك الوطني المتخصص في التحقيق حول كبار المجرمين من القتلة الفجرة.[2]

ومهما يكن الأمر، فإن العلاقة بين الإسلام والنظام السياسي أيام الجنرال كانت سيئة جدا، بينما لم تكن هذه هي علاقته مع الديانات الأخرى، فالمسلمون هم الذين اضطهدوا وقتلوا وشردوا وخاصة إثر الانقلابات المصطنعة المفترية التي اختلقها الجنرال ضد نفسه، ليتمكن من القيام بتصفية جماعية واسعة النطاق في صفوف معارضيه، والأمر الذي سبب فرار الكثير من الجنود المسلمين والشماليين إلى الدول المجاورة، ولا تسأل عن ألوف الآلاف من الذين سلبت منهم بطاقاتهم الوطنية دون أن يكون لهم ذنب سوى الانتساب إلى الإسلام أو إلى الأقاليم الشمالية، وناهيك عن الإهانة والضرب والقمع والسجن الذي تعرض له المسلمون أيام الجنرال، ودام الأمر كذلك حتى إلى شهر أكتوبر 2000م، حين أقصى الجنرال كل من يخشى من شعبيته في الانتخابات، وأراد تزوير نتائج الانتخابات بينه وبين السيد "لوران غباغبو" فبسبب ذلك قامت الثورة الإيفوارية العارمة ضده أفضى به في آخر المطاف إلى ترك رئاسة الدولة لتنفتح صفحات جديدة في سلسلة العلاقات بين الأنظمة السياسية والأديان.

[1] -Le Patriote 2000/ N : 870. P : 8.
[1]- Ibid. P : 9.

وفي ظل تقصع العلاقات بين المسلمين والمسيحيين أيام الرئيس بيديه، وبعد أن أصبح من المحتمل انفجار نزعة دينية ذات جذور سياسية لم يكن للمجتمع الإيفواري سوى أن يرحب غاية الترحيب بالانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال روبيرت غيه ضد نظام بيديه، إذ ظن الجميع أن هذا الانقلاب سيفتح أبوابا جديدة من العدل والحرية والإنصاف والشفافية، وسيكون فرصة للمصالحة بين المسلمين والمسيحيين، وترتيب كل ما دمره النظام السياسي السابق، وخاصة التعامل السلمي بين المسلمين والمسيحيين، والذي كان مضرب المثل لكثير من الدول التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون جنبا إلى جنب، إلا أن هذا الظن كان مجرد تخمين وحكما سابقا لأوانه، حيث في تكوين الحكومة الأولى بعد الانقلاب حظي المسلمون فيها – ولأول مرة في تاريخ الدولة – بعضوية ملحوظة، والأمر الذي دفع بعض السياسيين إلى القول بأن الانقلاب كان لصالح المسلمين، إذ فتح أبواب الحكومة على مصراعيها لهم، مما لم يكن من المعتاد، وكذلك أبدى بعض كبار المسيحيين عدم رضاهم بهذه الحكومة وفي هذا كتبت صحيفة "Notre voie" مقالة بعنوان "انتصار محمد صلى الله عليه وسلم على عيسى عليه السّلام" الأمر الذي أثارت امتعاض المسيحيين وأجج نيران التزمت بين الديانتين، ومع بيان نوايا الجنرال في السعي للاحتفاظ بالسلطة، وانتهاجه سياسة النظام السابق، عاد مسار التعامل بين المسلمين والمسيحيين إلى ما كان عليه، بل ازداد سوءا، إذ تحولت حركات الأئمة والأساقفة إلى منافسة سياسية باردة، كل يسعى إلى احتواء كرسي الرئاسة، فالأئمة نظرا لتهور العلاقة مع النظام الحاكم، ولما تعرض له الإسلام من تشويه، والمسلمون من مضايقات لم يستطيعوا الصبر والتملك على الأمر، فأظهروا عدم ثقتهم ورضاهم بالسياسة المنتهجة من قبل الجنرال، وأبدوا كذلك تأييدهم ومناصرتهم للمعارض البارز المسلم ألسان وتارا، وفي هذا اشتغل منابرهم وشهرتهم الدينية للإيعاز بالانتساب إلى حزب تجمع الجمهوريين (R.D.R) كما استغلها البعض لتعيب أعمال الحكومة وتشويه منظره لدى المسلمين، وإذا كان بالمثال يتضح المقال فإنه يمكن الاستدلال على هذه التصرفات ببعض المقالات من بعض أئمة المساجد،مثل ما جاء على لسان الإمام سيكو سيلا خلال لقاء صحافي مع صحيفة (Le patriote) (إن ما يحتاج إليه كوت ديفوار اليوم هو الرجل المناسب الذي يستطيع إخراجه من هذا المأزق الذي اختلقه

السياسيون، لا غير ... فكوت ديفوار دولة لائكية، وإذا كان السيد ألسان وتارا – بالنسبة للذين لا يعرفونه – قد عرف مسارا وظيفيا موفقا، فإن ذلك لم يكن في المؤسسات الإسلامية، فصندوق النقد الدولي ليس مؤسسة إسلامية، وأمريكا الذي يحتضن مقره ليس أيضا دولة إسلامية، وأعتقد أن الرئيس فليكس هوفويت بوانيه الذي اختاره في وقت ما لإدارة حكومته ليس مسلما، ولا أظن أحدا من المسيحيين أو المسلمين اتهمه بشيء في طريقة إدارته، إذن فما دخل الإسلام في ترشيحه للرئاسة ؟ وما ذنب المسلمين في اختياره لإنقاذ الدولة؟[1]

ويقول أيضا الإمام أبو بكر فوفنا في لقاء صحافي إجابة على سؤال مفاده : ما قولكم في مقولة رجل ديني يؤيد القول بأن السيد ألسان وتارا هو أول من ساق الحوار الديني إلى السياسة؟ (إن مثل هذه اللخبطة هي ما يجب أن يتجنبه رجال الدين، لماذا حينما يتحدث رئيس حزب سياسي في خطبته الترويجية الانتخابية عن شؤون الاقتصاد لا يجيب عليه إلا رجل الدين في صومعته؟ أما كان له أن يترك هذه المهمة لرؤساء الأحزاب السياسية الأخرى؟ على هذا الرجل الذي سمح لنفسه بالقول أن السيد ألسان وتارا هو أول من ساق الحوار الديني إلى ساحة السياسة أن يراجع نفسه، ويتذكر خطبته في جنازة الرئيس الراحل حين قال: أصبحت الكنيسة الكاثوليكية اليوم يتيمة لفقدها أكبر مدافع عنها، وأنه بات من الواقع التخوف من المسلمين من أن يناصروا واحدا للرياسة، إننا نحن المسلمين لم نكن نعلم أن المسيحية شرط أساسي لاعتلاء كرسي الرياسة في دولة لائكية، وبالتالي كيف يكون المترشح المسلم أول من ساق الحوار الديني إلى مضمار السياسة إذا ما علمنا أن أحد كبار الأساقفة الكنيسة الكاثوليكية سمح لنفسه بالذهاب إلى "جمهورية توغو" ليطلب من رئيسها الجنرال إيإديما (G. Eyadema) التوصل إلى المترشح المسلم كي يتنازل عن ترشحه للرئاسة).[2]

إلى غير ذلك من أقوال الأئمة والدعاة التي تشير مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى عدم استساغتهم لمواقف المسيحيين تجاه ما يجري بين سياسة النظام الحاكم والمسلمين، وعلى تأييدهم للمترشح المسلم ألسان درامان وتارا.

---

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 185.
[2]- المرجع نفسه، ص: 189.

وأما المسيحيون، فإذا كان المسلمون قد تأخروا وترددوا في بيان مواقفهم تجاه القضايا السياسية إلا أن المسيحيين لم يتوانوا في إبراز تأييدهم للحزب الحاكم، وللحكومة في سياستها القائمة على التمييز العرقي والعنصري والديني، ففي قضية السياسة الإيفوارية التي أنتجها الرئيس المخلوع بيديه وحكومته، والتي حاربتها المنظمات الإسلامية الوطنية بكل قواها، جاء موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه القضية في رسالة أسقفية مغايرة تماما لمواقف المسلمين، حيث وجد الأساقفة أن السياسة الإيفوارية تعكس واقعا معيشا، وتفسر كذلك حاجة الشعب الإيفواري، لأنهم اليوم مهددون في هويتهم الوطنية لكثرة الأجانب، وعلى هذا ستكون هذه السياسة منفذا ومنتعشا وطنيا لهم.[1]

وفي الرسالة نفسها يذهب الأساقفة إلى التصريح أنه فعلا توجد مجموعة واسعة الأجانب في كوت ديفوار، وإن كانت الدولة معروفة على الساحة العالمية أنها أرض مهجر واستقبال، وأنها قد سمحت للأجانب باعتلاء المناصب العليا في مؤسساتها، إلا أنه يجب على هؤلاء الأجانب أن يدركوا أن هذه الدولة ليست دولتهم، وأن يتصرفوا وفق هذا الإدراك.[2]

وأيضا جاء في وصف المسلمين من خلال بيان رؤساء الكنيسة الكاثوليكة ب (الذين ليس لهم ارتباط وثيق ولا حقيقي مع الدولة).[3]

وإذا كان المسلم الإيفواري في رؤية الكنيسة ورجالها هو الذي ليس له ارتباط وثيق بالدولة، فإننا نتساءل عن الفرق بينه وبين الأجنبي؟ أليس هذا هو عين المشكل بين المسلمين والأنظمة الحاكمة المتعاقبة التي تعتبر كل مسلم أجنبيا عن هذه الدولة ؟

ولم تقتصر الكنيسة على التأييد الشفوي والكتابي في إقصاء المسلمين عن رئاسة الدولة، بل دخلت في تحركات داخل الوطن وخارجها في هذا الخصوص، حيث يحكي فرانسو سودانس (François Soudans) قائلا: (وفي هذه الآونة الأخيرة، وحسب خطة مدبرة تمت دعوة أحد وجهاء الكنيسة الكاثوليكية في كوت ديفوار من قبل أسقف "لومي" عاصمة جمهورية توغو،

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 190.

[2]-Le patriote 2000/ n : 411. P: 6.

[3]- Ibid. p: 7.

قصد زيارة "الجنرال ياديما" (Eyadema) وكان الهدف من هذه الزيارة هو الطلب من الأخير أن يتوصل إلى المترشح المسلم ألسان كي يتنازل عن ترشيحه للانتخابات الرئاسية).[1]

وجاءت شهادة السيدة "سيمون غباغبو" (Mme Simon Gbagbo) زوجة الرئيس السابق "لوران غباغبو" خلال البرنامج من نشرة التلفزة الإيفوارية حيث أكدت: (أن مجموعة من القساوسة والأساقفة من مختلف الكنائس جاءوا لزيارتهم قبل الانتخابات الرئاسية، وفي أثناء هذه الزيارة عرضوا عليهم السلطة، وبينوا لهم أن الأمر لن يكون سهلا ولكن مع قليل من العزيمة والصلابة ستصير لهم، مبينين لهم أنهم طالما انتظروا هذه الفرصة طوال سنوات كثيرة، وأنهم مستعدون لتحمل مسؤوليتهم، وللاعتلاء على السلطة مهما كلفهم ذلك).[2]

وبهذه المواقف اضمحلت الروابط الطيبة التي كانت بين المسلمين والمسيحيين، وازداد الأمر سوءا حين اعتلى أصوات النداء داخل بعض الكنائس إلى مقاطعة كل ما يأتي من الإسلام والمسلمين، وبناء على هذه الدعوة لم يستجب بعض المسيحيين دعوات أصدقائهم وجيرانهم إلى مشاركتهم في فرحة عيدهم كالمعتاد، وهكذا جاء التعامل أيام الجنرال روبرت غيه تعاملا مصحوبا بالكراهية والبغضاء والتنافر والتشاجر، فلم يعد المجتمع الإيفواري مجتمع سلام واستقرار كما كان ينعت به أيام الرئيس فليكس هوفويت بوانيه، بل انقلب له الدهر، فكان قاب قاسين أو أدنى أن تضرم نيران الفتنة الطائفية بين أبناء المجتمع الواحد لولا أن تداركته نعمة الله، وانتهى الأمر بنهاية الجنرال لتبتدئ مرحلة أخرى من سلسلة علاقة المسلمين بالنظام الحاكم من جهة وبالمسيحيين من جهة أخرى.

[1]-Jeune Afrique/ L'intelligent . N 2066 du 15 au 28 Aout 2000. P: 40.
[2] -Le Patriote 2000/ n : 68. P: 8.

ثانيا- رياسة لوران غباغبو (Laurent Gbagbo) 2000- 2010م.

ازدادت مآسي المسلمين واشتدت حيرتهم وخوفهم عندما استولى الرئيس غباغبو على السلطة، حيث تحولت سياسة العنف والقمع ضدهم إلى تقتيل وتشريد وإبادة جماعية فكانت الأيام الأولى من رئاسة غباغبو أياما سوداء في تاريخ علاقة المسلمين مع النظام الحاكم، لقي أكثر من ثلاثمائة شخص من أبرياء المسلمين حنفهم على يد قوات الأمن، وذلك بعد أن أخرجهم من عقر ديارهم ظلما وزروا، ثم أبادوهم بدون ذنب، ولا تسأل عن عدد المفقودين والجرحى في صفوف المسلمين وهذا ما جعل الكثير من السكان والذين يتبعون أحوال الدولة يتهمون الرئيس غباغبو بأنه جاء إلى السلطة ماشيا على الجثة وتلطخا بدماء الأبرياء.[1]

ولم تقتصر ابتلاء المسلمين مع حكم غباغبو على هذه الحوادث، وفي عام 07 و 08 يناير عام تم القبض على 75 جنديا من المسلمين بتهمة محاربة الانقلاب العسكري ضد الرئيس، الأمر الذي أدى إلى فرار مجموعة أخرى من الجنود المنتسبين إلى الإسلام أو الأقاليم الشمالية، خوفا من أن يحصل لهم مثل ما حصل لإخوانهم الذين لم يكن لهم ذنب في اغتيالهم سوى الانتساب إلى الإسلام أو الإقليم الذي ينتسب إليه المترشح المسلم.

وفي أحداث 26 أكتوبر 2000م لم تقتصر الخسائر في أرواح المسلمين، بل تعدى إلى المساجد، وأهم خسارة في حي "يوبوغون" حيث قام وفد من أعضاء المجلس الأعلى للائمة، والمجلس الوطني الإسلامي بعد الحوادث بزيارة المساجد التي تعرضت للإحراق والتدمير قصد تعداد قيمة الخسائر، فكان أهم ما اكتشفه الوفد على الساحة الإيفوارية.

أولا: في مسجد حي ليم (Lem) اكتشف الوفد أن المسجد قد تعرض لهجومات عنيفة دمرت حائط المسجد، وأحرقت جزءا مهما من قاعة الصلاة مع مسكن الحارس وسيارتين إحداهما لإمام مسجد "سيسي أبو بكر" وفي هذه المناسبة جاء شهادة شهود العيان، والذين منهم إمام المسجد تهمة قوات الأمن في مساعدتهم ودعمها للمجرمين، إذ هم كسروا جمع المسلمين

[1]- Le patriote 2000/ n : 69. p: 10.

وشتتوا شملهم حين خرجوا لإنجاد مسجدهم ورد أيدي العابثين عنه، ثمّ تركوا المجال فارغا وواسعا للمجرمين لينفذوا بالمسجد ما تمّ تدبيره بينهم بالليل في راحة وحماية تامة.

ثانيا: مسجد "عائشة" بحي "نيانغون الجنوبي" اكتشف الوفد تدمير المسجد بالكلية، إذ تعرضت المزخرفات والثلاجات والزرابي للنهب والسرقة، والمسجد للحرق بالكامل، ويحكي إمام المسجد الحادثة للوفد قائلا: (إنه قد وصلنا خبر عاجل أن مجموعة من الشبان الذين ينتسبون إلى جماعة الشباب الوطنيين (Les Jeunes Patriotes) يتحركون تجاه مسجدنا قصد إحراقه، فخرجت مجموعة من المسلمين للدفاع عن المسجد، واستطاعوا بعون الله تعالى ردهم عنه، وبعد فترة وجيزة جاءت مجموعة أخرى أكثر عدة وعداد، فلما خرج المسلمون لمقابلتهم إذا برجال الأمن الوطني يتوجهون إلى المسلمين قصد إرجاعهم إلى مساكنهم بالضرب والقمع، فأوقفوا مجموعة كبيرة في صفوف المسلمين.

وبناء على توالي الحوادث ضد المسلمين وتراكمها، تقدم المجلس الأعلى للائمة بطلب مقابلة رئيس الدولة وعرض الأمر عليه، وخاصة مواقف رجال الأمن الوطني في مساندة المجرمين على تدمير معابد المسلمين دون أن يترتب على فعلهم هذا ولا على فعل المجرمين أي إجراءات قضائية، إلا أن الرئيس امتنع عن الإجابة عن هذا الطلب، وقطع صلته بالمسلمين، بينما كانت وسائل الإعلام الحكومية والقريبة من الحزب الحاكم تتحدث عن علاقة الرئيس مع مختلف الطوائف المسيحية ودعمه لجهودهم ومشاريعهم، بل كان للممثلين من هذه الطوائف حتى الولوج إلى القصر الرئاسي في أبيدجان بدون إذن مسبق، بينما كان يرفض طلب المسلمين لمقابلة الرئيس.

وقد حمل بعض الأئمة موقف الرئيس على استغلال إعلاميات الأحزاب المعارضة لتهمة رئيس غباغبو أنه يتصرف رئيسا للمسيحيين في دولة لائكية، وجاءت تهمة أيضا من الأساقفة على لسان السيد "بوني بردنات"(Bonny Bernadette) رئيسة جمعية إنسانية تعرف ب "Concord"[1].

[1]- وهي جمعية نسوية غير حكومية ولا دينية، تسعى إلى محاربة الفقر والتمييز العنصري أو الجنسي أو الديني.

أنهم جعلوا أنفسهم حماة لرئاسة رئيس الدولة، وكونوا في محيطه نواة دينية خاصة، وهم الذين ألحوا عليه في عدم استقبال المسلمين داخل دولة لائكية.[1]

ودامت هذه الحالة بين الرئيس غباغبو والمسلمين لمدة سنة وزيادة، حيث لم يتصالح مع المسلمين، ولم يستجب لطلبهم إلا في شهر ماي عام 2002م، وقد استجابت الحكومة الإيفوارية بعد هذا التصالح لاستقبال سفارة المملكة العربية السعودية بأبيدجان لتسهيل إجراءات تأشيرة الحج التي كانت تتم كل سنة في دكار ب"السنغال" أو نيامي ب "النيجر" وسعت الحكومة الإيفوارية كذلك إلى تحقيق عضوية كوت ديفوار في بعض المنظمات الإسلامية ابتداء من منظمة المؤتمر الإسلامي "O.C.I" والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " I S E S C O" والبنك الإسلامي للتنمية "B.I.D " ووعد المسلمين بمشاريع كثيرة وتسوية لخلل تهميشهم من قبل الحكومة السابقة، وأن الدولة لا يمكن أن تكون لدين معين دون غيره.

ودخل النظام الحاكم بعد هذه المصالحة التي فرح بها الكثير من المواطنين في مأزق آخر، وفي عام 19/سبتمبر/ 2002م سيطرت مجموعة من المتمردين على نصف الدولة بعد فشلهم في محاولة الانقلاب ضد النظام الحاكم، وكان هؤلاء المتمردون لجأوا إلى الدول المجاورة خوفا من بطش النظام الحاكم تحت المسمى (Les Forces Nouvelles)

والملاحظ في شأن القوات الجديدة أن أغلبيتهم المطلقة كانوا مسلمين ومن شمال كوت ديفوار، والمناطق التي بسطت عليها نفوذها تعتبر مناطق إسلامية، بل هي مناطقهم ومناطق آبائهم وإخوانهم الذين كانوا يتعرضون لأصناف من مضايقات الحكومات المتعاقبة، مما جعلهم يصفقون للمتمردين ويدعمونهم بكل قواهم، ويرحبون بهم على أنهم:

أولا: من أبناء المنطقة، وثانيا: أنهم ينتسبون إلى دين واحد، وثالثا: أن القضية التي دفعتهم إلى حمل الأسلحة قضية نبيلة ومشرفة، فالمنطقة تعاني من ظلم اجتماعي فريد من نوعه، وهم يدافعون عن إقصاء المنطقة وتهميش أبنائها، والنظر إليهم بالدونية أنهم أجانب لكونهم مسلمين، والأمر الذي نبه الرأي الدولي إلى أن هؤلاء المقاتلين المتمردين يحاربون من

[1] -Le patriote 2001/ n : 680. P: 11.

أجل هويتهم وشخصياتهم المسلوبة، وبينوا على لسان أمينهم العام أنهم مستعدون لترك الأسلحة إذا حصلوا على بطاقاتهم الشخصية، وعلى معاهدات إدماجهم في المجتمع مثل إخوانهم الجنوبيين المسيحيين.

ومهما يكن الأمر، فإن حضور القوات الجديدة (المتمردين) كانت نتيجة تراكم الظلم والتهميش والتمييز بين أبناء الدولة الواحدة، وبداية لحرب أهلية، ولتاريخ جديد في سلسلة الازمات والمآسي التي عرفه كوت ديفوار.

أما عن مسار التعامل بين المسلمين والمسيحيين في ظل نظام الرئيس لوران غباغبو، فإنه رغم توتر العلاقة بين المسلمين والنظام السياسي، كان هناك فريق من ذوي النوايا الطيبة من كلا الطرفين، الذين لم تفتر عزيمتهم أبدا في محاولات التقريب بين الديانتين، وبدأ الناس يميلون إلى المصالحة بين الطائفتين يأخذ طريقه إلى مساره الصحيح، إذ أدرك كل من المسلمين والمسيحيين أن من واجبهم تجاوز حدوث فتنة دينية إلى جانب الفتنة السياسية، وهي الحالة التي لن يستفيد منها السياسيون، وكانت صيحات المصالحة بين الديانتين تأتي من جهتين: جهة سياسية، وجهة دينية.

فأما من الجهة السياسية، فقد صدر أهمها من وزارة الأديان التي استحدثها لوران غباغبو إلى جانب بقية الوزارات، ولما كان من مهمة هذه الوزارة تنظيم شؤون الأديان وتدبيرها، والعمل الذي يستحيل مع غياب حسن التفاهم بين الأديان، كانت الوزارة تشتغل في محاولة الإصلاح بين الأديان عامة، والإسلام والكاثوليكية خاصة، وجاء في توصيات أعمال المؤتمر الوطني للتصالح عام 2001م الدعوة إلى إنشاء لجنة خاصة للمصالحة بين المسلمين والمسيحيين، وكذلك اللقاءات التي كانت تنظمها التلفزة الإيفوارية بين الأئمة والقساوسة، وأحيانا بين ممثلي الجمعيات والمنظمات المنتسبة إلى الديانتين، قصد تبادل الآراء في استظهار محل الخلل في التعامل بينهما، وإعطاء الحلول المناسبة والمرضية لجميع الأطراف، وكانت هذه الجهود كلها من طرف السياسيين لم تتمر في التقريب والتهدئة بين الطائفتين، ربما لأن النوايا لم تكن طيبة تجاه الإصلاح، بل كان الطرف السياسي يستفيد خلال هذه المحاولات بنوع من السكون والهدوء كما كان يسعى وراء هذه الخدمات إلى اكتساب ثقة المواطنين.

وأما الجهة الدينية، فإنه على قول الإمام "محمد دوسو" جاءت المبادرة إلى المصالحة بين الإسلام والمسيحية من طرف المجلس الوطني الإسلامي **(C N I)** إذ في أواخر أيام الجنرال روبيرت غيه عام 2000م، وقبل الانتخابات الرئاسية أرسل المجلس الوطني الإسلامي دعوة اللقاء مع مختلف الطوائف الدينية قصد تدارس الأوضاع والأزمات التي تعرفها الدولة في تلك الأيام، إلا أن الدعوة لم تلق استجابة من طرف الأديان المسيحية.

ثم لم يلبث أن صدرت الدعوة أيام الرئيس لوران غباغبو إلى إحياء أعمال المؤتمر الوطني للأديان في كوت ديفوار (Forum National des Confessions Relieuses en Côte d'ivoire) لإيجاد تنسيق بين الأديان، وليكون خطوة مباركة في إبعاد الدين عن اللعبة السياسية، وقد لقيت هذه الدعوة قبولا لدى مجموعة كبيرة من رجال الدين والسياسة والعاملين في المجالات الإنسانية، وبهذا شرع الأئمة والقساوسة يتعاملون من جديد في تحقيق السلام والوئام بين أبناء الدولة، وفي هذا السبيل تم تشجيع التزاور بين المسؤولين الدينيين في الأعياد للتعبير عن المودة والصداقة والأخوة الوطنية التي تجمعهم.[1]

ويضاف إلى هذا التضامن في الأعياد شرعت البيانات المشتركة بين الأديان، بحيث في القضايا الوطنية أمام الحوادث التي عرفتها الدولة، يستحسن أن يكون للأديان كلما أمكن ذلك صوتا واحدا، حتى يتبين للمؤمنين جميعا أن موقف الأديان عامة في قضية كذا وكذا ..

وقد ازداد استقرار مؤتمر الأديان حينما حظي بتشجيع المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام (Conférence Mondiale des religions pour la paix) وتمويله لمشاريعه الاجتماعية في مجال السلام، وذلك في أثناء مؤتمر المنعقد ب –أبيدجان– وفي 2003/03/31م إلى 2003/4/02م، أعطى المؤتمر الوطني كذلك اعتماده ليساهم بخبراته في نشر السلام، وبناء على هذا التشجيع شارك المؤتمر الوطني في العديد من أعمال المصالحة في كل من جمهورية ليبريا وغانا.

بالإضافة إلى جهوده الوطنية والتي من أهمها:

[1]- كوني عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في ساحل العاج، ص: 185.

اقترح الإمام إدريس قدوس في 2003/11/30م يدعو فيه أعضاء المؤتمر الوطني للأديان إلى إبرام اتفاقية موقعة من قبل جميع الأديان، يتم فيها منع انتهاك حرمة الدين أو شتمه أو إهانته أو اتهامه بتهمة باطلة، وإمكانية متابعة مرتكب هذه الموانع قضائيا، وقد لقي هذا الاقتراح قبولا لدى جميع أعضاء المجلس، وبدؤوا العمل في دراسة الاتفاقيات التي تتفق مع المبادئ العامة لجميع الأديان، ويجد فيها جميع الأديان مكانته اللائقة وحصنا يحفظه من مضرة الغير أو أذيته وإهانته.[1]

ويتبن من كل ما سبق أن التعامل بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار لم يكن يسير وفق منهاج مستقيم، بل عرفت أوقات السلام والاستقرار، حيث كان التعامل والتعايش بين المسلمين على أحسن ما يرام، وكانت الأفراد المعتنقين للديانتين قائمة على أساس قويم من العدل والثقة والاحترام، كما عرف بعض الأوقات من الاضطراب والتنافس والصراع، حيث أعمى ظلام العصبية والكراهية، فطغى التنافر بين الأفراد، وتوترت علاقات الأخوة والصداقة بين الطائفتين، ولا شك أن للنظام السياسي ارتباطا وثيقا بهاتين الحالتين، حيث نلاحظ أن التعامل بين الطرفين عرف السلام والوئام في زمن، كان للنظام السياسي فيه نوع من الاستقرار، والسعي إلى تنمية المعطيات الوطنية سواء في مجال الاقتصاد أو الاجتماع أو الدين أو الثقافة، كما أن الاضطراب في موازين التعامل ابتداء مع اضطراب النظام السياسي وتدهوره بما يفسر شدة تأثير السياسة على الحياة الدينية في هذه الدولة.

... وبعد إجراء الانتخابات الرئاسية في 31/ أكتوبر/2010م تنافس في المرحلة الثانية كل من السيد ألسان وتارا ولوران غباغبو، وتم الإعلان عن نتائج الانتخابات الدور الثاني، وكانت النتيجة فوز ألسان وتارا حسب اللجنة المكلفة بتسيير الانتخابات برعاية منظمة الأمم المتحدة (O N U) بينما أعلنت المحكمة الدستورية النتيجة لصالح لوران غباغبو الرئيس المنتهي ولايته، وكان ذلك في 2/ ديسمبر/2010م فأخذت الدولة منعطفا آخرا، وهو تشابك الجمعيات أو دخول البلاد في الفوضى والحرب الأهلية راحت ضحيتها أكثر 3000 شخص وأغلبهم مسلمون، ثمّ ألقي القبض على لوران غباغبو في 11 أبريل 2010،، وتمكن ألسان وتارا من

[1]-Bamba Kassim. La conférence mondial des religions sa présence en Afrique de l'ouest. p: 12.

تسليم مقاليد الحكم رسميا بعد المضايقات الكثرة وإقصاءات متتالية ثمّ استدعى لوران غباغبو إلى المحكمة الجنائية الدولية من أجل التحقيق معه في الجرائم التي ارتكبها وأعوانه، وتمّ ترحيله إلى مقر المحكمة في هولندا في 29/نوفمبر/2011م، وأطلق سراحه بداية السنة الميلادية 2019 بقيود وشروط.

واستبشر كلّ مسلم يحمل الجنسية كوت ديفوار عشية سقوط نظام الرئيس الإيفواري المخلوع لوران غباغبو والذي سجّل بداية تقليد الرئيس ألسان وتارا مقاليد الحكم في ذلك البلد الاستراتيجي المهم من غرب أفريقيا كوت ديفوار، ولاشك أنّ نظرات المسلمين –إلى هذا البلد– قد تفاوتت فيما ينبغي أن ينتهي إليه وضع الإسلام والمسلمين في ظل الحكومة الجديدة، وإن اشتركوا في تقسيم البشارة والتفاؤل وتمني الأفضل نظرًا لانتماء الرّئيس الديني.

ولعل أقلّ الفئات تفاؤلاً من ينطلقون من الماضي التاريخي لـ**(OUTTARA)** وذلك أيام كان رئيس الوزراء، إذ إنّه لا يعرف للرجل في تلك الفترة أيّ جهد خاص للإسلام والمسلمين لا من مبادرات ذاتية ولا من خلال برنامجه السياسي إلاّ أن يكون ذلك تكميلاً لجهود ذاتية خالصة من المسلمين بالمقام الأوّل فيأتي هو ليضيف مشاركته.

أمّا المتفائلون –وهم أكثر المسلمين خاصة– فيرون أنّ مجرّد وصول مسلم إلى سدة الحكم في هذا البلد الذي عرف أوائل رؤسائه بكراهيتهم الشديدة للمسلمين وكلّ ما هو إسلامي، يعتبر نجاحًا وكفى به، هذا فضلاً عن الظلم والاضطهاد الذي كان يعاني منها المسلمون في ظلّ الحكومات السابقة.

فلا يخفى صواب كلّ قول من ناحية كما لا يغيب عن بال المتابع الجيد لسير الأمور في كوت ديفوار منذ تولي **(OUTTARA)** ما يمثّل هذه المرحلة من التحدّي الصريح لمسيرة الإسلام ومستقبله البعيد المدى في هذا البلدوالجدير بالذكر أن المسلمين في كوت ديفوار يعيشون مع المسيحية في ظل رياسة وتارا بعيدا عن القلق والكراهية التي عرفوها من قبل، مثل ما كانوا في عهد الرئيس الأول لكوت ديفوار فليكس هوفيت بوانيه.

الخاتمة:

وهكذا يمكن القول: إن العلاقة التي جمعت بين الإسلام والمخالفين سواء منها الدينية أو العرقية بمجتمع الأغلبية على تنوعها واختلافها، يمكن صياغتها بطبيعة الحياة الاجتماعية. كون الإشكالية في هذه العلاقة ترتبط أكثر بطبيعة النظام السياسي وتوجهاته تجاه المخالفين

قد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات فيما يلي:

1- إن الإسلام هو دين الله الوحيد الذي أرسل به جميع الأنبياء، فجميع الأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتمهم؛ لذا فالعلاقة بين الإسلام وسائر الشرائع السماوية علاقة تكميل ليست علاقة هدم.

2- لما كان الإسلام دينا عاما، فقد ربط الله به جميع الشعوب والأجناس، وقضى به على العصبية وقرر مبدأ المساواة، وصرح بأن الناس كلهم لآدم، وصاروا شعوبا وقبائل للتعارف وليس للتنازع والتقاتل.

3- كتاب الإسلام ليس موجها إلى أمة خاصة أو شعب معين، وإنما يخاطب النوع الإنساني كله؛ لأنه دين عام.

4- قد وضع الإمام المبادئ في التعامل مع غير المسلمين ما يكفل لهم الحياة الإنسانية الكريمة، ولو ظلوا على دينهم، ومن هذه المبادئ العدل وحرية الاعتقاد والتسامح.

5- إن الإسلام وإن كان لا يرضى عقائد المخالفين، إلا أنه يقرهم عليها، ويخالطهم ويشرع لهم التشريعات الخاصة بهم في تعاملهم مع المسلمين.

6- إن التسامح من أصول هذا الدين الحنيف، وقد شيد الله على قواعد عالية لا تدع للحقد محلا في نفس المؤمن، وتلك القواعد تعلمنا أن الحكمة الإلهية اقتضت بأن يكون النوع الإنساني مختلفا في عقائده، وأن الإنسان لا يستطيع أن يهدي إلى مذهبه أحدا إلا بإذن الله، وأنه ليس لأحد السيطرة على غيره في عقيدته، فمتى علم المسلم هذه الحقائق محى أثر الحقد

الديني من صدره وحلت محله رحمة عالية مستمدة من الرحمة الإلهية تجعله منساقا إلى معاملة غير المسلمين الذين لم يقاتلوه بالعدل والإنصاف، وتجعله كذلك يبذل قصارى جهده في هدايته ومحاولة إخراجه من الظلمات إلى النور بالمبادئ البريئة من الإكراه.

7- إن دين الإسلام يستوعب التنوع في المساكنة والمواطنة تشريعا وتطبيقا، فتاريخ الدولة الإسلامية يشهد على واقع الحياة المشتركة بين المسلمين وغيرهم، وخاصة أهل الذمة، من اليهود والنصارى الذين كانوا يشتركون مع المسلمين داخل المجتمعات الإسلامية في كثير من الحقوق والواجبات، مما تقف دلالة واضحة في أن الاختلاف في الدين لم يكن من شأنه الحيلولة دون التعامل السلمي بين المسلمين وسائر الملل والنحل، سواء داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه.

8- إن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم قد مرت بمراحل وأطوار، وأن كل مرحلة من المراحل التي مرت بها لها منهج في التعامل مع غير المسلمين لا يخرج عن التزام العدل معهم وتأمينهم من الغدر والخيانة.

9- إن النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرحلة من مراحل الدعوة إنما كان يهدف إلى هداية الناس إلى ربهم، ففي قوته يعفو ويصفح، وفي ضعفه يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

10- إن الرحمة كانت ملازمة للحبيب المصطفى لا تفارقه، فنراه يرحم المشركين بعد انتصاره عليهم، ونراه يرحم الأعداء في المعركة، ونراه يرحم من ساكنه في دار الإسلام.

11- إن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين إنما هو عن الله، فإذا أمره الله بأن يتعامل بالرحمة والتسامح لبى أمر الله، وإذا أمره بالقتال أطاع الله فكان قتاله في سبيله.

12- إن دخول الإسلام إلى كوت ديفوار كانت في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي على أرجح الأقوال، وقد عرفت الدولة في ظله حياة مزدهر بفضل الممالك الإسلامية التي أسهمت في الإشعاع الثقافي، وترسيخ الوعي الديني وتنوير العقول بشكل فاعل ومؤثر، وأما

المسيحية فقد تأخر دخولها عن الإسلام بنحو سبعة قرون، حيث كان الدخول الرسمي للمبشرين واستقرارهم في القرن التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد في سنة 1859م.

13- إن موقف الاستعمار الفرنسي من الإسلام والمسلمين في كوت ديفوار كان موقفا عدائيا، وأن التعامل بينهما ظل متأرجحا بين القسوة والليونة والصعود والهبوط تبعا لسياسة الحكومات الفرنسية المتعاقبة، وشخصيات الحكام المتناوبة على إدارة البلاد، بينما تبنى الديانة المسيحية، واتخذ موقفا إيجابيا من جهود المبشرين في سبيل تنصير الشعوب، وكفل لهم الدعم المادي والمعنوي والحماية اللازمة لنجاح مشروعهم التنصيري، ولذا كان موقف المسلمين من الاستعمار عدائيا، حيث كانوا يرون منهم من جهة العائق الأساسي أمام انتشار دين الله تعالى، إذ تزامنت فترة ظهور الاستعمار في المنطقة مع صعود الحركات الإسلامية، فقد كاد أن يكتب لها النجاح لولا تصدى القوى الاستعمارية لمشروعها، ومن جهة أخرى كانوا يرون من الاستعمار وجها لفرض التنصير على الشعوب، إذ اصطحب المستعمر معه المبشرين في المنطقة، وأمدهم بكل الوسائل اللازمة ليتمكنوا من القيام بعملية التبشير، وبث الثقافة الأوروبية في المنطقة على أحسن وجه.

14- في أيام الاستعمار رغم تباين مواقف السياسية الاستعمارية بين الإسلام والمسيحية، ورغم استمرار العداوة وحالات التحذير بين الديانتين، إلى جانب فقدان ثقة متبادلة بينهما، فإن التعامل بين معتنقيهما من العوام كان يسير في مساره الطبيعي من خلال اللقاءات العادية بين المسلمين والمسيحيين في رحاب الأسرة الواحدة بواسطة القرابة أو المصاهرة، وفي الوظائف ومحلات البيع والشراء وعلى الشوارع وداخل وسائل النقل العمومي، يجمع بينهم رابطة الوطنية والألفة والصداقة، مما كان يلزم مشاركة بعضهم بعضا في الأفراح والأحزان.

15- إن العلاقة بين الإسلام والمسيحية أيام الرئيس فليكس هوفويت بوانيه تميزت بالهدوء والاستقرار وحالة فضلى بكثير مما كان عليه الأمر أيام الاستعمار، حيث عاش المسلمون والمسيحيون فترات ذهبية لم يعرفوا لها مثيلة بعد أيام رياسته، بل كانت كوت ديفوار في عهده رمزا للتعامل والتعايش ونبراسا للسلم، ولكن مع هذا الاستقرار لم تكن النفوس خالية من التخوف على مستقبل التعامل السلمي بين الإسلام والمسيحية، وذلك من خلال النظر إلى

يقظة المسلمين وسعيهم إلى تغيير الوضع واحتلال مراكز القرارات التي ظلت حكرا على المسيحيين منذ عهد الاستعمار بسبب إعراض المسلمين عن الثقافة الغربية أيام الاستعمار.

16- إن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين تدهورت مع أيام هنري كونان بيديه، وأحداث تنتقل من السيء إلى الأسوأ، وذلك بتحويل الصراعات السياسية وخاصة المنافسة الشرسة بين الرئيس بيديه والمترشح المسلم ألسان درامان وتارا إلى صراع ديني بين الإسلام والمسيحية، مما أجج مشاعر البغض والكراهية في النفوس، فازدادت حدة العنصرية والإقليمية اللتين فاضتا على المجتمع بالشر المضمر والحقد الدفين، الأمر الذي ترتب عليه انسداد أفق التعامل السلمي بين الفئات المكونة للمجتمع، وقد تفاخم الأمر وساء في عهد كل من الجنرال روبيرت غيه، والرئيس لوران غباغبو، حيث صار التعامل في ظلهما مهددا أكثر من ذي قبل بالدمار والانكسار، وهذا ما طغى على العلاقات الطيبة بين الديانتين وساقهما إلى التنافر والتباغض.

17- إن التعامل بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار لم يكن يسير وفق المنهاج المستقيم ولا عبر الخطط المرسومة، وقد عرف المجتمع الإيفواري أوقاتا من السلام والاستقرار حين كان التعامل السلمي بين الديانتين على أحسن ما يرام، وكانت العلاقات بين الأفراد قائمة على أساس قويم من الثقة والاحترام، كما عرف أوقاتا أخرى من الاضطراب والتنافس والصراع المذمومتين، حيث أعمى ظلام العصبية وكراهية الأبصار عن الحقيقة، حيث توترت علاقات الصداقة والألفة، وطغى التنافر بين الأفراد.

18- إن مستقبل التعامل السلمي بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار سيكون مشرفا إن شاء الله بالسلام والوئام المستدامين، وسيكون فيها أليق تعامل مثمر ومتواصل مما سيعيد لهذا البلد مجده وعزه المعهودين في مضمار التعامل السلمي الإسلامي المسيحي الوثني، وهذا أمر متجذر من انتباه المسلمين والمسيحيين إلى أهمية السلام والاستقرار الديني الذي ينبني عليه الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأن الدين يجب إبعاده عن لعبة السياسيين واستغلالهم له من أجل تحقيق أطماعهم الخاصة أو الحزبية، بل يجب أن يكون له موفق محايد ودور روحاني في إيقاف الظلم والتمييز المبني على العرق أو اللون أو الجنس أو الدين، وفي وضع حد للحروب والنزاعات التي لا يعقبها إلا الخسارة والمجاعة والوباء وجميع

المصائب، والتعامل يدا بيد في إيجاد حوار ديني مثمر وبناء بينهم تحت رعاية الحكومة ورقابة المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام.

التوصيات والمقترحات:

وفي ضوء هذه النتائج، ودفعا لعجلة التعامل السلمي بين المسلمين والمسيحيين في كوت ديفوار أوصي بالآتي:

– ضرورة تطوير المؤتمر الوطني للأديان في كوت ديفوار ليكون هيئة وطنية عالية وفعالة تهتم بقصة الحوار بين الأديان بعيدة عن المؤثرات والتوجهات السياسية، وكفيلة لمنع حدوث الفتنة بجميع أنواعها، ووسيلة لضمان التفاهم والتعامل بين الأديان، خاصة الإسلام والمسيحية.

– إنشاء معاهد للدراسات العليا يتخصص في دراسة الأديان الموجودة حاليا على المستوى الوطني والعالمي، ويبحث عن الوسائل والطرق الملائمة للانسجام والتفاعل بينهما.

– من حيث تضافر الجهود في إصلاح منظومة التربية الإسلامية، التي ما تزال دون مستوى طموح مسلمي كوت ديفوار، وكذلك إعادة النظر في طرق تكوين الشباب المسلمين ليكونوا جنودا مجندا للإسلام والوطن والتعامل السلمي.

– على المسيحيين والمسلمين جميعا أن يدركوا أنهم دعائم بناء الوحدة الوطنية، ينبغي أن يكونوا كتلة واحدة أمام الفساد والظلم والطغيان، فلا ينبغي أن يستأثر أحدهم عن الآخر بالدولة وحكومتها ومراكز القيادة، بل يجب أن يتساويا في الحقوق والواجبات حسب ما تمليه قوانين العدالة.

– على السياسيين أن يدركوا أن الإصلاح بين أبناء هذه الدولة يبدأ أولاً بالاعتراف بالأخطاء الماضية، وإعادة الاعتبار إلى الذين أفقدتهم جور عشاق الزعامة والرئاسة جنسياتهم وبطاقاتهم الوطنية.

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	30	21
	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	136	26
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾	178	57
	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	179	57
	﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾	194	31
	﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	195	31
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	208	33
	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾	256	23، 26
آل عمران	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	19	40
	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	64	37،88

	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾	98	41
	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	78	42
	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	85	40
	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾	108	51
	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	190	25
النساء	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾	1	22
	﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلً﴾	90	86
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	135	30
المائدة	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	2	32

	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾	5	45
	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	8	30
	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾	13	41
	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾	15	41
	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	46	40
	﴿ ولَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	82	44
الأنعام	﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	108	75
	﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن	156	11

	كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾		
الأعراف	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	158	102
	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾	199	28
الأنفال	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	25	33
	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	46	33
	﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾	57-56	87
	﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	61	86 ،34
	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	72	49
التوبة	﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	1	29
	﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	4	87 ،39
	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾	6	82

	﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	7	87
	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	29	49
	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	60	66
	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	71	53 ،51
	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	105	69 ،56
يونس	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	25	33
	﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾	99	23
هود	﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾	61	21
	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	118	25
النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	90	31 ،28

	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	91	29
	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	125	37
	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾	70	20
الكهف	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	29	26
الحج	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	17	11
	﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	40	86
النور	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	27	65
القصص	﴿إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾	55	35
العنكبوت	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	46	24، 35، 46
الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾	22	25

الأحزاب	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	72	21
سبأ	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	28	102
فاطر	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	18	63
ص	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾	75-71	20
فصلت	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	34	28
الجاثية	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	24	11، 13
محمد	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾	2-1	10
الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	10	52
	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ	13	22، 102

	اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾		
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	21
الرحمن	﴿الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4) ﴾	4-1	24
الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾	25	30
المجادلة	﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	22	52
الحشر	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	9	53
الممتحنة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾	1	52
	﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾﴾	8	18، 39، 86
الصف	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي	6	42

	مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾		
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	4	2، 28
المطففين	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾	1	112
الكافرون	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	6	26، 35

فهرس الأحاديث

الصفحة:

- (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) 32
- (ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه يوم القيامة) 63
- (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا) 52
- (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) 28
- (إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا) 59-64
- (خاطبوا الناس بقدر عقولهم) 37
- (خيار الناس عند الله يوم القيامة الموفون الطيبون) 29
- (فإذا قبلوا عقد الذمة فاعلمهم أن لهم ما للمسلمين....) 59
- (قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا....) 39
- (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...) 65
- (من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة) 63
- (من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة...) 63
- (هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا شابا قويا...) 43
- (والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) 31
- (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا...) 62
- (الحنفية السمحة) 35
- (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم...) 54

- (أيما عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع...) 54
- (بعثت بالحنفية السمحة) 35
- (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) 28-35
- (كان خلقه القرآن) 28
- (مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة فقام) 27
- (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...) 55-65
- (فقلنا يا رسول الله إنما هي جنازة يهودي فقال: إن الموت فزع...) 27
- (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألو الله العافية...) 33
- (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) 53
- (ما أكل أحدطعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده...) 69
- (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننته أنه سيورثه) 79
- (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار) 78
- (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم...) 53
- (من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة) 62
- (من كان له فضل زاد فليعد به من لا زاد له) 54
- (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا...) 54
- (وكونوا عبادا الله إخوانا، المسلم أخو المسلم...) 53
- (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن آباءكم واحد...) 22
- (الحمد لله الذي أنقذه من النار) 46

- (سأله رجل أي العمل أفضل؟ الإيمان بالله وتصديق...) 36
- (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم) 67
- (من آذى ذميا فقد آذى الله ورسوله) 46
- (ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته) 67

* القرآن الكريم برواية حفص.

قائمة المصادر والمراجع:

I- المراجع العربية:

* أبو زهرة (محمد أحمد مصطفى): تنظيم الإسلام للمجتمع – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ.

* أبو زهرة (محمد أحمد مصطفى): العلاقات الدولية في الإسلام – دار الفكر العربي – القاهرة – بدوت تاريخ.

* ابن عابدين (أحمد بن عبد الغني بن عمر): حاشية رد المحتار على الدر المختار – مكتبة مصطفى الحلبي – القاهرة – الطبعة الثانية – 1966م.

* أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم): الخراج- المطبعة السلفية – القاهرة – الطبعة الخامسة – 1396هـ.

* ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): الرسالة القبرصية – تحقيق علاء دمج – دار ابن حزم – بيروت – الطبعة الثانية – 1990م.

* ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): العقيدة الواسطية – أضواء السلف- السعودية – الطبعة الثانية – 1999م.

* ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): منهاج السنة – أضواء السلف – السعودية – الطبعة الأولى – 1986.

* الألباني (محمد ناصر): غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام – المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة- 1405هـ.

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب – رتبه على حرف الهجاء علي شيري – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى – 1988م.

* ابن حزم الأندلسي (محمد بن علي): المحلى – تصحيح أحمد محمد شاكر – دار الفكر – دمشق – بدون تاريخ.

* ابن قيم (محمد بن أبي بكر): أحكام أهل الذمة – تحقيق الشيخ صبحي الصالح – دار العلم – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 1981م.

* أبو عبد الله (أحمد بن حنبل): مسند الإمام أحمد – تحقيق السيد أبو المعاطي النوري وآخرون – عالم الكتب – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1998م.

* ابن قدامة (عبد الله بن أحمد): المغني – مطبعة إدارة المنار– الطبعة الرابعة – بدون تاريخ.

* ابن حجر (أحمد): فتح الباري بشرح صحيح البخاري – مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة السلفية – القاهرة – بدون تاريخ.

* البخاري (محمد بن إسماعيل): الأدب المفرد – تخريج فؤاد عبد الباقي، وفهرسة رمزي سعد الدين – دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – 1997م.

* البخاري (محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري – مراجعة وضبط وفهرسة علي القطب والشيخ هشام البخاري – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان – الطبعة الثانية – 1997م.

* البيهقي (أحمد بن الحسين): السنن الكبرى – تحقيق محمد عبد القادر عطا – مكتبة البار – مكة المكرمة – 1994م.

* بدران (أبو العينين بدران): العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – 1984م.

* البلاذري (علي بن يحي): فتوح البلدان – دار مكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الأولى 1983م.

* التويجري (د/ عبد العزيز بن عثمان): الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين – مطبعة المعارف الجديدة – الرباط– الطبعة الثانية 1998م.

* التويجري (د/ عبد العزيز بن عثمان): الحوار من أجل التعايش – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 1998م.

* الترمذي (محمد بن عيسى): الجامع الكبير – تحقيق الدكتور بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1998م.

* الجراري (د/ عباس): الإسلام واللائكية – المطبعة الأمنية – الرباط – المملكة المغربية – الطبعة الأولى – 2003م.

* جورج قرم: تعدد الأديان وأنظمة الحكم – دار النهار – بيروت – لبنان – 1979م.

* الجزري (علي بن الأثير): الكامل في التاريخ – دار الفكر العربي – بيروت – بدون تاريخ.

* الجهني (د/ ماتع بن حماد): الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – دار الندوة العالمية – الرياض – الطبعة الرابعة 1420هـ.

* الحصكفي (محمد بن علي) : الدر المختار على تنوير الأبصار– دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدوت تاريخ.

* الحمصي (محمد حسن): الدعاة والدعوة المعاصرة – دار الرشد – دمشق – 1991م.

* حسن عيسى (عبد الظاهر): الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام الدولة الفولاتي في مطلع القرن الثاني عشر الهجري – التاسع الميلادي – مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض المجلس العلمي رقم 16 – بدون تاريخ.

* الخربوطلي (علي الحسن): الإسلام وأهل الذمة – مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – 1969م.

* خلاف (عبد الوهاب): السياسة الشرعية – دار الأنصار – القاهرة – 1977م.

* الدمشقي (إسماعيل بن كثير): البداية والنهاية – الطبعة الأولى – مكتبة المعارف – بيروت – 1966م.

* الدمشقي (إسماعيل بن كثير): تفسير القرآن العظيم – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – 19669م.

* الدسوقي (محمد بن عرفة): حاشية الدسوقي على الشرح الكبير– دار الفكر – دمشق – بدون تاريخ.

* الدار قطني (علي بن عمر) سنن الدار قطني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 1998م.

* الرازي (محمد بن عمر) التفسير الكبير – مكتبة عبد الرحمن – القاهرة – الطبعة الأولى – بدون تاريخ .

* الذهبي (إداور الغالي): معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – دار غريب – القاهرة – الطبعة الأولى 1993م.

* الزحيلي (وهبة بن مصطفى): آثار الحرب في الفقه الإسلامي – دار الفكر – بيروت – لبنان الطبعة الثالثة 1981م.

* زيدان (عبد الكريم) : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام – مكتبة القدس – فلسطين– الطبعة الأولى 1982م.

* السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال): حسن المحاضرة – دار الفكر العربي – القاهرة– 1321هـ.

* السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال): الجامع الصغير من حديث البشير النذير – المكتبة الحلبوني – دمشق – بدون تاريخ.

* السجستاني (سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود – إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1997م.

* الشافعي (محمد بن إدريس): الأم – دار الشعب – مصر– بدون تاريخ.

* الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل – دار المعرفة – بيروت – لبنان الطبعة الخامسة – 1996م.

* الطبري (محمد بن جابر): جامع البيان في تفسير القرآن – دار المعارف – القاهرة – بدون تاريخ.

* الطبري (محمد بن جابر): تاريخ الرسل والملوك – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية 1988م.

* الطريفي (د/ ناصر بن عقيل): القضاء في عهد عمر بن الخطاب – مكتبة التوبة – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الثانية 1994م.

* عامر صمت: الأدب السنغالي العربي – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – الطبعة الأولى 1978م.

* عودة (عبد القادر): التشريع الجنائي الإسلامي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

* عطية الله (أحمد): القاموس السياسي – دار النهضة العربية – القاهرة – الطبعة الثالثة 1968م.

* الغزالي (الشيخ محمد): حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة – دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة الثالثة 1984م.

* الغرناطي (محمد بن أحمد بن جزي): القوانين الفقهية – الدار العربي للكتاب – طرابلس 1988م.

* فليجة (نجم الدين): إفريقيا دراسة عامة وإقليمية للأقطار الغير العربية – الجامعة الإسكندرية الطبعة الأولى 1978م.

* فضل الله (محمد بن الحسين): في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي – دار الملاك – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى 1994م.

* الفاضلي (د/ داود علي): أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم – مكتبة المعارف– بدون تاريخ.

* القرطبي (محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة 1996م.

* القزويني (محمد بن يزيد): دار الفكر – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

* القرضاوي (يوسف): غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 1982م.

* قاضي زاده (أحمد بن قودر): فتح القدير – مكتبة الباني الحلبي – القاهرة – الطبعة الأولى 1970م.

* القرافي (أحمد بن إدريس): الفروق أو البروق في أنواع الفروق – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى 1998م.

* قطب (سيد إبراهيم حسين): في ظلال القرآن – دار الشروق –القاهرة– الطبعة العاشرة – 1982م.

* قطب (سيد إبراهيم حسين): نحو مجتمع إسلامي – مطابع دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثانية 1975م.

* كوني عبد الرحمن: أزمة التعليم الإسلامي في إفريقيا بين الأمس واليوم ومحاولة لإيجاد طرق لتطويره – دار الإشعاع للطباعة – القاهرة – الطبعة الأولى 1989م.

* كوني عبد الرحمن: الإسلام والمسلمون في ساحل العاج – دار الكتب المصرية الطبعة الأولى 1983م.

* الكيالي (عبد الوهاب): الموسوعة السياسية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1974م.

* المقريزي (أحمد بن علي): اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين – منشورات وزارة الأوقاف المصرية – القاهرة بدون تاريخ.

* العبودي (محمد ناصر): بقية الحديث عن إفريقيا – أضواء السلف – السعودية الطبعة الأولى 1413هـ.

* محمود (عبد الحليم): المسيحية نشأتها وتطورها – دار المعارف – الطبعة الرابعة – بدون تاريخ.

* النسائي (أحمد بن شعيب): سنن النسائي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1991م.

* النيسابوري (مسلم بن الجاج): صحيح مسلم – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1995م.

* الندوي (الحسن علي): القادياني والقاديانية دراسة وتحليل – مطبع ندوة العلماء – الطبعة الثانية 1962م.

* هراس (محمد خليل): مقتبس من شرح العقيدة الطحاوية – رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية – الطبعة الرابعة بدون تاريخ.

* هويدي (فهمي): مواطنون لا ذميون – دار الشروق– بيروت– الطبعة الثانية – 1990م.

* الونشريشي (أحمد بن يحي): طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية 1981م.

II- الكتب المترجمة :

* ابن ترتون : أهل الذمة في الإسلام – ترجمة د/ حسن الحبشي دار المعارف – الطبعة الثانية 1967.

* أمير علي (سيد): روح الإسلام –ترجمة عمر الديروي – دار العلم – بيروت – الطبعة الثامنة 1982م.

* بردج (أنتوني): تاريخ الحروب الصليبية ترجمة سبانو وجيرودي – دار قتيبة– دمشق – 1985م.

* ديورانت (ول): قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران وآخرون –منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة 1988.

* كي زيربو (جوزيف): تاريخ إفريقيا السوداء – ترجمة د/ عقيل الشيخ حسين – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان – ليبيا – الطبعة الأولى 20001م.

* لوبون (غوستاف): حضارة العرب – ترجمة عادل زعيتر – مطبعة البابي الحلبي – القاهرة – الطبعة الأولى 1981م.

* ندلسون (جالم): الأديان في إفريقيا المعاصرة – ترجمة إبراهيم أسعد محمد – دار المعارف –القاهرة – الطبعة الأولى – بدون تاريخ.

III– المراجع الأجنبية :

* Audouin (Josèphe) : L’islam en haute volta à L’époque coloniale. Céda Abidjan -1962.

* Desalmandx (Paul) ; Histoire de L'éducation en côte d'ivoire, Edition Abidjan - 1999.

* Davide (Philippe) : La côte d'ivoire Edition Karthala paris - 1986.

* Diallo (Siradiou) : Houphouët Bobigny, Le médecin: le planète et le ministre, Groupe jeune Afrique paris - 1993.

* Jontnotne (Patrick) : flashes sur le monde.

* Ki Zerbo (Josèphe) : Histoire de L’Afrique noire, Librairie hâte, paris -1978.

* Lavault (Bergé) Histoire des peuples de L’Afrique noire, paris -1960.

* Monteil (Vincent) Islam noire une religion de l’Afrique, Edition du Seuil, paris - 1980.

* Marte (Paul) : Etude sur L’islam en côte d'ivoire, Edition Ernest Leroux, 22 rue Bonaparte, 1922.

* Mabill (jean) : mémorial de la Cote d'ivoire, édit Altiers de presse de la édit à tournai 30 juin, 1989.

* Steamer (Josèphe) : l'Islam en Afrique au sud Sahara, Edition divino, España 1995.

* Sacko (El ha Boubaker) : Ami de Dieu et notre amie édition, Abidjan cote d'ivoire, 1986.

* Simon (Kassi) : Nationale et la formation de basse 1990 .

* Traore (Alioune) : Islam et colonisation en Afrique, Maisonneuve. Paris 1983.

* Toure (Yacouba) : Possibilité de Diadoque entre musulmans et chrétiennes en côte d'ivoire

IV- الصحف والمجلات:

* Débats courrière d'Afrique de l'ouest, N : 5- Mai – Juin 2003.

* Fraternité – Matin des 21- 22 janvier 1995.

* Ivoire Soirée – mardi 20 novembre 2001.

* Jeun Afrique, L'intelligent N 2066 28 aout 2000.

*Le patriote 2000 N 68 29/06/2000.

V- الأطاريح والرسائل:

* توري (يونس): الفرق الدينية في ساحل العاج تحت إشراف د/عبد الفتاح الزحيلي – رسالة لنيل ة الدكتوراه في العقيدة بجامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية– سنة 1989م.

* سورو (محمود) جهود العلماء في نشر العقيدة في كوت ديفوار تحت إشراف د/ محمد السنتوف – رسالة لنيل الدكتوراه في أصول الدين – تطوان – سنة 2005.

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وتقدير

مقدمة 1

أهمية هاته الدراسة 3

أسباب اختيار الموضوع 4

منهج البحث 5

الدراسات السابقة 6

صعوبات البحث ومشاكله 7

خطة البحث 7

الفصل الأول: التعامل من خلال وجهة نظر الإسلام 17

المبحث الأول: قواعد التعامل وضوابطه في الشرع 19

أولا: نظرة الإسلام إلى الإنسان 19

ثانيا: نظرة الإسلام إلى التعددية 25

ثالثا: نظرة الإسلام إلى التمسك بالفضيلة 27

رابعا: نظرة الإسلام إلى السلم وأسبابه 32

المبحث الثاني: الإسلام وأهل الكتاب 39

أولا: موقف الإسلام من أهل الكتاب 40

ثانيا: المعاملة مع أهل الكتاب 43

المبحث الثالث: التعامل في المجتمعات الإسلامية 47

أولا: المجتمع الإسلامي ومكوناته 48

ثانيا: أعضاء المجتمع الإسلامي 48

المبحث الرابع: أوضاع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وخارجها 59

أولا: حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي 60

ثانيا: التزامات غير المسلمين تجاه الدولة الإسلامية 72

ثالثا: نماذج من المعاملات بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي 76

رابعا: المعاملة بين المسلمين وغيرهم خارج المجتمع الإسلامي 86

الفصل الثاني: الإسلام والمسحية في كوت ديفوار 89

أولا : الجانب الجغرافي 90

ثانيا: الجانب الاقتصادي 97

ثالثا: الجانب الديني 100

المبحث الأول: دخول الإسلام إلى كوت ديفوار 102

المبحث الثاني: عوامل انتشار الإسلام ومدى تأثر المجتمع الإيفواري به 110

1 – يسر الإسلام وعدالته 110

2 – وحدة أركان الإسلام وتمسك المسلمين بها 110

3 – الرقي الثقافي والاجتماعي الذين يخولهما الإسلام وأتباعه 111

4 – صلاة الجماعة 111

5 – نشاط التجار "قبيلة جولا" المسلمين 112

6– تأسيس الممالك الإسلامية 112

المبحث الثالث: الاتجاهات العقدية والمذاهب الفقهية والطرق الصوفية في كوت ديفوار 119

أولا: الاتجاهات العقدية 119

ثانيا: المذاهب الفقهية 126

ثالثا: الطرق الصوفية 128

المبحث الرابع: التعليم العربي الإسلامي والجمعيات الإسلامية 130

أولا: التعليم العربي 130

ثانيا: الجمعيات الإسلامية 136

المبحث الخامس: المسيحية في كوت ديفوار 141

أولا: دخول المسيحية إلى كوت ديفوار 142

ثانيا: الفرق المسيحية في كوت ديفوار 147

ثالثا: أوجه الأنشطة المسيحية في كوت ديفوار 151

رابعا: المنظمات المسيحية 157

الفصل الثالث: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي في كوت ديفوار 158

أولا: موقف الاستعمار الفرنسي من المسلمين 161

ثانيا: موقف الاستعمار الفرنسي من المسيحية 174

المبحث الثاني: موقف المسلمين من الاستعمار والمسيحية 176

أولا: موقف المسلمين من الاستعمار 176

ثانيا: موقف المسلمين من المسيحيين خلال عهد الاستعمار 178

ثالثا: حالة التعامل بين المسلمين والمسيحيين في ظل الحكم الاستعماري 180

المبحث الثالث: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي أيام فليكس هوفيه بوانيه 184

أولا: موقف النظام السياسي من الإسلام والمسيحية في ظل نظام الحزب الواحد 186

ثانيا: موقف النظام السياسي من الإسلام والمسيحية في ظل النظام الديمقراطي 191

ثالثا: التعامل بين المسلمين والمسيحية أيام فليكس هوفيه بوانيه 193

المبحث الرابع: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي أيام الرئيس هانري كونان بيديه 208

المبحث الخامس: النظام السياسي والتعامل الإسلامي المسيحي في ظل

الجمهورية الجديدة 217

أولا : رياسة الجنرال روبيرت غيه 217

ثانيا: رياسة لوران غباغبو 225